1116-2278.9_05/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة و الأدب العربي

سجل تحت رقم 1643
بتاريخ 31 ماي 2008

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
مكتبة
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللغة العربية

تخصص: الصوتيات العربية

الموضوع

المماثلة و المخالفة بين القراء والنحاة الكسائي وسيبويه نموذجين

- دراسة صوتية وظيفية -

إعداد

مبارك بلالي

إشراف الأستاذ

د. سيدي محمد غيتري

السنة الجامعية

1423 - 1424 هـ / 2002 - 2003 م

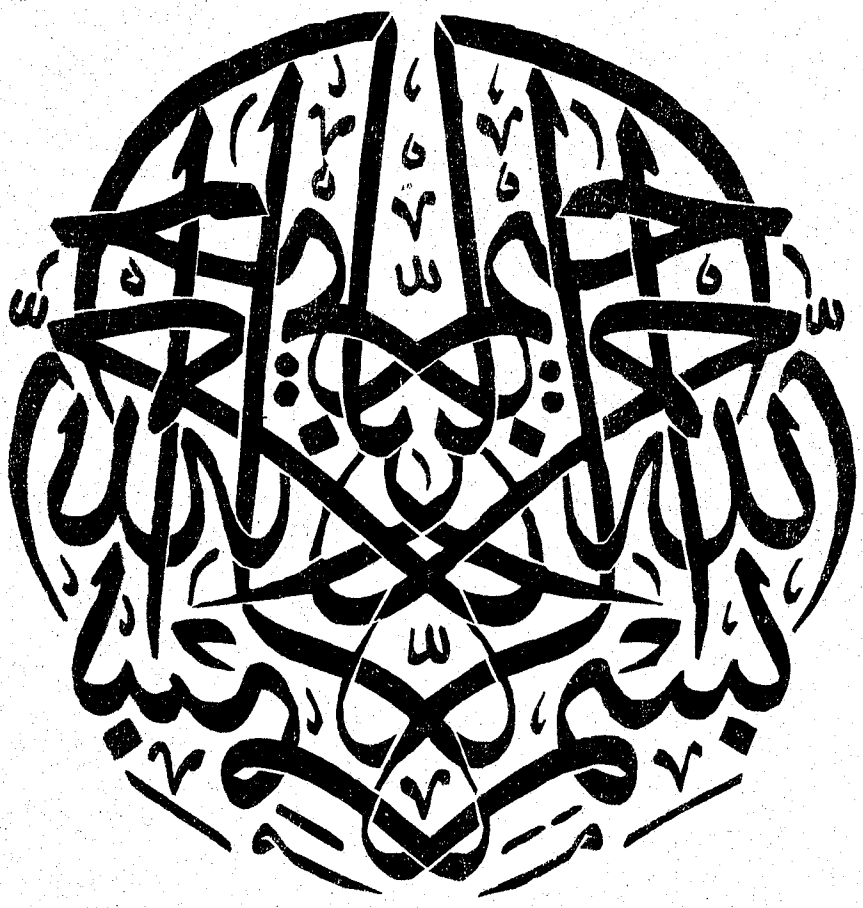

الإهداء

إلى الذي غرس الفسيلة . . . ثم رحل إلى جوار رب حفيظ .

وإلى التي تعهدتها بالسقاية والرعاية . . . حتى استوت على عودها . . . وها هي ذي "أولى ثمارها" .

إليكما . . . أبي وأمي . . . أبوين ومعلمين .

ثم . . . إلى كل العاملين على طريق العودة . . . نهوضا بحق "الأمانة" .

إليهم . . . تقديرا .

مبارك .

شكر واجب

لا بد أن أشكر لأستاذي المشرف د. سيدي محمد غيتري رعايته الكريمة لهذا العمل منذ كان فكرة... فجنينا...، حتى استوى قائما.

كما يشمل الشكر أولئك الذين ساهموا من قريب أو بعيد في إخراج هذه المحاولة إلى النور.

مبارك.

مقدمة

المقدمة

عرف علم الأصوات – في عصرنا هذا– تقدما كبيرا بالنظر إلى معطياته ونتائجه، فاستفادت منه لغات العالم إفادة عظيمة، أعادت بها قراءة تراثها اللغوي، وفسرت – على ضوء منه– كثيرا مما أشكل من مسائلها الصرفية والنحوية وغيرها، ولعل الواجب العلمي، يفرض على أهل العربية أيضا أن يطبقوا معطيات ونتائج هذا العلم على اللغة العربية لتجديد نظرتهم إليها، وفهم روحها، والتعرف إلى خصائصها المختلفة.

ففي هذا الصدد كانت جهود اللغويين العرب القدامى من حيث الدراسة الصوتية جهودا مشكورة، بل إنها كانت تدعوا في زمنهم، إلى الإعجاب والإكبار، وهي تدعو الآن إلى مزيد من التحري والبحث سعيا إلى فهمها، والاستفادة من نتائجها؛ ذلك أن علماء اللغة درسوا خصائص العربية من حيث الصوت درسا عميقا طريفا من جوانب عديدة وتوصلوا إلى نتائج يحتفظ اليوم بنسبة كبيرة منها. على أنها، بالإضافة إلى ذلك؛ بحاجة إلى ربط الصلة بين الصرف والصوت (بوصفه علما)، أو بين الصرفيات والصوتيات؛ بحيث لم يستطع القدماء أن يتصوروا الأصوات من غير صورة خطية، فبقوا حبيسي الخط المرئي دون أن يعتبروا الصوت مادة أصلية في اللغة، وما الرمز المرموز للصوت به إلا صورة خطية لا غير. ولعل هذا ما جعلهم لم يوفقوا في وصف كثير من مسائل اللغة ومشكلاتها.

وإذا كان للقدماء عذرهم في ذلك إذا اعتبرنا العصر والإمكانات المتوفرة لديهم، فلقد بات واجبا على المحدثين من دراسي العربية أن يدرسوا أصوات العربية على هدي من علم الأصوات الحديث، ليس لأن دراسة الصوت لها أهمية جسيمة في تعليمية اللغات فحسب، بل لأن دراسة أصوات اللغة أساس لدراسة هياكل اللغة الأخرى، التركيبة والدلالة والمعجمية، وبالتالي الاهتداء إلى أسرار النظام اللغوي وخصائصه.

ومن هنا كانت دراسة المحدثين لظواهر الإدغام والإبدال والإعلال، والإمالة وغيرها في ضوء علم الأصوات الحديث، دراسة لها نتائج مشجعة، وضعت أول خطوة على الطريق في سبيل التعرف على حقيقة الأصوات وتفاعلها بعضها وبعض بدلا من التأثر بالكتابة أو الخط وحسب.

وقد عنى المحدثون بموضوع المماثلة والمخالفة بوصفها ظواهر تعاملية تفاعلية تتأثر فيها الأصوات بعضها وبعض عناية خاصة، مردّها إلى أن موضوع المماثلة والمخالفة يعبر عن الروابط الموجودة بين أصوات الكلمة العربية، والتي تتسم بالتجاذب أو التنافر مما يؤدّي إلى التغير في مستوى الصيغة العربية سواء أكان تغييرا صرفيا صوتيا يتعلق بتأثير التغيير الصوتي في بنية الصيغة صرفيا أم تغييرا صوتيا بحتا يتعلق بتفاعل الأصوات أو تعاملها بعضها وبعض. ثم إن المماثلة والمخالفة أخذت حيزا واسعا في الدراسة اللغوية، من حيث شواهدها وخطرها في الإيضاح عن الصلات بين الأصوات وخصائص هذه الصلات والروابط بين عائلة الأصوات العربية.

ولعل السعي لقراءة هذا الموضوع قراءة حديثة تستند إلى معطيات علم الأصوات الحديث وتفسير شواهده على هدى من نتائجه، ومقارنة ذلك بما ورد في مدونة الإسلام الخالدة وكتابه المجيد (القرآن الكريم)، لعل ذلك كله، كان السبب وراء اختيار هذا الموضوع، في محاولة لتفسير شواهده تفسيرا يقترب من روح العربية ويكشف أسرار نظامها، انطلاقا من فهم سليم لدوافع العربي من وراء لجوءه إلى مزج الأصوات بعضها وبعض، وتقريب بعضها من البعض الآخر من غير اعتبار لصورة الصوت الكتابية الخطية، التي أوقعت علماءنا القدامى في أخطاء علمية كان يمكن تجنبها لو اعتبروا صورة الصوت الكلامية، ذلك أنه ليس بالإمكان أن نكتب كل ما نسمع، وما قد يكون خفيفا في الخط والكتابة ليس بالضرورة أن يكون خفيفا في التحقيق الصوتي. ثم إنه قبل ذلك وبعده لا يمكن – في نظرنا – أن تفسر ظواهر اللغة العربية – التعاملية وغيرها– إلا في ضوء الهيكل الصوتي باعتباره الصورة الأولى للغة، إذ إن كل لغة تنشأ في أول نشأتها منطوقة ثم توضع لها – فيما بعد– رموز ترمز لكل صوت من أصواتها.

كما أن اختيار هذا الموضوع أملته ضرورة البحث في علم القراءات والقرآن بوصفهما مدونة لغوية ضخمة تمد علم الأصوات الحديث ومجالات أبحاثه بمعطيات علمية رصينة لاعتبار واحد وهو أن القراءات تمثل – وحدها– النموذج الحي لصور النطق اللغوية لما توفر لها من تواتر مشافهة، وما أحيطت به هذه المشافهة من دقة في النقل وتشدد في الرواية، مما جعل بعض الباحثين يعتبرونها تمثل الصور النطقية الصحيحة لكثير من أصوات اللغة.

هذا إلى أن اختيار هذا الموضوع أملته – إضافة إلى الأسباب العلمية المذكورة- رغبة ذاتية في الخوض في مثل هذه المواضيع الطريفة الجذابة وإن كان البحث فيها محفوفا ببعض الصعاب.

ولما اكتمل تصور إشكالية الموضوع، والنقاط المراد بحثها ارتضينا له خطة من ثلاثة فصول أساسية مسبوقة بفصل تمهيدي أو مدخل، ومتبوعة بخاتمة أودعناها ما خلص إليه البحث من نتائج أمكن التوصل إليها.

فأما الفصل التمهيدي فتعرضنا فيه إلى تعريف المماثلة والمخالفة لغة واصطلاحا وبيان أقسامهما، مدعمين ذلك كله بشواهد من التراث وواقع اللغة، وذلك من أجل الوقوف على ماهية موضوع المماثلة والمخالفة ومحاولة حصر أغلب شواهد المماثلة والمخالفة أو ما يدخل تحت حكمهما، وإن استدعى ذلك المقارنة بين العربية وأخواتها الساميات .

كما لم ندع الفرصة تفوتنا دون مناقشة بعض الشواهد وترجيع آراء على أخرى بما يستجيب والهدف العام من البحث، وهذا ما يجعلنا نؤكد على تسمية هذا الفصل بالفصل التمهيدي بدلا من المدخل نظرا إلى ما عولج فيه من هذا الموضوع معالجة تتخطى مجرد ذكر لشواهد المماثلة والمخالفة، دون مناقشة جديدة تخدم – كما أسلفنا- الهدف العام للبحث.

وأما الفصل الأول فقد كان موضوع الباب الأول منه المماثلة والمخالفة في كتب القدماء، وفيه حاولنا الوقوف على جهود القدماء ممثلين بسيبويه وابن جني في الموضوع؛ فتعرضنا في المطلب الأول للمماثلة عند سيبويه وقد أسماها "مضارعة وتقريبا" فوصفنا شواهدها، ومراد سيبويه بالمضارعة والتقريب بين الأصوات، ثم عرضنا للمماثلة الكاملة وهي الإدغام، فشرحنا شواهده وأوضحنا أقسامه عند سيبويه، ذاكرين ما عزاه لكل حي من أحياء العرب أو قبائلها أحيانا، ومهملين ذلك في أحايين أخرى. ثم عرضنا بعد ذلك لكل ما يدخل في باب المماثلة بين الحركات كالإمالة والإتباع عند سيبويه، وذلك من أجل الوقوف على حقيقة المماثلة بين الحركات كما الأصوات، وهل يمكن تفسير ذلك في ضوء تيسير عملية النطق والاقتصاد في الجهد العضلي؟.

ثم عرضنا بعد ذلك في عنصر ثان إلى المخالفة عند سيبويه وما يمكن أن يدخل تحت حكمها من مثل حذف توالي الأمثال، غايتنا من ذلك معرفة حقيقة المخالفة عند سيبويه وما تهدف إليه بوجه عام.

وأما المطلب الثاني من الفصل الأول فخُصص لما تناوله ابن جني عن هذه الظاهرة، وحاولنا فيه إبراز السمات التجديدية التي طبعت دراسة ابن جني، إن مصطلحا وإن موضوعا.

وأما الباب الثاني فقد عرض لما تناوله المحدثون من علماء اللغة وارتأينا أن نمثل لهم بعالمين كانت لهما أسبقية البحث في موضوع المماثلة، واحد من العرب والآخر من الغرب هما: الدكتور إبراهيم أنيس والأستاذ دانيال جونز، غايتنا من ذلك الوقوف على حقيقة الظاهرة عند المحدثين، وماجدّ في دراساتهم حول الموضوع، خاصة وقد توفر لهم ما لم يتوفر لأسلافهم من معطيات علمية وأجهزة مخبرية دقيقة يندر معها الخطأ إن لم يكن مستحيلا.

وأما الفصل الثاني فقد تناول بالدراسة ظواهر الإدغام والإبدال والإمالة وغيرها من الظواهر التعاملية في دراسة تباينية بين القراء والنحاة للوقوف أولا على حقيقة المماثلة عند القراء وثانيا مقارنة جهودهم بجهود النحويين، في محاولة لمعرفة ما إذا كانت تفسيرات القراء لظواهر الإدغام والإمالة تصب في القالب الذي تصب فيه تفسيرات النحويين، وإلى أي مدى وُفق القراء أو علماء القراءات في وصف تلك الظواهر وصفا يخدم الهدف العام، وهو تيسير الجهد العضلي والميل إلى الخفة في عملية أداء الأصوات، من دون اعتبار لصورة الصوت الكتابية، وما ينتج عنها من تعليلات تبعد في الغالب عن التعبير عن روح العربية وأصالة نظامها.

وأما الفصل الثالث فخُصّص للمماثلة بين الحركات، وحاولنا فيه دراسة الإمالة عند الكسائي وسيبويه، انطلاقا من أن المماثلة بين الحركات – ومن ضمنها الإمالة–، تهدف إلى ما تهدف إليه المماثلة بين الأصوات (الحروف)، وبالتالي فإن دراستها ضرورية لمعرفة ما إذا كانت مظاهر المماثلة بين الحركات تُفسر عند القراء بما تُفسر به عند النحاة، أم أن هنالك فرقا بين التعليلين ؟ وما موقع التفسير الصوتي من تعليلات القراء؟.

كما حاولنا أيضا أن نخضع الإمالة للتمثيل الصوتي على مدرج أصوات اللين آخذين بعين الاعتبار شيوع نوع من الإمالة دون آخر، ومن ثم البحث فيما إذا كان هذا الشيوع مردّه إلى سبب عضوي أو صوتي أو اجتماعي أو غيرها، وكذا التعرف على أي الأسباب دلالة على روح العربية وطبيعية نظامها. وهذا ولاشك سيمدنا بصورة واضحة عن حقيقة الإمالة وسرّ شيوع بعض أنواعها على حساب البعض الآخر.

وقد يلاحظ أن الفصل الأول أخذ حصة الأسد من هذا البحث من حيث طوله، وهذا في نظرنا لم يكن منه بد؛ لأنه أولا حاول أن يستقرأ كل مظاهر المماثلة والمخالفة عند الرجلين (سيبويه وابن جني)، استقراء يمدنا بصورة واضحة عن المماثلة والمخالفة في العربية بوجه عام، ذلك أننا نعتقد بعد اطلاعنا على أسفار الرجلين أنهما استوعبا موضوع الدراسة، إن استقراء وإن دراسة، ونحسب أن غيرهما عيال عليهما في هذا المجال، "فالكتاب" هو المؤلَّف المؤصل لعلوم العربية كلها من غير مدافع، و"سر الصناعة" و"المنصف"، و"الخصائص" وغيرها موسوعات لغوية متخصصة وشاملة لا غنى عنها في أي دراسة لغوية جادة وجديدة.

وأما السبب الثاني، فلأن هذا الفصل - أي الأول- سيكون فيما بعد مادّة دسمة تمدّ الفصلين التاليين بمادة لغوية، خاصة ما يتعلق منها بسيبويه وما تناوله من مظاهر المماثلة والمخالفة استقراء ودراسة.

هذا واخترنا قراءة الكسائي ومن خلالها استقرأنا ظاهرة الإمالة عنده نظرا إلى أن الكسائي عُرف بالإمالة، بل وقد ذهب فيها مذهبا خاصا، هذا إضافة إلى أنه معاصر لإمام مدرسة البصرة، "سيبويه"، وحينئذ تكون الموازنة بينهما منطقية النتائج تمتاز بالشمول وتتسم بالموضوعية.

أما من حيث المنهج للمطبق في هذه البحث فهو المنهج الوصفي، لأن الدراسة اقتضت أن ندرس ظاهرة المماثلة والمخالفة دراسة عرضية، استهدفت دراسة الصوت في تفاعله مع بقية الأصوات تأثرا وتأثيرا، وتبيان أثر هذه العلاقة التفاعلية -إن صح القول-، في الهياكل اللغوية الأخرى خاصة الهيكل الصرفي، ومن ثم فإن المنهج الوصفي أنسب لمثل هذا النوع من الدراسة.

هذا وتظهر أحيانا ضرورة الحاجة إلى المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي حينما تحتاج الدراسة إلى تحليل البنى اللغوية صوتيا أو مقطعيا، لتبيين خصائصها وسماتها التمييزية، أوْ حينما نحتاج أحيانا إلى استظهار المراحل التي مرت بها البنية اللغوية في تطورها عبر الزمن، ويتوضح ذلك بشكل جليّ في الفصل الأول لمَّا احتجنا إلى استقراء ظواهر المماثلة والمخالفة، وذكر تطور بعض شواهدهما عبر العصور اللغوية.

وأما المنهج الوصفي والوصفي التحليلي فغلب استعمالها في الفصلين الثاني والثالث، نظرا إلى طبيعة الدراسة المتناولة في هذين الفصلين، فقد استهدفت الدراسة في هذين الفصلين التعرف على صور التأثر بين الأصوات المتجاورة وطبيعته، وما يهدف إليه من خلال التعرف على خصائص الأصوات وسماتها التمييزية، ومقارنة ذلك بقواعد النظام اللغوي في العربية.

وأما مصادر البحث ومراجعه فقد تنوعت بين الدراسات النحوية واللغوية، القديمة منها والحديثة، والدراسات القرآنية وكتب القراءات، القديمة منها والحديثة، وكتب التفسير، ودراسات لغوية أخرى. كما احتاجت الدراسة في شقها الحديث إلى الاستفادة من كتب بعض المستشرقين كفندريس وشام رابين وجان كنتينو وغيرهم، نظرا لما كان لمثل هؤلاء من بالغ الأثر في إضفاء لمسات تجديدية في حقل الدراسات اللغوية وتطبيقاتها على اللغة العربية.

هذا وقد اعترض البحث جملة من الصعوبات، منها صعوبات تتعلق ببعض الدراسات والبحوث المهمة من مثل الإدغام بين القراء والنحاة لعبد الكريم بكار (رسالة ماجستير)، الإدغام عند سيبويه وابن جني لمحمد مالك (رسالة ماجستير)، الأصوات اللغوية في كتاب سيبويه لمكي درّار، الأصوات واللهجات في قراءة الكسائي لعبد الكريم الحسن بكار، والتي حالت العقبات الإدارية دون الحصول عليها.

هذا إضافة إلى افتقار الدرس اللغوي الحديث إلى دراسات جادة، تسبر أغوار النظام اللغوي في العربية وتدرس طبيعته، انطلاقا من دراسة القراءات القرآنية واللهجات العربية والتراث اللغوي للعربية بوجه عام.

ولئن كانت دراسة د.عبد الصبور شاهين (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث) وبحث د. عبده الراجحي (اللهجات العربية في القراءات القرآنية) وغيرهما من الدراسات الجادة في ميدان القرآن والقراءات قد سدّت فراغا معتبرا، فإن الحاجة لا تزال ماسة إلى دراسات أكثر عمقا وأكثر شمولا لوظائف وحدات النظام اللغوي وعلاقة بعضها بالبعض، ولن يتأتى ذلك في اعتقادنا إلا بتطبيق المبادئ الأساسية للسانيات الحديثة.

ويضاف إلى قائمة الصعوبات التي اعترضت البحث فقدان الآلات الخاصة بتحليل الصوت أو الراسم الطيفي، إذ لو توفر هذا الجهاز لأمكننا التعرف على كمية الصوت (Duration) أو زمنه الإنتاجي ولأفادنا ذلك في الدراسة المقطعية أيما إفادة. ولعل العقبة الكبيرة التي تحول دون التوصل إلى نتائج مهمة ومطردة هو إعوازنا إلى الصور النطقية في اللهجات العربية. لأن ذلك – لو تحقق – سيطلعنا لا محالة على طبيعة الأصوات عند الناطقين من أهل العربية ومخارجها وصفاتها. كما سيمكن من الوصول إلى نتائج موضوعية مطردة يمكن الاستقرار عليها، لأن التطور الذي أصاب الهيكل الصوتي للبنية العربية، –والذي أصاب غيره من الهياكل أيضا–، يحول دون دراسة البنية العربية من حيث أصواتها لسبب بسيط، وهو أن البحث في أصوات اللغة –أي لغة– لا بد له من اعتبار الطبقة اللغوية السفلى (Substrat). كما أن انعدام التسجيل الصوتي لأصوات العربية كما نطق بها القدماء، لا يمثل صعوبة فحسب، بل عائقا أمام الباحث في الحقل الصوتي على الرغم مما يمكن أن تغطيه القراءات القرآنية المتواترة من نقص في هذا المجال.

هذا ولا ندعي أننا بهذه الدراسة أتينا بما لم نُسبق إليه، أو أن ما وصلت إليه من نتائج –إن كانت– فصل خطاب في موضوعها، بل إن ما قمنا به مجرد محاولة رجونا من خلالها أن ننضم إلى قافلة البحث عن الحقيقة والحقيقة فقط، مع علمنا أن البحث في وصف اللغات من الصعوبة بمكان، فهو كالبحث عن الورد من خلال الشوك، وإن كانت طريقه جذابة تغري سالكها.

وإن يكن من شيء يقال أخيرا، فإني أشكر لنفر من الأساتذة الكرام يتقدمهم الأستاذان عبد القادر سلامي ومولاي عبد الحفيظ طالبي على ما قدماه من مساعدة كريمة واستعداد دائم خلال إنجاز هذا البحث، وإطلاقهما يداي في مكتبتيهما العامرتين.

أما أستاذي ومعلمي د. سيدي محمد غيثري فإني لا أجد ما أذكره به من عبارات التقدير ومعاني الاحترام، لا لأنه أشرف –متفضلا– على هذا البحث وتابع –مشكورا– أطواره فحسب، بل لأنه أيضا لم يفتئ منذ كنت طالبا في الثانية ليسانس يمدني وزملائي بنصائحه العلمية الجادة ونظراته الثاقبة، خاصة في دعوته إلى توجيه طلبته تلقاء الدراسات الحديثة، وسعيه لطبع سلوكهم العلمي بطابع الحداثة في ميدان الدراسات اللغوية.

هذا وأشكر له أيضا ما تفضل به من توجيهات قوّمت اعوجاج هذا البحث، وكملت ناقصه، وسترت سوءاته، وناقشت عناصره مناقشة لا تقنع بالسطحي من النتائج، على كثرة شواغله.

وأخيرا فإنني أرجو –مخلصا–، أن يكون هذا العمل ضميمة إلى إخوانه، وإضافة جديدة في حقل الدراسات اللغوية، على ما يبدو عليه من نقصان إن منهجا وإن موضوعا وتلك طبيعة كل عمل بشري.

ومن ذا الذي ما ساء قط ومـــن لـــه الحسنـــى فقـــط

والله من وراء القصد

تلمسان، في 2002/05/25

المدخل
في تعريف المماثلة والمخالفة

أ- المماثلة (لغة واصطلاحا).

- أنواع المماثلة.

ب- المخالفة

- صور المخالفة في العربية.
- ظاهرة توالي الأمثال في العربية.

المدخل : في تعريف المماثلة والمخالفة :

أ- المماثلة:

لغة : يقول ابن منظور (ت٧١١م) في مادة (م،ث،ل) : "هذا مثله ومثَله كما يقول شبهه و شَبَهُه قال ابن بري : و أما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين (...) و المثل الشبه، يقول : مِثْلٌ و مَثَلَ ، و شِبْهٌ، و شَبَهٌ بمعنى واحد " [1].

و أما إصطلاحا : فهي – بإختصار– عملية إحلال صوت محل صوت آخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في كلمة أو في جملة [2] .

فقد تتأثر الأصوات اللغوية بعضها البعض في البيئة خلال عملية النطق، و يؤدي ذلك إلى تغيير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها، لكي تتفق في المخرج أو الصفة مع الأصوات المحيطة بها، مما يؤدي في الأخير إلى الإنسجام الصوتي و اختصار الجهد العضلي .

و اللغة العربية في تطورها التاريخي عرفت هذا اللون من التأثر، شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى، يقول إبراهيم أنيس[3] :" و هذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة غير أن اللغات الأخرى تختلف في نسبة التأثر و في نوعه " .

فمن المماثلة –في العربية مثلا – أن الطاء و الظاء و الصاد تتنافر مع تاء الإفتعال، لأن هذه الأصوات مطبقة مفخمة، و تاء الإفتعال منفتحة مرققة، و لا يخفي هنا ما يجده الناطق من عسر في الإنتقال من تفخيم إلى ترقيق، فيأخذ المرقق صفة التفخيم ليحدث الإنسجام الصوتي فتبدل تاء الإفتعال طاء فيقال في: (اظتلم و اطتلع. و اضترب واصتدم) اظطلم، و اطّلع و اضطرب و اصطدم [4].

و من التماثل أيضاً أن الدال و الذال و الزاي تتنافر مع تاء الإفتعال، لأن هذه الأصوات مجهورة، و تاء الإفتعال مهموسة، و يجد الناطق عسرا و مشقة في الخروج من جهر إلى همس، فيجهر المهموس ليحقق الإنسجام و يختصر الجهد العضلي فيقول في (ازتهر و اذتكر و ادتعى) ازدهر و اذدكر و ادعى، مبدلا بالتاء دالا لأن الدال هي النظير المهجور للتاء.

---

[1] لسان العرب (م، ث،ل) مج 210/11.

[2] D. jones An outline p.217.

[3] الاصوات اللغوية ص179

[4] يراجع محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة ص212.

أنواع المماثلة:

يحدث في كلام المتكلمين أن تجتمع مجموعة من الأصوات لا انسجام لها فيجد -إثر ذلك- المتكلم عسرا في النطق فيهرب إلى التخلص من هذه المشقة بتبديل بعض الأصوات ببعض، أو بإلباس بعض الأصوات صفات بعض ،لتحقيق التناسب الصوتي، و هذا الذي أسميناه من ذي قبل بالمماثلة أو التماثل.

و لما كانت المماثلة لونا من ألوان تأثر الأصوات بعضهاوبعض، سواء أكان تأثر الأول بالثاني في التركيب أم الثاني بالأول، و سواء أكان التأثر كليا بفناء أحد الصوتين في الآخر، أم جزئيا في بعض خصائص أحدهما، فإن علماء الأصوات وضعوا اصطلاحات تحدد نوع التأثر بين الأصوات الناتج عن قانون المماثلة.

فإن تأثر الصوت الثاني بالأول فالمماثلة مقبلة، و إن حدث العكس فالمماثلة مدبرة، و إن حدثت مماثلة تامة، أي وصل الصوتان إلى أقصى درجات التأثر و هو الإدغام، فالمماثلة كلية، و إن كانت في بعض خصائص الصوت فالمماثلة جزئية.

- ***المماثلة المقبلة الجزئية المتصلة[1]:***

1-تتأثر تاء الإفتعال بالأصوات الطبقية قبلها إذا كانت فاء في (افتعل) فتقلبها، أي هذه الأصوات طاء في مثل (ضرع، ضغن، صنع، طلع، طهر، ظهر)، و الذي حدث هو مجاورة هذه الأصوات المطبقة المستعلية لتاء الإفتعال المنفتحة المستفلة و الإنتقال من صوت مستعلي مطبق إلى صوت مستفل منفتح فيه من الصعوبة ما فيه إذ إنه يشبه الإنحدار من أعلى إلى أسفل.

و الذي يقتضيه المقام هو قلب تاء الافتعال إلى صوت قريب من الصوت السابق عليها له صفة الإطباق، حتى يتحقق الإنسجام الصوتي. و من هنا ف (اضترع ، اضتغن، اصتنع، اطتلع، اطتهر، اظتهر) من الصعوبة بمكان النطق بها، فتنقلب تاء الافتعال فيها طاء لتصير (اضطرع، اضطغن، اصطنع، اطّلع، اطّهر، اظطهر)[2]

---

[1] لكل دارس من علماء الأصوات حديثا اصطلاح لهذه الظاهرة، فمنهم من يسميها مماثلة (ينظر صالح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات ص 78 ، و ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص 189 و غيرهما)، و منهم من يسميها توافقا (ينظر فندريس، اللغة ص 91)، و منهم من يسميها تأثرا (ينظر رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص 24).

2- سيبويه ، الكتاب: 421/2.

و إذا أخذنا صيغة (افتعل) مما فاؤه دال أو ذال أو زاي فلا يخفى أن فيها صعوبة على اللسان لما بين هذه الأصوات و تاء الافتعال من التباين الصوتي؛ فتاء الافتعال مهموسة شديدة و هذه الأصوات مجهورة رخوة فينبو اللسان عن النطق السليم السهل مما يدعو إلى تحقيق الإنسجام الصوتي.

فقولنا في (دان، ذكر، زاد)، (ادتان، اذتكر، ازتاد) فيها ثقل كبير على اللسان و بالتالي تقلب تاء الافتعال دالاً، فيقال: (ادّان، اذدكر، ازداد) فيتحقق الإنسجام الصوتي [1].

1- تتأثر تاء الافتعال بصوت الجيم إذا كان فاءَ للفعل، فتقلب دالاً في بعض اللهجات القديمة مثل اجتمع = اجدمع، اجتزّ=اجدزّ، يقول ابن جني "و قد قلبت تاء افتعل دالاً مع الجيم في بعض اللغات [اللهجات]، قالوا اجدمعو في اجتمعوا و اجدزّ في: اجتزّ، و أنشدوا:

فقلت لصاحبي لا تحبساني بنزع أصوله و اجدزّ شيحاَ

و لا يقاس ذلك إلا أن يُسمع، لا تقول في اجترأ: اجدرأ، و لا في اجترح، اجدرح" [2]

و يقول سيبويه : "و قد قربوها [أي الجيم من تاء الافتعال] منها في افتعلوا حين قالوا : اجدمعوا أي اجتمعوا، و اجدزءوا يريد اجترءوا، لما قربها منها في الدال و كان حرفا مهجورا، قربها منها في (افتعل) لتبدل الدال مكان التاء، و ليكون العمل من وجه واحد، و لا يجوز أن يجعلها زاياَ خالصة و لا الشين، لأنهما ليس من مخرجها" [3]

- تتأثر التاء بالأصوات المجهورة قبلها فتقلب ذالا في بعض اللهجات القديمة مثل يجثوا =يجذوا، تلعثم = تلعذم.

- تتأثر الزاي و السين بما قبلهما في "نشز" و "جبس"، روى ذلك أبو الطيب اللغوي [4] قال : "يقال في "نشز": نشس"، كما يقال في رجل "جبس" للرجل الدنيء: "رجل جِبْز".

ففي المثال الأول تأثرت الزاي المجهورة بالشين المهموسة قبلها ، فقلبت إلى نظيرها المهموس و هو السين، و في المثال الثاني تأثرت

---

[1] عبدالغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية ص 232.

[2] سر صناعة الإعراب : 201/1.

[3] الكتاب: 479/4.

[4] الإبدال : 118/2.

السين المهموسة بالباء المجهورة قبلها فقلبت إلى نظيرها المجهور و هو الزاي.

-المماثلة المقبلة الجزئية المنفصلة:

-تتأثر الدال بالرّاء قبلها في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري فتنقلب إلى نظيرها المفخم، و هو الضاد لأن الراء ذو قيمة تفخيمية مثل معربد = معربض و نحو افلتَ و أفلط، و تنسب الأخيرة لبني أسد، الأيم و الأين و تنسب الأخيرة لبني تميم [1].

و نشير إلى صوت الراء في العربية من خصائصه الميل إلى تفخيم بعض الأصوات المجاورة له مثل قولنا صور" في "سور" و "أخرص" في "أخرس" و "رفص" في "رفس" [2].

-و كما يكون التأثر بالمجاورة بين الأصوات الساكنة يكون بين أصوات اللين أيضا، و من أمثلة ذلك تأثر الكسرة بالضمة في مثل قوله تعالى *الحمدُ للهِ * -بضم الدال و اللام- و قراءة *الملائكةُ اسجُدُوا * - بضم التاء. [3]

-تتأثر الذال بالقاف قبلها، فتنقلب إلى نظيرها المفخم و هو الظاء في بعض اللهجات القديمة، يقال للشاة التي تضرب بخشبة حتى تموت، وقيذ ووقيظ، و يقول ابن جني "يقال: تركته وقيذا و وقيظا، و الوجه عندي و القياس أن تكون الظاء بدلا من الذال لقوله عز اسمه: *و الموقوذة *، بالذال، و لقولهم وقذه يقذه، و لم أسمع : وقظة و لا موقوظة ، فالذال أعمّ تصرفاً فلذلك قضينا بأنها الأصل" [4]

-المماثلة المقبلة الكلية المتصلة :[5]

-تتأثر تاء الإفتعال غالبا بالذال أو بالصاد أو بالضاد قبلها فتقلب ذالا أو ضادا مثل اذتكر = ادّكر، اضتجع = اضّجع، اصتبر = اصّبر.

-تتأثر الإفتعالات دائما بالدال أو بالطاء قبلها ، فتقلب دالا أو طاءا مثل ادترك = ادّرك ، ادتهن =ادّهن ، اطتلب = اطّلب ، اطتلع = اطّلع ، اطترد = اطّرد.

---

[1] صلاح الدين صالح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات ص 88.

[2] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص 28.

[3] عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية ص 234.

[4] سر صناعة الإعراب: 233/1.

[5] رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي ص 24.

-تتأثر تاء الفاعل بلام الفعل إذا كانت طاء ، فتقلب طاء في بعض اللغات (اللهجات) القديمة ، و على هذه اللغة جاء قول علقمة بن عبد الله التميمي :

و في كلّ حيّ قد خبط بنعمة فَحُقَ لشأس من نداك ذنوب

و الذي حدث في هذه الحالة هو سقوط الصامت الثاني فيطرأ تغيير في فترة انتاج الصوت الأول من المخرج ، فالزمن الذي ستبقى فيه أعضاء النطق في الوضع اللازم سيكون ضعف الزمن اللازم لنطق الصوت العادي ؛ لأن الأعضاء الصوتية ستقوم أولا بنطق الصوت الأول مع عدم مغادرتها مكان إنتاجه أو مخرجه، ثم تقوم بعد ذلك بإنتاج الصوت الثاني المشابه للصوت الأول و هو المعروف بالإدغام، وهو أقصى ما تصله إليه درجة التأثر .

المماثلة المقبلة الكلية المنفصلة:[1]

و فيها يتبع الصوت الأول بحركة نحو قوله تعالى ***يدرككم*** (يُدركُم). و من أمثلتها تأثر حركة الضم في ضمير النصب و الجر الغائب المفرد المذكر (ـهُ) و الجمع المذكر (ـهُم)، الجمع المؤنث (ـهُنّ) و المثنى (ـهُمَا) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة ، أو ياء، فتقلب الضمة كسرة مثل برجلِهُ = برجلِهِ ، فيهُ = فيهِ ، عليهُ = عليهِ ، ضريبتِهُ = ضريبتِهِ ، بصاحبهمُ = بصاحبِهم ، بهُمَا = بهِمَا ، و في قراءة حفص عن عاصم : * وَ مَا أنْسَانِيهُ إلاَّ الشَّيْطَان * [2] على الأصل في حركة هذا الضمير ، و فيها كذلك * وَ مَنْ أوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ الله *[3].

و قد حافظت القبائل الحجازية على هذا الأصل في نطقها ، قال سيبويه " فالهاء تكسر إذا كانت قبلها ياء أو كسرة و ذلك قولك مررت بهي قبل، ولديهي مال، و مررت بدارهي قبل ، و أهل الحجاز يقولون ، مررت بهو قبل، ولديهو مال ، و يقرءون * فَخَسَفْنَا بِهُو وَ بِدَارِهُو الأرْضَ * [4]

---

[1] المرجع السابق ص 24 .

[2] سورة الكهف : 63.

[3] سورة الفتح:10 .

[4] الكتاب : 294/2 ، و المقتضب للمبرد : 37/1 ، و التسهيل لابن مالك ص 24 .

المماثلة المدبرة الكلية المتصلة :

- تتأثر لام التعريف بما بعدها في أصوات الصفير و الأسنان و الأصوات المائعة (الراء ، اللام ، النون) و هي ما يطلق عليها الحروف الشمسية ، فتدغم فيها، و قد جمعها أحد الشعراء في أوائل كلمات البيت التالي:

طب ثم صل رحما تفز ضف ذا نعم دع سوء ظن زر شريفا للكرم

- تتأثر التاء في مضارع صيغتي - تفاعل و تفعّل[1]- بعد تسكينها للتخفيف - تتأثر بفاء الفعل إذا كانت صوتا من أصوات الصفير أو الأسنان، ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي مثل:

يتذكّر ← يَتْذَكَّرُ ← يدّكّر ← أدّكّر (في الماضي).

يَتطّهر ⇐ يتْطَهّر ⇐يطّهّر ← اطّهّر (في الماضي).

ويرى بعض المحدثين[2] أن هذه الظاهرة كانت في سبيل التطور في العربية الفصحى عندما جاء الإسلام ودليل ذلك هو وجود أمثلة في القرآن الكريم حدث فيها التطور مثل قوله تعالى* **اثّاقَلْتُم إلىَ الأرْضِ***[3]، ***بل ادّارك عِلْمُهُم في الآخِرَة***[4]، ***وَمَا يَذَّكَرُ إلاَّ أولُو الألْبَابِ***[5]،* **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يزَّكَى أو يذَّكر فتَنْفَعُهُ الذّكرَى***[6]، ***حتَّى إذَا أخَذَتِ الأرضُ زُخرفَهَا وازّيَّنَتْ***[7] هذا إلى جانب أمثلة لم يحدث فيها تطور كقوله تعالى ***وَمَا يَتَذَكَّر إلا مَن يُنِيبُ *[8] ، ***قَالُوا إنّا تطيرنا بِكُم***[9].

"وقد ظل هذا التطور سائرا في طريقه في لهجات الخطاب ، حتى ساد وحده وقضى على الظاهرة القديمة ، ففي اللهجة العامية المصرية نقول مثلا : فلان اصّدعت دماغه واسّرّع في كلامه، واشّهّى الأكل واصّوّر واطّوّع في الجيش، ولا أثر للصيغة القديمة في لهجات

---

[1] ينظر عبد الغفار حامد هلال اللهجات العربية نشأة و تطورا صفحة368

[2] رمضان عبد الثواب، التطور اللغوي ص 29.

[3] سورة التوبة من الآية 38.

[4] سورة النمل : 22.

[5] سورة البقرة: 269.

[6] سورة عبس: 4.

[7] سورة يونس: 24.

[8] سورة غافر: 13.

[9] سورة يس: 18.

الخطاب، إذ لا يقال فيها مثلا : فلان تَصدّعت دماغه، وتسَـــرّع فـــي كلامه، وتشهّى الأكل ، وتصوّر ، وتطوّع في الجيش"[1]

ومن الصيغ التي ماتت أيضاً صيغة "تفاعل" وحلّت محلّـــها صيغـــة "اتفاعل" التي ولدت في عصر نزول القرآن الكريم ، فنســـمع الآن فـــي لهجات الخطاب فلان اطّاول على فلان ، اشّاتم هوّ هوّ ، واسّاهل معـــاه، واصّالحوا سوا، بدلا من تطاول عليه، وتشاتم، وتساهل، وتصالح.

– كما يمكن عدّ أمثلة مثل : عبدتّ، وربطتّ من المماثلة الكلية المدبرة، ذلك أن التاء أثرت في الدال والطاء فأبدلتا تاء مشدّدة[2].

– تتأثر اللام في كلمة "بل" بالراء التي تأتي بعدها في الكلمـــة التاليـــة فتقلب راء. كقول الشاعر :

عافت الماء في الشتاء فقلنا بل رديه تصادفيه سخينا

فإنها تنطق (بردیه).

– تتأثر النون في حروف مثل : إن وأن ، ومن ، وعن بـــالميم والـــلام التي تليها فتقلب ميما أو لاما مثل : إما ، وأما ، ومما وعما.

– تتأثر الراء في بعض قراءات القرآن باللام بعدها في مثل قوله تعـــالى ***يغفر لكم***[3]، فتقلب لاما، وقد أنكر ذلك ابن جنى في قولـــه "اعلـــم أن الراء لما فيها من التكرير، لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير"[4].

والذي يقصده ابن جنى بالوفور هنا هو ما للراء من فضيلة التكرير ولذلك فهي أقوى من اللام؛ لأن المذهب عنده هو "أن تدغم الأضعف في الأقوى"[5] أو كما لخصه السيرافي في قوله "الأقل تفشيا يدغم في الأكـثر تفشيا"[6].

و الحق إن لهذه الفكرة ما يؤيدها في الدراسات الصوتية الحديثـــة وهو ما صاغه اللغوي الفرنسي "جرامون" في "قانون الجـــهد الأقـــوى"، ويعني أنه حين يؤثر صوت في آخر، فإن الأضعف بموقعه في النطـــق أو بامتداده النطقي هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر[7].

---

[1] المرجع السابق ص 30.

[2] يراجع برجستراسر، التطور النحوي ص 30 ،و كانينو ، دروس في علم أصوات العربية ص 53.

[3] سورة آل عمران: 31.

[4] سر صناعة الإعراب: 206/1.

[5] المنصف: 328/2.

[6] شرح السيرافي: 506/6

[7] أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ص 319.

و ما يبرر أيضا هذا الإدغام هو "قرب المخرج مع اتحاد في الصفة لأن كل منهما [اللام ، الراء] صوت متوسط بين الشدة والرخاوة ، ولا يكاد يسمع للراء حفيف مثلها في ذلك مثل أشباه أصوات اللين التي منها اللام. هذا إلى أن الراء في نظر المحدثين أوضح الأصوات الساكنة في السمع، فهي لهذا تشبه اللام و النون و الميم التي تعتبر حلقة وسطى بين أصوات اللين و الأصوات الساكنة، وكل الذي يتطلبه إدغام الراء في اللام هو ترك التكرار المختصة به الراء"[1].

- تتأثر اللام بالشين والثاء والتاء بعدها مثل قول طريف العنبري :

تقول إذا استهلكت مالا بلذه فكيهة هشى بكفيك لائق.

يريد هل شيء... وقرأ أبو عمرو [ابن العلاء] "هتوب الكفار" يريد "هل ثوب الكفار" ... وقرئ "بتؤثرون الحياة الدنيا" ، يريد "بل تؤثرون"، وقال مزاحم العقيلي :

فدع ذا و لكن هتعين متيما على ضوء برق آخر الليل ناصب

يريد: هل تعين[2].

- المماثلة بين الواو والياء والحركات المجانسة لهما[3]:

أولا : عندما يكون الصوت المؤثر هو الواو أو الياء و المتأثر هو الواو أو الياء أيضا:

- تؤثر الياء على الواو الساكنة السابقة لهما مباشرة فتتحول إلى ياء :

نحو: شوي ← شي ، كوي ← كي.

ثانيا : عندما يكون الصوت الثاني المؤثر حرف الواو أو الياء والصوت الأول المتأثر حركة:

- تؤثر الياء الساكنة على الضمة السابقة لهما مباشرة فتتحول إلى كسرة ثم تصبح الياء الساكنة حرف مد للكسرة السابقة بيض← بيض.

ثالثا : عندما يكون الصوت المؤثر حركة والمتأثر حرف الواو أو الياء:

1. تؤثر الكسرة على الياء السابقة لها فينتج كسرة طويلة وتنقل هذه الحركة إلى الساكن قبلها نحو: يسير، مصيب، والأصل يسير و مصيب.
2. تؤثر الكسرة على الواو السابقة لها فتتحول إلى ياء ثم تتحول الكسرة والياء إلى كسرة طويلة فتنتقل إلى الساكن قبلها نحو مصوب ومصيب، مضيوف ومضيف ، مقول ومقيل.

---

[1] ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص 200.

[2] سيبويه، الكتاب: 417/2.

[3] صلاح الدين صالح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات ص 80.

3.تؤثر الضمة الطويلة على الواو السابقة لها فينتج ضمة طويلة وتنتقل إلى الساكن قبلها نحو : يقول ويقول.
4.تؤثر الضمة الطويلة على الواو السابقة لها فتسقط وتنتقل الضمة الطويلة إلى الساكن قبلها نحو : مصووون ← مصون.

- المماثلة المدبرة الكلية المنفصلة/:

وفيها يكون الصامت الأول متبوعا بحركة فيسقط، نحو قوله تعالى ***يعذ ب من يشاء*** ← يعذ / من يشاء، *وقولهم على مريم بـــهتانا * ← وقولهم على مريـــ / بهتانا.
نخسف بهم ← نخس / بهم[1].

- كلمة ʾemza (ግምዓ) في الحبشية تقابل كلمة "منذ" العربية، وهي في الحبشية مركبة من : em بمعنى "من" و za بمعنى اسم الموصول "ذو" الطائية، قال صاحب اللسان[2] "حكي عن ابن سليم : ما رأيته منذ ست بكسر الميم" وهذا يدل على أن أصل "منذ" العربية هو : (من+ذو)، فقلبت كسرة الميم ضمة تأثرا بضمة الذال بعدها، ولهذا فليس من الصواب أن يقال : إن الذال في منذ "ضمت اتباعا لحركة الميم، ولم يعتد النون حاجزا"[3].

و ذكر أحد الدارسين المحدثين أن كسرة الميم في صيغتي اسم الآلة: مفعل ومفعلة تطورت إلى فتحة وذلك – حسب رأيه– مطرد تملم الاطراد في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري، إذ تتأثر حركة الميم بحركة العين، وذلك من نوع التأثر المدبر الكلي المنفصل مثل : مقود، ومسن، ومقنع للثوب الذي يغطي به الرأس، ومطرد للرمح الصغير، ومخدة ومزغدة للوسادة، وقد استمر ذلك في القرون، فقد روى ابن هشام اللخمي (ت 577هـ) أن الأندلسيين كانوا يقولون : مصيده، ومطرقة مغرفة، مرود، مشرط، منجل، منبرة مكنسة، مروحة، ملعقة[4].

- المماثلة المدبرة الجزئية المتصلة :

تتأثر الصاد الساكنة قبل الدال فتتحول إلى زاي وذلك في مثل قولنا "يصدر، ومصدر" ونحوهما، فبعض القبائل العربية تقلب الصاد زايا خالصة لما بين الدال والصاد من التنافر؛ فالصاد مهموسة والدال مجهورة ويقتضي الانسجام جعلهما معا مجهورين.

---

[1] جان كانتينو، دروس في علم الأصوات العربية ص 31.

[2] ابن منظور (منذ): 47/5.

[3] الكتاب: 45/2.

[4] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص 33 ، ولحن العامة والتطور اللغوي 190-191.

- تتأثر النون الساكنة بالباء التالية لها، فتقلب إلى صوت من مخرج الباء وهو الميم إذ هو شفوى كالباء، وهذا هو ما سماه علماء القراءات العرب بالإقلاب في قوله تعالى ***من بعد ما جاءتهم البينات***[1] وقوله تعالى ***عليم بذات الصدور***[2] وقوله ***إذ انبعث أشقاها***[3]، ومثل ذلك قول عامة الناس اليوم "ممبر في "منبر"[4].

- تتأثر الزاي بالحاء إذا كانت تالية لها في مثل قولنا "يسحف" في "يزحف"، فقد تأثرت الزاي المجهورة بالحاء المهموسة فقلبت الزاي إلى نظيرها المهموس وهو السين[5].

المماثلة المدبرة الجزئية المنفصلة :

- تتأثر الصاد قبل الراء فتقلب زايا في بعض قراءات القرآن الكريم مثل : "زراط" في "صراط"، وأصل الصاد سين ونظرا لاجتماع السين مع الطاء بعدها قلبت السين صادا، وذلك معروف عند أهل البادية في كلمات مثل "يساقون"، "أسبغ" وغيرها.

وتفسير ذلك أن اجتماع السين مع الطاء أو القاف و العين[6] في مثل تلك الأمثلة يفيد أن السين صوت مستفل، وهذه الأصوات مستفلة فأبدلت السين صادا لتقرب منها في الاستعلاء[7].

والحق أن القراء اختلفوا في نطق لفظ "الصراط" بالتعريف و"صراط" بالتنكير (بالصاد) والسراط وسراط (بالسين).

أما السين فهي لغة عامة العرب، وقرأ البعض الآخر بالصاد المشمة صوت الزاي حيث وقعا كذلك وهي لغة "قيس".

وقرأ معظم القراء بالصاد الخالصة وهي لغة قريش[8].

وتوجيه ذلك أن من قرأ بالسين جاء على الأصل؛ لأنه مشتق من السرط[9] وهو البلع ومما يدل على أن السين هي الأصل أنه لو كانت الصاد هي الأصل لم ترد إلى السين وذلك لضعف السين عن الصاد،

---

[1] سورة البقرة :من الآية : 209 .

[2] سورة الملك :من الآية : 13 .

[3] سورة الشمس : 12 .

[4] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص 35.

[5] نفسه والصفحة نفسها.

[6] زاد برجستراسر على هذه الحروف حرفي الغين والخاء. ينظر التطور النحوي ص 33.

[7] سيبوية ، الكتاب: 428/2، وابن جني ، الخصائص: 44/2 و 168 ، وسر الصناعة: 56/1، والمحتسب: 283/2.

[8] ينظر ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر: 270/1.

[9] جاء في مختار الصحاح للرازي سرط الشيء بلعه واسترطه ابتلعه (س، ر، ط) ص 128.

وليس من أصول كلام العرب أن يردوا الأقوى للأضعف وإنما أصولهم في الحروف عند الإبدال أن يردوا الأضعف إلى الأقوى[1].

هذا وهناك من القراء من قرأ بالإشمام فلما رأى الصاد فيها مخالفة للطاء في صفة "الجهر"، أشم الصاد صوت الزاي، وذلك للجهر الذي فيها، فصار قبل الطاء حرف يشبهها في "الإطباق والجهر" وحسن ذلك لأن الزاي تخرج من مخرج السين، والصاد مؤاخية لها في صفة "الصفير والرخاوة"[2].

ـ تقلب السين قبل الطاء في بعض قراءات القرآن كما جاء في رواية ورش عن نافع *أم هم المصيطرون*، ***لست عليهم بمصيطر*** بإخلاص الصاد[3].

التأثير المتبادل : وفي هذا النوع من المماثلة الصوتية يتم التماثل على مراحل ويتراوح بين التأثير المقبل الجزئي، والمدبر الكلي في حالة الاتصال من ذلك مثلا[4]:

1- تؤثر الذال من "ذكر" في تاء الافتعال من هذا الفعل "اتذكرى فتقبلها دالا "اذدكر" وهذا من نوع التأثير المقبل الجزئي في حالة الاتصال، ثم تؤثر الدال في الذال فتقلبها دالا "ادكر" وهذا من نوع التأثير المدبر الكلي في حال الاتصال، وجاء ذلك في مثل قوله تعالى ***وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة***[5].

2-تؤثر الذال من "ذخر" في تاء الافتعال من هذا الفعل "اذتخر" فتقلبها دالا "اذدخر"، وهذا من نوع التأثير المقبل الجزئي في حال الاتصال، وجاء ذلك في مثل قوله تعالى *وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم *[6].

وقد فطن الزجاج إلى هذا فقال : "وإنما قيل: تدَّخرون وأصله تذتخرون أي تفعلون في الذخر، لأن الدال حرف مجهور...والتاء مهموسة، فأبدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال في جهرها

---

[1] ينظر محمد سالم محيسن ، القراءات وأثرها في علوم العربية : ج101/8.

[2] ابن الجزري ، النشر : 390/2.

[3] يراجع الفراء ، معاني القرآن: ٩٨٦/٢ وما بعدها .

[4] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص 49.

[5] سورة يوسف : 45 .

[6] آل عمران 49.

فصار : يذدخرون ثم أدغمت الذال في الدال، وهذا أصل الإدغـــام، أن تدغم الأول في الثاني"[1].

3-ومن ذلك العدد "ستّ" في العربية الأصل فيه "سِدس" بدليـــل العـــدد الترتيبي "السادس" والكسر "سُدس".

يقول ابن جني "فلما كثرت في الكلام أبدلوا السين تاء كقولهم النات في الناس ونحوه فصارت سدت[2] فلما تقارب الحرفان مـــن مخرجيـــهما أبدلت الدال تاء وأدغمت في التاء فصارت ستّ[3]"

التأثر بين الحركات والصوامت /:

تتأثر الصوامت بعضها وبعض وتتأثر الصوائت بعضها وبعـــض وهذا ما لاحظناه فيما سبق من الأمثلة، غير أن المماثلة أو التـــأثر قـــد يحدث بين الصوائت والصوامت؛ فتؤثر الحركات علـــى الصوامـــت أو تؤثر الصوامت على الحركات، وفيما يلي عرض لأمثلة هذين النوعين :

1-تأثير الحركة على الصامت :

قد تؤثر الحركات الأمامية كالكسرة الممالة أو الفتحـــة المرققـــة أو الكسرة الخالصة ونحوها على أصوات أقصى الحنك كالقـــاف والجيـــم والكاف، فيؤدي هذا التأثير إلى نوع من الانسجام الصوتي مرده إلـــى أن هذه الصوامت (القاف، الجيم والكاف) هي صوامت خلفية لأن مخارجها من أقصى الحنك أو الغار، وتلك الحركات أمامية، فيؤدي ذلك إلى انتقال مخارجها إلى الأمام قليلا أي من مقدمة الفم.

هذا ويغلب على هذه الأصوات الجديدة أن تكون مـــن الأصـــوات المزدوجة أي التي تجمع بيـــن الشـــدة والرخـــاوة وتســـمى باللاتينيـــة AFFRICATA، واكتشف اللغويون الأوربيون قانونا لذلك في أواخر القـــرن التاسع عشر: هو قانون الصوت الحنكي PALATAL Law.

وملخص هذا القانون أن علماء الأصوات لاحظـــوا حيـــن عقـــدوا المقارنة بين صور الألفاظ الإغريقية واللاتينية، وما صارت إليـــه هـــذه الصور في اللغات الأوربية الحديثة أن الصوتين اللذين مخرجهما مـــن

---

[1] معاني القرآن وإعرابه : 419/1.

[2] يرى د. رمضان عبد التواب في التطور اللغوي ص50 (الهامش) أن برجستراسر أخطأ حين ظن أن أصل "ست" هو "سدث"، وأشار هو نفسه في إخراجه لكتاب برجستراسر التطور النحوي ص32 (الهامش) أن تصحيفا وقع للثاء والأصل هو التاء، وعلى هذا فلا معنى لوجه الخطأ هنا. ولعل أصل "ست" ليس عربيا بدليل ما ذكره برجستراسر من أنها كانت موجودة في الكتابات اليمانية العتيقة (ص 32)، أو أن أصلها من اللغة الآرامية،فالكلمة فيها (ڤڤ šet) ، و هذا ما يؤيد قول القائلين بأن كثيرا من كلمات العربية أصلها ليس عربيا ، و بنوا على هذا الأساس الاتجاه المقارن في دراسة اللغة (راجع فندريس ، اللغة ص 387 و ما بعدها).

[3] الخصائص: 472/2 .

أقصى الفم، وهما الجيم الخالية من التعطيش والكاف، قد تطورا في كثير من كلمات اللغات الأوربية الحديثة[1].

فالجيم العربية مثلا ليس لنا من دليل يوضح لنا كيفية نطقها عند فصحاء العرب، إلا أننا إذا نظرنا إلى نظيراتها في الساميات فيمكن القول بأنها صوت طبقي شديد مجهور، وامتدادها الحالي يتمثل في الجيم المعروفة بالجيم القاهرية.

يبد أن وقوع الكسرة بعدها أثر فيها فصارت صوتا مزدوجا لموافقة الكسرة بعدها، وهي تبدأ بدال من الغار وتنتهي بشين مجهورة، وقد عمم القياس اللغوي في مرحلة تالية هذا النطق الجديد في كل جيم، طردا للباب على وتيرة واحدة.[2]

والقاف تأثرت في نطق أهل مدينة "الرياض" القدامى بالكسرة التالية لها فتقلب صوتا مزدوجا مزجيا من مقدمة الفم مكون من الدال والزاي (dz) في مثل قولهم "دزبلة" في "قبلة"و "دزليب" في "قليب"[3].

وقد حدث للكاف في بعض اللهجات القديمة ما حدث للقاف والجيم؛ وذلك في الظاهريتين المعروفتين بالكشكشة والكسكسة، فتتأثر الكاف بالكسرة التالية لها فتتحول إلى صوت مزدوج من مقدمة الفم لتوافق الكسرة وهو صوت "تش" في الكشكشة عند ربيعة ومضر، في مثل "تشيف حالك"، وصوت "تس" في الكسكسة عند بكر وأسد[4].

هذا وينكر بعض المحدثين[5] هذا التعليل الصوتي لظاهرتي الكسكسة والكشكشة وأن الكاف فيها صوت مزدوج، يقول ما نصه "إن هذا غير صحيح لأننا لم نسمع به مطلقا على طريقة النطق والكتابة، ولم يرد في كتب القدماء، – وإن شاع ذلك في بعض النطق الحديث بالجزيرة العربية بما أبعده عن الفصيح–، ولا يحتج به فقد تغير نطق بعض الأصوات وشوه تشويها خطيرا، فقد تحول – في نطق أهل الرياض–

---

[1] ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ص 80، ويراجع رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص 132 (فصل قانون الأصوات الحنكية)، ويسمى ماريوباي هذا القانون بالتغوير PALATALIZATION (أسس علم اللغة ص 144).

[2] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص 52، وابراهيم أنيس الأصوات اللغوية ص 78 وما بعدها.

[3] ينظر رمضان عبد التواب ، بحوث ومقالات في اللغة ص10 ، والتطور اللغوي ص51.

[4] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص 52.

[5] هو د. عبد الغفار حامد هلال، وينسب للدكتور ابراهيم أنيس، تفسيره لظاهرتي الكسكسة والكشكشة بقانون الأصوات الحنكية – السابق الذكر – في حين أن من فسرهما بهذا القانون هو د . رمضان عبد التواب. أما ما فعله د. أنيس هو تفسيره لتطور الجيم الفصيحة بهذا القانون. (ينظر عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا ص165، و د. أنيس، الأصوات اللغوية ص 80 و ما بعدها و ص 85، ورمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص52).

صوت الكاف –أول الكلمة إلى (تس) مثل : كيف حالك (تسيف حالك) وفي وسط الكلمة كذلك، فكلمة (باكر) تنطق هناك (باتسر) فلا يعول على هذا النطق المحرف لتفسير الفصيح من كلام العرب"[1].

والذي يبدو لي-ومن خلال ما هو معروف- أن كثيرا من اللهجات العربية التي شكلت مادة الفصحى، صار لها امتداد في بعض لهجات العرب الحديثة، حتى وإن كانت هذه اللهجات توصف بالعامية.

وقد كانت لبعض المحدثين[2] جهود مشكورة في ربط كثير من الظواهر اللهجية بأصولها الفصحى في اللهجات القديمة، ومن بين ذلك ظاهرتا الكشكشة والكسكسة.

وأما القول بأن كثيرا من الأصوات شُوِّه نطقُها في مثل الابتداء بـ "تس" بدل الكاف، أو تحول الكاف إلى "تس" في وسط الكلمة، فقد ورد ذلك عن قبيلة بكر[3] إضافة إلى أنه طرد للباب على وتيرة واحدة وهو من قبيل القياس اللغوي.

– يؤثر الضم الذي هو صوت لين خلفي على الصوت الساكن، و ذلك باجتذابه معه إلى الخلف، و يتضح ذلك من خلال أمثلة قرآنية تشتمل على انتقال الصوت من مخرجه مثل الجيم من كلمة "جلودهم" في قوله تعالى *نضجت جلودهم * و الشين في "شهداء" من قوله تعالى ***بأربعة شهداء*** و الثاء في حيث من قوله تعالى ***حيث شئتما*** ، و السين في "الرأس" من قوله تعالى ***واشتعل الرأس شيبا***.

و تأثير الضم على الجيم و الشين والثاء و السين جعل مخارجها تنزاح قليلا إلى الخلف [4].

2) تأثير الصامت على الحركة :

من أمثلة هذا الباب فتح عين مضارع "فعل" قبل حروف الحلق في العربية واللغات السامية، فالفعل الماضي "فتح " مثلا كان المفروض أن يكون مضارعه "يفتُح" أو "يفتِح" بضم العين أو كسرها تبعا لقانون المغايرة (POLARITY) عند علماء اللغة في اشتقاق المضارع من الماضي. غير أنها تحولت إلى فتحة، لوقوعها مع صوت الحلق في مقطع واحد، و يعلل برجستراسر سبب هذا التحول بقوله "إن اللسان في نطق الحروف

---

[1] عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا ص188.

[2] ينظر رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة ص 275.

[3] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص52.

[4] يراجع ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ص 257

الحلقية يجذب إلى وراء مع بسط و تسطيح له، و هذا عين وضعه في نطق الفتحة" [1] .

وقد حدث هذا التطور الصوتي أول ما حدث، في صيغة المضارع المجزوم بالسكون، لأن الحركة مع صوت الحلق تقع فيه وحده في مقطع واحد، و قياسا لطرد الباب على وتيرة واحدة، في المضارع المرفوع و المنصوب، والذي تحرك فيه حرف الحلق، بسبب اتصاله بالنهايات مثل: يفتح، يفتح، و يفتحون ... إلخ [2].

قال ابن جنى "فعل يفعل" مما عينه أو لامه حرف حلقي، نحو سأل، يسأل، و قرأ يقرأ، و سعر يسعر، و قرع يقرع، و سحل يسحل، و سبح يسبح، و ذلك أنهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق، لما كان موضعا منه مخرج الألف التي منها الفتحة"[3].

وقال صاحب إصلاح المنطق "و ما كان ماضيه على فعل، مفتوح العين، فإن مستقبله [4] يأتي بالضم أو بالكسر، نحو ضرب يضرب، و قتل يقتل، و لا يأتي مستقبله بالفتح إلا أن تكون لام الفعل أو عين الفعل أحد الحروف الستة، و هي حروف الحلق، الخاء و الغين و العين و الحاء و الهاء، و الهمزة "[5]

ب- **المخالفة/:**

قد تشتمل الكلمة على صوتين متماثلين كل التماثل فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتنتج المخالفة بين الصوتين، "و قد دلت البحوث التي قام بها علماء الأصوات، أن ظاهرة المخالفة قد شاعت في كثير من اللغات السامية" [6] .

و لئن كانت علة حدوث المماثلة عند برجستراسر- التي يسميها تشابها - يرجع فيه أكثر التأثير إلى الأعصاب و العضلات، و كيفية حركتها ونتيجة ذلك في نظره - تسهيل و اختصار النطق، فإن علة المخالفة أو التخالف نفسية محضة، نظيرة الخطأ في النطق يقول: "فإنا نرى الناس كثيرا ما يخطئون في النطق، و يلفظون بشيء غير الذي

---

[1] التطور النحوي ص 63.

[2] رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي ص 107.

[3] الخصائص : 143/2.

[4] يعني بالمستقبل: المضارع.

[5] ابن السكيت ص 217.

[6] ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ص 211.

أرادوه، و أكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض" [1] و سبب ذلك عنده "أن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة، تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها، و يصعب عليها إعادة تصور بعينه بعد حصوله بمدة قصيرة"[2].

هذا و قد أرجع بعض الدارسين علة حدوث المخالفة إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات و هي بهذا عكس المماثلة التي تهدف – كما أسلفنا – إلى تيسير الجانب النطقي التمفصلي و لا تلقي بالا إلى الجانب الدلالي الذي قد يتأثر نتيجة تقارب الصوتين [3].

و فيما يلي نعرض إلى أهم مظاهر المخالفة كما وردت في العربية و غيرها من اللغات السامية إذا اقتضتنا ضرورة المقارنة [4] لذلك:

ـ فمن المخالفة الصوتية ما يسمى بالمخالفة الكمية بين المقاطع، و من ذلك في العربية أن ضمير الغائب المتصل، الأصل في حركته الضمة الطويلة و تحدث له المماثلة الصوتية مع الكسرات قبله فيبقى على حركته الطويلة مثل له = لهو، به = بهي [5].

ـ و من المخالفة في العربية كذلك المخالفة بين حركتي الفتح المتتاليتين إذا كانت الأولى طويلة؛ إذ تتحول الثانية منهما إلى كسرة ، علما أن الأصل في نون المثنى الفتح قال رجل من ضبة:

أعرف منها الأنف و العينانا

و منخران أشبها ظبيانا [6].

ومعلوم أن نون التوكيد المشددة مفتوحة في "يضربن" و "تضربن" وما إلى ذلك، غير أنها مكسورة في مثل "يضربان " تبعا لقانون المخالفة.

كما أن نون الرفع في الأفعال الخمسة مفتوحة في مثل "يفعلون وتفعلون وتفعلين، غير أنها مكسورة في يفعلانِ وتفعلانِ بسبب القانون نفسه. هذا ويمكننا تفسير نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة نيابة عن الفتحة بهذا القانون بدليل ما روي عن العرب من قولهم : سمعت لغاتَهم، بدلا من لغاتِهم يقول ابن جني "والخبر المرفوع في ذلك وهو سؤال أبي

---

[1] برجستراسر، التطور النحوي ص 34.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] يراجع أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ص 331.

[4] أقول ضرورة المقارنة، لأن كثيرا من الظواهر اللغوية في العربية – و من بينها المماثلة و المخالفة – لا يمكن تفسيرها و لا معرفة أصولها، إلا من خلال مقارنة العربية بأخواتها الساميات.

[5] عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ص 297.

[6] أبو زيد، النوادر في اللغة ص 15.

عمرو أبا خيرة[1] عن قولهم : استأصل الله عرقاتهم فنصب أبو خيرة التاء من "عرقاتَهم"[2][3].

وقال أيضا "وأجاز أبو خيرة : حفرت إراتك، جمع إره، وعلى نحوه إنشاد الكوفيين: ألا يزجر الشيخ الغيور بناته.

وإنشادهم أيضا:

فلما جلاها بالأيام تحيزت ثباتا عليها ذلها واكتئابها"[4]

وفي العربية كلمات كثيرة تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتحول أحدهما – وغالبا ما يكون الثاني – إلى صوت لين طويل، أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين وخاصة اللام والنون، والسر في ذلك "أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي يقلب أحد الصوتين إلى تلك الأصوات التي لا تستلزم مجهودا عضليا، كأصوات اللين وأشباهها"[5].

فمثال ذلك : "قيراط" و "دينار" بدلا من "قراط" و "دنار"، وجمعهما هو "قراريط" و "دنانير"، و "أملل" و "أملى" مثل نحو قوله تعالى *وليملل الذي عليه الحق * البقرة 2/282. وذهب بعض الدارسين المحدثين[6] إلى أن كلمة "العنقود" أصلها "العقُّود" بتشديد القاف، بدليل أن في "العنقود" نوع من التعقد.

والذي يبدو أن "العنقود" من العَقد[7] وهو الربط، يقال: عقد الحبل أي ربطه، ومنه العنقود لأن حباته كالعُقد معقود ما بينها،أو موصول ومربوط ما بينهما، ويقال العنقود والعنقاد كما روى الرازي في مختاره[8] وعلى هذا فلا يمكن عد العنقود من شواهد هذا الباب.

ومن هذا الباب قوله تعالى *ثم دنا فتدلى * النجم /8 أصلها "تدلّل" ومثلها "ثم ذهب إلى أهله يتمطّى" أصلها يتمطط[9].

---

[1] هو أبو عمرو بن العلاء اللغوي والقارئ (ت159هـ) أبو خيرة : هُشل بن زيد الأعرابي المشهور.

[2] هذا جزء من القصة المشهورة في كتب اللغة، وفيها يأخذ أبو عمرو بن العلاء على أبي خيرة الأعربي ذهاب فصاحته ، كما أنها وجه من وجوه تشدد البصريين في أخذ اللغة من فصحاء الأعراب.

[3] الخصائص : 384/1.

[4] نفسه: 304/3.

[5] ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص 216.

[6] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص 58.

[7] جاء في مختار الصحاح للرازي " عقد الحبل والعهد فانعقد" (ينظر ص 189).

[8] ص189.

[9] الرازي ، مختار الصحاح : ص94.

ومما تحول فيه أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت من أشباه أصوات اللين قول العامة : "قرنبيط" في "قنبيط" و "مهردم" في "مهدم" و "فرتك" في "فرك" و "شرمط" في "شرط" و "نعكش" في "نكش" و "دعبل" في "دبل" و "طربق" في طبق[1].

ويقولون "سنكر" الباب بدلا من "سكّر" المستعارة من الآرامية (صصحز) وفي العراق يقول العوام، "دنبوس" في "دبوس"[2].

وقد نبه ابن جنى على استثقالهم المثلين بقوله : "ومن ذلك استثقالهم المثلين حتى قلبوا أحدهما في نحو : أمليت- وأصلها أمللت- وفيما حكاه أحمد بن يحي [ثعلب ت 291] أخبرنا به أبو علي [الفارسي ت٣٧٧] من قولهم : لا وربيك لا أفعل، يريدون: لا وربك لا أفعل".[3]

والجدير بالذكر هنا أن سيبويه أشار إلى ظاهرة المخالفة في باب "ما شذ فأبدل مكان اللام ياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد"، ومثل لها بقولهم : تسريت وتظنيت وتقصيت، وأصلها : تسررت وتظننت وتقصصت[4].

وأشار إلى ذلك أيضا ابن الشجري -و يسميه حذفا وتعويضا- قال: "وأما ما حذفوا منه وعوضوا فنحو : تظننت قالوا : تظنيت فعوضوا من النون والياء"[5]. ويروى عن بعض اللغويين قوله "قصيت أظفاري يريد قصصت وخرجنا نتلعى أي نأخذ اللعاعة (...) وتسريت أي اتخذت سرية أصله تسررت" و "تقضى البازي...أراد تقضض فأبدل من الضاد ياء وكسر ما قبلها (...) "لا أملاه حتى يفارقا". أراد "لا أمله" فرده إلى أصله الذي هو أمللته، وأبدل من اللام الأخيرة ياء، فصار في التقدير أمليه فانقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها (...) وفي قوله تعالى ***وقد خاب من دساها***[6] معناها خابت نفس دساها الله أي جعلها [ذليلة][7]خسيسة والأصل دسسها (...)، وقيل في قوله تعالى "ثم ذهب إلى أهله يتمطى"

---

[1] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص 59 و 80.

[2] نفسه، الصفحات نفسها.

[3] ينظر الكتاب : 424/4.

[4] نفسه : 424/4.

[5] الأمالي : 389/1.

[6] سورة الشمس : 10.

[7] في الأصل [فليلة] وليس لها معنى، ويبدو أنه تصحيف (انظر ص 389) .

معناه يتبختر، يقال جاء يمشي المطيطا مقصورة (...). وكان الأصل يتمطط فقلبت الطاء الثانية ياء كما قالوا في يتظنن يتظنى"[1]

و روي عن أهل العراق في القرن الرابع الهجري أنهم كانوا يقولون في "إجّاص" "إنجاص" وفي "أترج" "اترنج"، وفي "إجانة" "إنجانة"[2].

هذا واستنتج المستشرق Hurwits من خلال دراسته لبعض الكلمات العربية الكبيرة البنية، والتي تشتمل على صوت من أصوات أشباه الصوائت (أصوات اللين) وهي الراء واللام والنون والميم، استنتج أن هذه الأخيرة تولدت نتيجة لقانون المخالفة بين صوتين متماثلين، ويمثل لذلك بـ : حرجل (حجّل)، جلمد (جمّد)، عنكب (عكّب)، عرقب (عقّب)، قرمط (قمّط)، فلطح (فطّح).

ويقول تبعا لما استنتجه من الأمثلة السابقة "يوجد غالبا" مقابلات مضعفة للصيغ السابقة، وهذا يعني أن العقل السامي كان يعتبر هذه الصيغ المزيدة مقابلة للصيغ المضعفة"، و "تعد الحروف المائعة عادة وسيلة مخالفة للتضعيف في الصيغ المضعفة القديمة"[3].

والحق أن Hurwits بنى دراسته هذه على ما ذكره علماء اللغة قديما من زيادة الحروف على الأصل، وهو مخالف لما يراد في هذا الباب[4]. ذلك أن بعض المحدثين[5] من علماء اللغة وبعد استقراء لشواهد هذا الباب لاحظ أن أغلب ما يقلب أو يبدل صوتا من أصوات اللين أو الشبيهة بها في المضعف، إنما هي الأصوات الرخوة أو أصوات الإطباق، وما نلاحظه في الأمثلة السابقة التي ساقها Hurwits شواهد لنظريته تخالف ما نقرره الآن.

والأمثلة التي ذكرها Hurwits بعضها القليل يتفق مع مضعفه في المعنى ، وبعضها الثاني يتفق معه على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة، وبعضها يشتركان في بعض المعاني ويختلفان في أخرى. أما بعضها الأخير فليس له مقابل في المعاجم[6].

---

[1] الأمالي: ص 390/389 .

[2] ابن السكيت، إصلاح المنطق ص 176.

[3] أحمد مختار عمر، الصوت اللغوي ص 33.

[4] من ذلك مثلا ما ذكره ابن الأنباري مما هو على وزن (فَيْعَل) مما كان حرفه الثاني زائدا مثل (ضيغم) و هو الأسد. (ينظر الانصاف: 283/2)، و الضغم و هو العض،فهما – كما ترى – مختلفان في المعنى ، و الإتفاق في المعنى أساس هذا الباب كما سيأتي (الرازي ، مختار الصحاح ص 163).

[5] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص214.

[6] ينظر عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية ص 243 وما بعدها (وفيه تفصيل هذه الأمثلة).

وقد أسلف الحديث عن أن أكثر الأصوات المتحولة في الصيغ المضعفة إنما تكون – في الأغلب الأعم – مطبقة أو رخوة، غير أن ذلك لا يمنع من أن نسجل أن "المخالفة قد تكون في النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة"[1] مثل :

– إجّاص ⇐ إنجاص

– دبّوس ⇐ دنبوس.

– لعلّ ⇐ لعن.

وفي حديث الهجرة : استقبل الناس في المدينة النبي (ص) على الأناجير، وإجّار وإنجاز كلا اللفظين بمعنى سطح الدار[2].

ويطلق بعض المحدثين على هذا النوع من المخالفة تغاير المجاورة contact Dissimilation [3] وأما المخالفة المتباعدة Distant Dissimilation فتقع في الأصوات التي يفصل بينها فاصل من صوت آخر غير مناظر مثل :

اخضوضر ⇐ أصلها اخضرضر.

اعشوشب ⇐ أصلها اعشبشب.

بغداد ⇐ أصلها بغدان.

أيهات ⇐ أصلها هيهات – عند أهل الحجاز.

دهده ⇐ أصلها دهدي – عند أهل الحجاز[4].

على أن بعض الدارسين المحدثين ذكر مثالا مما تحول فيه أحد الحرفين المتماثلين إلى صوت حلقي رخو وهو العين، وهو خلاف ما رأيناه من قبل، يقول ما نصه: "إنا نقول في اللهجة المصرية مثلا : كعبل (بعين وباء) أصلها التاريخي كبل، وهكذا تحولت الباء والباء إلى عين وباء فحدثت المغايرة"[5].

ولعل سبب عدم تحول أحد المتماثلين إلى صوت لين أو مائع هو شدة الباء، إذ لا تجتمع هذه الأصوات اللينة أو المائعة مع الأصوات الشديدة تجنبا لثقل النطق.

وأشار أيضا إلى أن الكلمة الإيطالية "بنّيتا" تحولت عندنا إلى برنيطه، ولاحظ أن في هذه الكلمة عدد من التغيرات الجديرة بالملاحظة "فالنون التي تسمع في الإيطالية كما لو كانت مشددة أصبحت في العربية

---

[1] ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص 215.

[2]. نفسه ، الصفحة نفسها

[3] عبد القادر عبد الجليل، أصوات اللغة العربية ص 297 .

[4] نفسه ، الصفحة نفسها.

[5] محمد فهمي حجازي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ص 27.

راء ونونا، ونالت الراء الناتجة قدرا من التفخيم، فجعلت الكلمة كلها مطبقة، ومن ثم تحولت التاء إلى مقابلها المطبق وهي الطاء"[1].

وهذا المثال -فيما يبدو - نادر الوقوع إلا أن يكون نقلا من لغة إلى أخرى، ذلك أن النون وهو الحرف المضعف في المثال "بنيطا" متوسط، لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، إضافة إلى أنه منفتح غير مطبق، ومعلوم -كما سبق- أنه غالبا ما تكون الأمثلة المضعفة بين الأصوات المجهورة وأصوات الإطباق.

ومن المخالفة الصوتية في العربية ما روته كتب القدماء من علماء اللغة في المخالفة بين كلمتي "زحلوفة" و "زحلوقة" وأصولهما؛ روى عن الأصمعي "الزحاليف والزحاليق، آثار تزلج الصبيان من فوق طين أو رمل أو صفا[2] فأهل العالية يقولون : زحلوقة وزحاليق"[3]. والذي يبدو أن "زحلوفة" مأخوذة من الفعل "زحلف" الناتج بطريق المخالفة الصوتية من "زحف"، كما أن الكلمة الثانية "زحلوقة" مأخوذة من الفعل "زحلق" الناتج هو أيضا من الفعل "زلق".

والكلمتان ليستا تصحيفا لبعضهما -كما قد يتوهم أو يخطر على الذهن -بل لقد ذكرت كل منهما في بابها ومادتها من كتب القدماء[4].

ومن قواعد أهل الصرف[5] في العربية أن الواو تقلب همزة، إذا جاءت قبل الواو مفتوحة وكانت في الصدارة، أو إذا جاءت قبل واو ساكنة متأصلة الواوية نحو : "أواصل" و "أواق"، فإن الأصل فيها : "وواصل" وكذلك "وواق"، لأنهما جمعان لكلمتي "واصلة" و "واقية" ففاء كل منهما واو، ويجري هذا أيضا في أنثى "الأول" وجمعها، فإن الأصل فيهما أن يكونا : "وولى" و "وول"، غير أنهما في العربية "أولى" و"أول"، وما حدث لا يعدو أن يكون أثرا من آثار قانون المخالفة المذكور.

كما أن من شواهد هذا الباب في المستوى العامي إبدال الكسرة فتحة إذا جاورت مد، وذلك في صيغة "فِعِّيل" المتحولة في العامية إلى فَعَّيل مثل عَوِّيم وأَكِّيل وحَبِّيب وسَهِّير. وكذلك إبدال الضمتين المتتاليتين

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2] جمع الصفاة، وهي الصخرة الملساء (ينظر الرازي، مختار الصحاح ص156)

[3] السيوطي ، المزهر: 554/1، ابن السكيت ، القلب والإبدال ص 64، أبو الطيب اللغوي ، الإبدال: 337/2.

[4] ينظر ابن منظور، لسان العرب (زحلف): 31/11 و (زحلق): 3/12

[5] يراجع ابن جني ، الخصائص: 90/2.

إلى "ضمة + فتحة"، كما يقال في سُرُر سُرَر، وفي ذُلُل : ذُلَل لاستثقال اجتماع ضمتين مع التضعيف[1].

ولئن كانت ظاهرة المخالفة قليلة في العربية[2] مقارنة بالمماثلة فإن المخالفة ظاهرة موجودة في كل اللغات سواء أكانت الساميات منها أم اللغات الأوربية الأخرى.

فمن المخالفة بين السامية والعربية ما ورد في كلمة "شمس" الشائعة في اللغات الساميات الشمالية مثل العبرية و الأكادية تحولت في العربية إلى شمس، و معروف لدى علماء الساميات أن الشين في السامية الام، قلبت في العربية سينا، وهذا من التغيرات التاريخية بين الساميات. و بناء على ذلك فإن الكلمة تصير في العربية "سمس" ، غير أن المخالفة بين السينين أدت إلى قلب الأولى شينا[3].

ومن المخالفة بين الساميات ما حدث في كلمة "السنبلة" التي هي في العبرية Sibbolet وفي الآرامية Sebbelta بالباء المشددة، و صارت أولى البائين في العربية نونا. والقنفد في الآرامية Kuppda بالياء المشددة أي اليائين وصارت في العربية أولاهما نونا أيضا[4].

ويقول فندريس : "ينحصر التخالف، وهو المسلك المضاد للتشابه في أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة، وكان من حقها أن تعمل مرتين، ومن الكلمة اللاتينية arborem (أربورم) بمعنى شجرة، نشأت الكلمتان، الإسبانية arbol (أربل) والبروفنسية albre (ألبر)، فالذي حدث في كلا الحالتين – مع اختلاف الترتيب– هو أن المتكلم اقتصر على القيام بحركة واحدة فقط من الحركات التي يتطلبها انتاج الراء (r r) بدلا من أن يقوم بحركتين ، واستعاض عن الأخرى بحركة من الحركات التي تنتج اللام المائعة"[5].

هذا و لا يمكننا أن ننهي هذا المبحث الخاص بالمخالفة دون التعريج على ظاهرة عرفت بها العربية تقرب في مقصودها العام من مقصود المخالفة وهو التخلص من العسر والمشقة في العملية التمفصلية

---

[1] أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ص 331

[2] ولعل سبب ذلك أن العربية لم تتورط في تراكيب عسيرة تحتاج إلى التخالف، يقول السيوطي : "واعلم أنه لا يكاد يجئ في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد لصعوبة ذلك على ألسنتهم" المزهر : 110/1.

[3] صلاح الدين صالح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات ص .

[4] برجستراسر ، التطور النحوي ص34.

[5] فندريس ، اللغة ص 94.

في حال التماثل بين الأصوات المتجاورة ، وكذا لتحقيق التوازن وإعادة الخلافات بين الفونيمات، وإبرازها في صورة أكثر استقلالية.

هذه الظاهرة هي ظاهرة توالي الأمثال، أو توالي المقطع وهي ظاهرة عرفتها بعض اللغات كالألمانية ويسميها الألمان HaplologischeSilbenellipse. ومفادها أن يتوالى مقطعان متماثلان في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها، وهذا مما يجعل -كما أسلفنا- عملية النطق والتلوين عسيرة، فيلجأ إلى حذف أحد المتماثلين أصواتا وحركات. على أن العربية تميل إلى حذف المقاطع المتماثلة المتوالية وإن لم تكن متماثلة.

ولئن كانت ظاهرة توالي الأمثال تلتقي مع المخالفة في مقصودهما العام، فليس من التجوز أو التعسف عدّ ظاهرة توالي الأمثال نوعا من المخالفة، يقول برجستراسر: "ومن الترخيم[1] ما هو من جنس التخالف، وهو حذف أحد مقطعين متتاليين أولهما حرفان مثلان أو شبهان"[2].

ويقول فندريس: "هناك مسلك ثالث ، وذلك بأن لا يتجه الصوتان المتماسان إلى التوافق بين عناصرهما، بزيادة المشابهة التي بينهما، تلك المشابهة التي تصل أحيانا إلى التماثل التام، ولا أن يتحصن كل منهما ضد الآخر، بوضع نوع من العازل، يكون عقبة في سبيل التأثير المتبادل بينهما، بل على العكس من ذلك، بأن يستغلا ما بينهما من فروق، فيعمقانها إلى حد ألا يكون بينهما شيء مشترك ثم يزيلا كل نقطة للتشابه وتلك هي عملية المفارقة"[3].

ولعل ما يقصده فندريس بالمفارقة، المخالفة بحذف توالي الأمثال، خاصة إذا علمنا أنه يسمي المخالفة تخالفا[4] في مقابل التشابه. وما يقصده بالعازل في قوله السابق هو ما تلجأ إليه اللغة أحيانا من وضع فاصل بين الصوتين المتماثلين لتخفيف ثقل اجتماعهما؛ كزيادة الألف بعد همزة الاستفهام، وما يعرف بالألف الفارقة بين نون النسوة ونون التوكيد وغيرها[5].

وتسمية برجستراسر لظاهرة حذف الأمثال المتوالية ترخيما يدفعنا إلى الحديث عن نظرية حديثة حاول كثير من اللغويين تفسير بعض

---

[1] الترخيم هو اختصار الكلمة وحذف أكثر من حركة منها ، ويرتبط عند النحاة العرب بالنداء وما يشاكله مثل القسم والتحية والأمر والسؤال والفن وغيرها. وقد عد برجستراسر حذف أحد الأمثال المتوالية ترخيما لعلة الحذف.

[2] التطور النحوي ص 70.

[3] اللغة ص 91.

[4] تنظر الصفحة 94 ، المرجع نفسه.

[5] يراجع رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ص 68 وما بعدها.

ظواهر اللغات على ضوئها تلك هي نظرية الشيوع[1] التي مفادها أن "الصوت اللغوي إذا شاع استعماله في الكلام كان عرضة لظواهر لغوية نسميها أحيانا إبدالا، وحينا آخر إدغاما ، وقد يتعرض الصوت كثير الشيوع للسقوط من الكلام".[2]

والسقوط من الكلام هنا يعني الحذف اختصارا للكلام أو بتعبير حديث حذف مقطع أو مقاطع لشيوع استعماله، وبالتالي دلالة الباقي عليه. وهو نوع من التطور في الصيغ اللغوية. ولعل حديث القدماء من اللغويين عن ظاهرة الترخيم خاصة في النداء، يجعلنا نذهب إلى القول - وبكل اطمئنان- أنهم أحسُّوا بهذه النظرية وإن لم يحاولوا تطبيقها في تفسير كثير من الظواهر اللغوية -بما فيها الترخيم-، ولا أدل على ذلك مما قاله ابن يعيش "إن الترخيم من خصائص النداء ، لأن النداء كثير في كلامهم والكلمة إذا شاع استعمالها كانت عرضة للاختصار أكثر من غيرها"[3].

فإذا عرفنا هذا فيمكن القول -على ضوء ما سبق- إن برجستراسر كان على جانب من الصواب حين عد حذف أحد الأمثال المتوالية ترخيما، ليس باعتبار حذف توالي الأمثال ترخيما بالمفهوم العربي القديم المقترن -في الأغلب الأعم كما أسلفنا- بالنداء وما شاكله، بل بإعتبار قصده العام الذي يهدف إلى الاختصار وتحقيق التوازن في العملية التمفصلية، وما قانون التخالف أو المفارقة (أو المخالفة) -بالمصطلح العربي الحديث- إلا تيسير لعملية النطق واختصار للجهد العضلي المتولد من تجاور مثلين.

فمن ظاهرة حذف توالي الأمثال حذف نون الأفعال الخمسة (يفعلون وتفعلون وتفعلان ويفعلان وتفعلين)، وذلك إذا كانت مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم، أو مع ضمير المتكلمين المنصوب، وكذلك الفعل المسند إلى نون النسوة.

من ذلك قول الأعشى :

أ بالموت الذي لا بد أني ملاق لا أباك تخوفيني[4]

أي تخوفينني.

---

[1] نادى بهذه النظرية wilhelm Thomsen و O.K. Ziph وغيرهما.

[2] إبراهيم أنيس ص 238.

[3] شرح المفصل:

[4] ابن الشجري، الأمالي: 362/1، ويورد هذا البيت في موضع الاستشهاد لحذف لام "لا أباك" "بد لا" من "لا أبا لك"، و ابن جني، المنصف : 337/2 ، و الخصائص : 345/1 .

ومن ذلك قول عمرو بن معد يكرب.

تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الغاليات إذا فلينى[1]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سيبويه لا يسمي هذا النوع بكراهة توالى الأمثال، بل يدرجه ضمن باب "أحوال الحروف التي قبل النون الخفيفة والثقيلة"، وهو بذلك يعتبر أن توالى نونين، مما يستثقل في النطق، بله ثلاثة نونات، وهو ما ذكره في حذف نون الرفع في نوني التوكيد الخفيفة والثقيلة[2]. ومن ذلك ما جاء على لسان عائشة -رضي الله عنها- في حديث رواه البخاري في الباب الخامس عشر من كتاب الشهادات في حديث الإفك قالت : "ولئن قلت لكم إني لبريئة، والله يعلم أني لبريئة، لا تصدقوني بذلك"[3]. فالشاهد هو حذف أحد نوني كلمة (يصدقونني) وهي النون الثانية التي للوقاية. ومسألة أي النونين تحذف؛ الأولى أو الثانية، مدار خلاف بين العلماء فبعضهم ذهب إلى أن النون الآخرة التي هي (نون الوقاية) هي المحذوفة، لأن الأولى علم الرفع وإلى ذلك ذهب ابن جني حين قال عند التعليق على البيت السابق "يريد (فليننى) فحذف النون الآخرة، كما حذفها في (تخوفيني). وكانت الآخرة أولى بذلك في : (تخوفيني)، لأن الأولى علم الرفع، والثانية إنما كانت جيء بها في الواحد، ليسلم حرف الإعراب من الكسر، ويقع الكسر عليها، فتركت في الجمع على حد ما كانت عليه في الواحد، فلما اضطر في الجمع حرك النون التي هي علم الرفع بالكسر، ولم يمتنع من ذلك؛ لأنها ليست حرف الإعراب فيكره فيها الكسر"[4].

هذا و ذهب ابن هشام إلى أن النون المحذوفة هي نون الرفع، يقول : "ونحو تأمروننى، يجوز فيه الفك، والإدغام، والنطق بنون واحدة، وقد قرئ بهن في السبعة، وعلى الأخيرة فقيل : النون الباقية نون الرفع وقيل : نون الوقاية وهو الصحيح"[5].

والذي يبدو لي أن النون المحذوفة هي نون الوقاية ، -و هو مذهب ابن جني- لأن نون الرفع أصل ونون الوقاية فرع، لأنه جيء بها لتقي الفعل من الكسر ولا مانع أن تحرك نون الرفع بالكسر، لأنها ليست حرف الإعراب فيكره فيها الكسر على حد تعبير ابن جني.

---

[1] سيبويه ، الكتاب: 520/3، ابن جني، المنصف: 337/2.

[2] يراجع سيبويه ، الكتاب : 520/3.

[3] البخاري ، الصحيح : ٨٩/ ٢٥.

[4] ابن جني، المنصف: 338/2.

[5] مغني اللبيب: 344/2.

ومن أمثلة كراهة توالي الأمثال حذف نون الوقاية مع حروف مثل: إن وأن ولكن وكأن ولعل، وذلك قبل ياء أو ضمير المتكلمين المنصوب.

يقول الرازي -صاحب مختار الصحاح- نقلا عن الجوهري : "وإني وإنني بمعنى، وكذلك كأني وكأنني، لكني ولكنني؛ لأنه كثر استعمالهم لهذه الحروف. وهم يستثقلون التضعيف، فحذفوا النون التي تلي الياء، وكذلك لعلي ولعلني، لأن اللام قريبة من النون"[1].

ويعرفنا ابن هشام بنون الوقاية مجوزا حذفها مع تلك الحروف بقوله : "إنها تلحق قبل ياء المتكلم المنتصبة بالحرف "نحو، إنني، وهي جائزة الحذف مع إن وأن ولكن وكأن، وغالبة الحذف مع لعل، وقليلته مع ليت"[2].

أما سبب غلبة حذف نون الوقاية مع "لعل" فذلك راجع إلى أن اللام والنون كليهما من الحروف المائعة (liquida)، فجاز أن تحل النون محل اللام، بل إن ابن منظور يقرر لنا أن لغن -وهي لغة في لعل- كان ينطق بها بعض بني تميم فيقولون : لغنك بمعنى : لعلك"[3].

على أن ابن منظور -بعد ذلك- يذكر بيتا للفرزدق وهو :

ألستم عائجين بنا لعنا نرى العرصات أو أثر الخيام

وفي هذا البيت رويت "لعنا" بالعين المهملة، ولعل ذلك كان شائعا في النطق القديم أي إبدال الغين من العين.

وإذا أردنا أن نفسر ذلك صوتيا فيمكن القول بأن إبدال الغين من العين ربما يكون تأثرا -في القديم- بما حدث في بعض اللغات السامية، حيث تحولت الغين في العبرية إلى عين. مثل كلمة : عرب في العربية تقابل في العبرية עֲרָבָה ʿarabā وفي الآرامية ערבא ʿarbā وفي الحبشية ʿarbaoc وفي الأكدية erēbu[4].

وأما سبب قلة ذلك مع "ليت" فلأنه في هذه الحالة لا يوجد مقطعان متماثلان أو متقاربان، وسبب الحذف هنا هو الضرورة[5] لا غير، ولذلك ليس في منثور الكلام شيء يمثل لذلك، وما ورد -من أمثلة هذا الباب- كان شعرا مثل قول زيد الخيل الطائي :

---

[1] الرازي، الصحاح (أنن) ص 19.

[2] مغني اللبيب : 344/2.

[3] لسان العرب (لغن): 275/17.

[4] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص 226.

[5] والضرورة هنا هي تشبيه ليت بـ "إن" و "لعل" أخواتها.

كمينة جابر إذا قال لـــيتي أصادفه ويهلك جل مالي[1]

ومن توالي الأمثال في العربية الأفعال الخمسة إذا اتصل بها نـــون التوكيد والحذف فيها لازم مطرد في العربية.

يقول سيبويه "و إذا كان فعل الجميع مرفوعا ثم أدخلت فيه النـــون الخفيفة أو الثقيلة، حذفت نون الرفع، وذلك قولك : لتفعلن ذاك، ولتذهبن؛ لأنه اجتمعت فيه ثلاث نونات، فحذفوها استثقالا، وتقول : هـــل تفعلـــن ذاك؟ تحذف نون الرفع ، لأنك ضاعفت النون، وهم يستثقلون التضعيف، فحذفوها إذ كانت تحذف، وهم في ذا الموضع أشد استثقالا للنونات، وقـــد حذفوها فيما هو أشد من ذا [2] "[3].

وإذا شئنا أن نفصل هذا الكلام، فحسبنا ما قاله ابن عقيل عند حديثه عن الفعل المؤكد قال : "الفعل المؤكد بالنون ، إذا اتصل به ألف اثنين أو واو جماعة أو ياء مخاطبة حرك ما قبل الألف بالفتح ، وما قبـــل الـــواو بالضم وما قبل الياء بالكسر، ويحذف الضمير إذا كان واوا أو ياء، ويبقى إن كان ألفا ؛ فتقول : يا زيدان هل تضربان؟ ويا زيدون هل تضربـــن؟ ويا هند هل تضربن؟ والأصل : هل تضربانن، وهل تضربونن ، وهـــل تضربينن، فحذفت النون لتوالي الأمثال ، ثم حذفت الواو والياء لالتقـــاء الساكنين ، فصار : هل تضربن ، وهل تضربن. ولـــم تحـــذف الألـــف لخفتها، فصار : هل تضربان. وبقيت الضمة دالة على الواو، والكســـرة دالة على الياء".[4]

هذا وذهب المبرد إلى أن النون حذفت لكي تكون نظيرا للفتح فـــي الفعل المسند الواحد فيقول: "فإذا ثنيت أو جمعت، أو خاطبت مؤنثا –فإن نظير الفتح في الواحد حذف النون مما ذكرت لك؛ تقول للمـــرأة : هـــل تضربن زيدا ولا تضربن عمرا؟ فتكون النون محذوفة ، التي كانت فـــي تضربين ، ألا ترى أنك إذا قلت : لن تضرب يا فتى ، قلت للمـــرأة إذا خاطبتها : لن تضربي وكذلك : لن تضربا، ولـــن تضربـــوا ، للاثنيـــن والجماعة ، فحذف النون نظير للفتحة في الواحد"[5].

والذي يبدو لي أن ما ذهب إليه المبرد مقبول من وجه ولـــه مـــا يبرره، ذلك أن نون الأفعال الخمسة تحذف في حال النصب والجـــزم ،

---

[1] سيبويه ، الكتاب : 370/2 .

[2] يريد أنهم حذفوا نونا من نونين لا من ثلاثة ، وهو ما رأيناه سابقا من حذف نون الوقاية.

[3] سيبويه ، الكتاب : 519/3.

[4] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : 315/2.

[5] المقتضب: 20/3.

والقول هنا بأنها حذفت كي تكون نظيرا للفتحة في الواحد -كما يقول المبرد- قد يكون تعليلا مقبولا.

بيد أن القول بأن حذف نون الأفعال الخمسة إذا اتصل بها نون التوكيد، إنما هو من أجل أن تكون نظيرا للفتحة في الفعل المسند للواحد، فذلك ما لا يؤيده دليل علمي،بل إن فيه من الغرابة ما فيه؛ لأن ما ورد في كتب التراث في حال توالي مقاطع متماثلة أو متجانسة، فالأغلب فيه هو حذف أحد الأمثال في حال وجود مقطعين، وحذف مثلين في حال وجود ثلاثة مقاطع. وهم حين حذفوا ذلك إنما حذفوه استثقالا لتوالي الأمثال، جنوحا إلى الخفة واختصار الجهد العضلي.

وأظن أنه لن يجانبنا الصواب إذا قلنا بأنه لا يمكن تفسير حذف نون الأفعال الخمسة في حال النصب والجزم، إلا أنه جنوح إلى الخفة واختصار الجهد العضلي؛ ذلك أن الانتقال من الفتح إلى الكسر في لن يضربان والانتقال من الضم إلى الفتح في لن يضربون ومن الكسر إلى الفتح في لن تضربين، مستثقل في النطق، فاستعيض عن هذا الثقل بحذف النون فتصير : لن تضربا ولن تضربوا ولن تضربي ، ومثل ذلك في حال الجزم ، وبهذا يمكننا تفسير كثير من الأحوال والظواهر اللغوية تفسيرا صوتيا، يستجيب لطبيعة اللغة المنطوقة.

ومن توالي الأمثال في العربية صيغ : تفعل وتفاعل وتفعلل، مع تاء المضارعة وذلك أنه تتكرر فيها المقطع (ت)(Ta) مثل : تتبختر ، تتذكر، تتنزل، وحذف أحد هذين المقطعين مطرد في العربية ، ويكثر شيوعها في القرآن الكريم[1].

"فقد وردت فيه مثلا كلمة "تذكرون" 17 مرة بالحذف، في مقابل "تتذكرون" 3 مرات بلا حذف، ففيه *لعلكم تذكرون * الأنعام 52/6 والأعراف 57/7 والنمل 90/16 والنور 1/24، 7/24 والذاريات 49/51، وفيه "فلولا تذكرون" في الواقعة 62/56 كما أن فيه "أفلا تذكرون" في يونس 3/10 وهود 24/11، 30/11 والنمل 17/16 والمؤمنون 85/23 والصافات 155/37 والجاثية 23/45 في مقابل "أفلا تتذكرون" في الأنعام 80/6 والسجدة 4/32 وفيه: " قليلا ما تذكرون" في الأعراف 3/7 والنمل 62/27 والحاقة 42/29 في مقابل : "قليلا ما تتذكرون" في غافر 58/40.

[1] رمضان عبد التواب ، بحوث ومقالات في اللغة ص 21 و 29.

وفي القرآن كذلك : "هل أنبئكم علـــى من تنزل الشياطين" الشعراء 221/26. "تنزل على كل أفاك أثيم" الشعراء 221/26، "تتنزل الملائكة والروح فيها" القدر 4/97 في مقابل : "تتنزل عليهم الملائكة" فصلت 30/41.

وفي المضارع تولوا خمس مرات في مقابل "تتولوا" أربع مرات ، ففيه "فإن تولوا" في آل عمران 32/3 وهـــود 57/110 والنـــور 54/24 ، "وإن تولوا" في هود 4/11، "ولا تولوا" في الأنفال 20/8 في مقابل "وإن تتولـــوا" في محمد 38/47 والفتح 16/48 "ولا تتولوا" في هود 52/11 "لا تتولـــوا" فـــي الممتحنة 13/60.

كما أن فيه "ولا تفرقوا" آل عمران 103/3 بجـــانب: "ولا تتفرقـــوا" الشورى 13/42 وفيه "توفاهم الملائكة" النساء 97/4 إلـــى جـــانب "تتوفـــاهم الملائكة" النحل 28/16.

وفيه إلى جانب ذلك كثير من الأفعال ، التي ذكر كل واحد منـــها مرة واحدة بالحذف ، مثل "فظلتم تفكـــهون" الواقعـــة 65/56 "ولا تيممـــوا الخبيث" البقرة 267/2 "فتفرق بكم عن سبيله" الأنعـــام 153/6، "وقـــل هـــل تربصون" التوبة 52/9. "يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه" هـــود 105/11، "ولا تبرجن " الأحزاب 33/33 " ولا أن تبدل بهن من أزواج" الأحزاب 52/33. "مالكم لا تناصرون" الصافات 25/37 "ولا تجسسوا" الحجـــرات 12/49 "أن تولوهم" الممتحنة 9/6 "تكاد تميز من الغيظ" الملك 8/67 "لما تخيرون" القلم 38/68 "فأنت عنه تلهى" عبس 10/80 "نارا تلظـــى" الليـــل 14/92 "إذ تلقونـــه بألسنتكم" النور 15/24 ، "ولقد كنتم تمنون الموت" آل عمـــران 143/3 "وأن تصدقوا خير لكم" البقرة 280/2. "ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" المـــائدة 2/5 "ولا تنازعوا فتفشلوا" الأنفال 46/8. "ولا تنابزوا بالألقاب" الحجـــرات 11/49 "وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" الحجرات 13/49 "تظاهرون عليـــهم بالإثم والعدوان" البقرة 85/2 ،"وإن تظاهرا عليه" التحريم4/66.

ومن أمثلة ذلك في الشعر قول المثقب العبدي:

لمن ظعن تطالع من ضبيب فما خرجت من الوادي لحين[1]

قال[2] ابن جني "أي تتطالع فحذف الثانية"

ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب "العين" من قوله "وتهرعت الرماح إليه، إذا أقبلت شوارع. قال : عند الكريهة والرماح تهرع

---

[1] ابن جنى ، الخصائص : 398/1.

[2] نفسه ، الصفحة نفسها.

أراد : تتهرّع"[1]

وقد خاض اللغويون وأتعبوا أنفسهم في تعيين المحذوف ؛ فمنهم من ذهب إلى أنه المقطع الأول ، وهو رأي الكوفيين ، ودليلهم أن التاء الثانية، أو بعبارة أخرى المقطع الثاني للمطاوعة وحذفها مخلّ ، ولأنها زائدة وحذفها أهون. وذهب البصريون إلى أن المقطع الثاني هو المحذوف لأن الأول حرف المضارعة وحذفها مخلّ.

وأياً ما كان أمر اختلاف اللغويين، فإن لسيبويه –وهو إمام البصريين– رأي يمكن الاستقرار عليه لما فيه من تأصيل للتاء الثانية حذفاً وإثباتاً، بعيداً عن اختلاف العلماء . قال[2] سيبويه: "فإن التقت التاءان في تَتَكلّمون، وتترسّون فأنت بالخيار ، إن شئت أثبتهما، وإن شئت حذفت إحداهما[3] وتصديق ذلك قوله عز وجل: "تَتَنَزّل عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ"، و"تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عن المَضَاجِعِ".

وهو وإن قال قبل "وإن شئت حذفت إحداهما" لكنه عاد ودلّل على أن التاء الثانية هي الأولى بالحذف، قال[4]:" وإن شئت حذفت التاء الثانية وتصديق ذلك قوله تبارك و تعالى: "تَنَزّلُ المَلاَئِكَةُ والرُّوحُ فِيهَا"، وقوله "وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّونَ المَوْتَ". وكانت الثانية أولى بالحذف، لأنها هي التي تسكن وتدغم في قوله تعالى :"قَادَّارَأْتُم" و"ازّيَنَتْ" وهي التي يُفعَلُ بها ذلك في "يذّكّرون"، فكما اعتلت هنا كذلك تحذف هناك".

ومن أمثلة كراهة توالي الأمثال في العربية ما ورد في قوله تعالى: "قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت"[5]. فقد ذكر ابن جني لهذه الآية عشر قراءات؛ ثلاثة منها من جهة أحمد بن يحيى(ثعلب ت 291هـ)، يقول[6] في إحدى هذه الثلاث "ومن جهته [أي أحمد بن يحيى] أيضا : وعبد

---

[1] الخليل بن احمد الفراهيدي ، العين: 122/1.

[2] الكتاب : 476/4.

[3] يرى د. رمضان عبد التواب أن عبارة "وإن شئت حذفت إحداهما" مضافة إلى نص سيبويه وليست منه ، وذكر أن ناشر الكتاب –الأستاذ عبد السلام هارون– لم يفطن إلى ذلك" (ينظر رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة ص 33). وأقول : إن الذي يبدو لي أنه لا تعارض بين قولة سيبويه تلك وذهابه إلى أن التاء الثانية هي المحذوفة ، وما قولته الأولى إلى إجمال جاء بعده التفصيل، وكلمة إحداهما جاءت على سبيل التعيين لا على سبيل الاختيار.

[4] الكتاب : 476/4

[5] سورة المائدة: 20.

[6] المحتسب: 324/1 .

الطاغوت، وقال : أراد عبدة الطاغوت فحذف الهاء قال : ويقال : عبَدَ الطاغوت والأوثان، ويقال للمسلمين عبّاد".

والوجه في هذه القراءة أنها مبنية على كراهة توالى الأمثال في الصفات وذلك بين التاء والطاء ، على أن من العلماء من فسر حذف التاء أو الهاء للإضافة ليس إلا.

يقول[1] الفراء "وكان أصحاب عبد الله بن مسعود يقرءون وعبَدَ الطاغوتِ على فعَلَ، ويضيفونها إلى الطاغوت ، ويفسرونها : خدمة الطاغوت ، ولو قرأ قارئ : وعَبَدَ الطاغوتِ كان صواباً جيدًا، يريد عبدة الطاغوت ، فيحذف الهاء لمكان الإضافة"[2].

هذا ويذهب الطبري المذهب نفسه ويجد لهذه القراءة -على حدّ تعبيره- مخرجا في العربية صحيحاً؛ يقول[3]: "وإن لم استجز اليوم القراءة بها؛ إذ كانت قراءة الحجة من القرأة بخلافها[4]. و وجه جوازها في العربية أن يكون مرادًا بها : وعَبدَةَ الطاغوت، ثم حذفت الهاء للإضافة".

والذي يبدو لي أن التاء لم تحذف للإضافة -كما ذهب إلى ذلك ثعلب والفراء وابن جني والطبري، و إنما حذفت التاء لتوالي المثلين "التاء والطاء" في الصفات، فحذفت التاء مخالفة ليتحقق الانسجام في عملية النطق.

وبعد هذا... فإن أمثلة كراهة توالي الأمثال في العربية كثيرة. و حسبنا هنا أن نعرف أن التخلص من أحد المثلين، إنما هو تفسير لإرادة تحقيق اختصار الجهد العضلي، والتقليل من التماثل بين الصوتين صفة أو مخرجًا ، وهو جوهر ما تهدف إليه المخالفة الصوتية. وبعد هذا كلّه فليس من التجوز أن نعتبر حذف توالي الأمثال ضربا من المخالفة.

---

[1] معاني القرآن: 314/1.

[2] لم ينسب صاحب المحتسب هذه القراءة لأصحاب ابن مسعود كما فعل الفراء (المعاني: 314/1)، كما أن صاحب النشر لم يذكر هذا الوجه من القراءة في معرض ذكره للآية (ابن الجزري: 192/2).

[3] تفسير الطبري: 441/10.

[4] لأن قراءة الجمهور "وعبد الطاغوت" على فعل ونصب الطاغوت (ينظر ابن جني، المحتسب: 322/1)

الفصل الأول

المماثلة والمخالفة في كتب القدماء والمحدثين

1- المماثلة والمخالفة في كتب القدماء

المطلب الأول: المماثلة والمخالفة عند سيبويه.

أولا: المماثلة.

أ- التقريب والمضارعة.

ب- المماثلة الكاملة (الإدغام).

جـ- الانسجام الأصواتي عند سيبويه.

ثانيا: المخالفة.

المطلب الثاني: المماثلة والمخالفة عند ابن جني.

أولا: المماثلة.

1- الإدغام الكبير.

2- الإدغام الصغير.

ثانيا: المخالفة.

2 - المماثلة في كتب المحدثين

المطلب الأول: رأي د. إبراهيم أنيس.

المطلب الثاني: رأي الأستاذ دانيال جونز.

الفصل الأول : المماثلة والمخالفة في كتب القدماء والمحدثين :

يعتبر الدرس الصوتي من أصل الجوانب التي درسها العرب القدامى والمحدثون، لما له من أهمية كبرى في دراسة اللغة وتفسير ظواهرها المختلفة، هذه الظواهر التي لا يمكن تفسيرها -في الأغلب الأعم- إلا في ضوء الدرس الصوتي.

ولأجل ذلك اهتم قدماء اللغويين العرب بجوانب الدرس الصوتي وأفردوا لها في كتبهم أبوابًا وفصولاً، وربما كتباً مفردة، تعالج مختلف الظواهر اللغوية، بدءاً بتعريف الصوت اللغوي وخصائصه، ووصف كل حرف، وتقسيم الحروف -أو الأصوات بمعنى أدقّ- إلى مجموعات تنتظمها المخارج أو الصفات، وانتهاءً بتفسير ظواهر صرفية ونحوية على ضوء من علم الصوت -بمعناه الحديث.

وعلى خطى القدماء سار المحدثون، غير أن دراسة المحدثين للصوت كانت أدقّ وأشمل، وأعمق منهجًا لما توفر لهم من أجهزة وآلات تحلل الصوت اللغوي وتكشف طبيعته، مما يجعل النتائج دقيقة تتسم بالعلمية يندر معها احتمال الخطأ إن لم يستحيل.

هذا على أننا -بهذا الكلام - لا نغمط القدماء حقهم، أو نقلل من شأن ما توصلوا إليه، بل إن من الإنصاف القول بأن دراسة القدماء للأصوات كانت تتسم بالأصالة والمنهج العلمي الرصين، مع الدقة في التناول والعمق والوضوح في النتائج، لما أوتوا من ذوق للعربية عميق وملاحظة ذاتية دقيقة، مكّناهما من استخلاص نتائج أثبتت التجارب الحديثة المبنية على التجربة والملاحظة المخبريتين صحتها.

وهم -أي القدماء رحمهم الله- لم يألوا جهدًا في سبيل خدمة هذه اللغة وتأصيل قواعدها، دافعهم في ذلك حبهم للعربية وخدمة لقرآنها كتابها الخالد. الأمر الذي جعلهم يبلغون -في دراسة أصوات اللغة- شأوًا لا يشق له غبار، وبفضل ذلك صارت العربية من أثرى اللغات مادّة، وأقدرها على تحدّي عوادي الزمن، وأكثرها استجابة لمقتضيات العصر الفكرية والعلمية والاجتماعية وغيرها.

لعلنا -بكل ما سبق من كلام- أردنا أن نصل إلى أن الدرس الصوتي العربي درس أصيل، ولا شك إذاً أ تكون ظاهرة المماثلة والمخالفة، من أصل ما تناوله القدماء من ظواهر صوتية، بوصفها قانونا يحكم تجاور الأصوات وتأثيرها وتأثرها فيما بينها.

إن تناول القدماء لظاهرة المماثلة والمخالفة كان تناولا عرضًا لا جوهرًا؛ فلم يقصدوا إلى دراستها دراسة تحليلية تعليلية، تفسر كثيرًا من الظواهر اللغوية خاصة الصرفية منها، وإنما عبروا عنها بمصطلحات ووصفوها وصفاً سطحيًا يفتقر إلى التحليل الصوتي، فهذا سيبويه يتناول هذه الظاهرة فيعبر عنها أحيانا بالمضارعة وحينًا بالتقريب. هذا عن المماثلة، أما المخالفة فيعبّر عنها باستثقال التضعيف.

وعلى خطى سيبويه سار كثير من علماء اللغة -على اختلاف بينهم أحيانا- منهم المبرد والزجاجي وابن جني والزمخشري وابن دريد والخفاجي السكاكي وغيرهم، فقد كانت تعابيرهم لا تخرج عما قرره سيبويه من تعبير عن المماثلة بالتقريب أو المضارعة، وعن المخالفة باستثقال التضعيف، أو كراهية التضعيف، أو ثقل التضعيف، أو ثقل المثلين، أو ثقل اجتماع الأمثال وغيرها من الاصطلاحات.

أما دراسة المحدثين لظاهرة المماثلة والمخالفة فقد كانت دراسة تتسم بالعمق والتحليل والدقة معتمدة ما توفر للمحدثين من أجهزة مخبرية؛ فقد تناولها المحدثون ضمن ما أسموه بعلم الفنولوجيا أو علم التشكيل الصوتي وهو أحد فروع الدراسة الصوتية، والذي يهتم بالفونيم ووظيفته بوصفه معادلاً نفسياً أو عقلياَ للصوت.

على أن المحدثين لم يهملوا الملاحظة الذاتية في عملية المعالجة والتي كانت الأداة الوحيدة عند القدماء؛ فقد اعتمد إبراهيم أنيس وعبد الرحمان أيوب و بسام بركة وغيرهم من المحدثين ملاحظاتهم وتجاربهم الذاتية في تفسير ظاهرة المماثلة والمخالفة، على الرغم مما توفّر لهم من نتائج علمية دقيقة افرزتها التجارب المخبرية.

وسنقف في هذا الفصل عند جهود بعض القدماء وكذا بعض المحدثين استقراء وتأصيلا، واضعين جهود هؤلاء وأولائك في ميزان التقييم والتقويم، غايتنا الوقوف على جهود القدماء -اعترافا بفضلهم- ، والاستفادة من النتائج العلمية الدقيقة في الدراسات اللغوية المعاصرة.

و سنقف في -ثنايا هذا الفصل- أولاً على جهود القدماء، وارتأينا أن تكون الدراسة مركزة على عالمين جليلين لهما إسهام عظيم ويد طولى في علوم العربية، إن تأصيلاً وإن تطويراً؛ عنيتُ بهما سيبويه وابن جني.

فالأول إمام العربية بلا مدافع، ومؤصل قواعدها، ووارث علمها الأول، ويعد "كتابه" بحق أصل كتاب في العربية، إن موضوعًا وإن منهجًا، وكل ما جاء بعده من تآليف، عِيَال عليه.

أما الثاني، ففارس العربية وصاحب الاصطلاحات العلمية الدقيقة، ومبدع التخصص في تآليف العربية، ويعتبر كتابه "الخصائص" لوحده موسوعة علمية في علوم العربية، فضلا عن كتابه الصوتي العلمي الرصين "سر صناعة الإعراب"، وكتابه الصرفي الشامل "المنصف" وغيرها.

المماثلة والمخالفة في كتب القدماء

المطلب الأول : المماثلة والمخالفة عند سيبويه.

أولا: المماثلة

أ- التقريب والمضارعة:

لقد تناول سيبويه في غير ما موضع من كتابه ظاهرة المماثلة معبرًا عنها حينًا بالمضارعة، وأحيانًا أخرى بالتقريب يقول في باب الحرف الذي يضارَع به حرف من موضعه والحرف الذي يُضَارَعُ به ذلك الحرف وليس من موضعه : "فأما الذي يُضَارَعُ به الحرف الذي من مخرجه فالصَّاد الساكنة إذا كانت بعدها الدّال. وذلك نحو مَصْدَر، وأَصْدَرَ، والتَّصْدِير لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة كما صارت مع التاء في كلمة واحدة في افتعل، فلم تدغم الصاد في التاء لحالها التي ذكرت لك"[1]. ومعنى هذا أنّه إذا اجتمعت الصاد الساكنة وكانت بعدها الدّال في كلمة، واحدة فلا يمكننا لا إدغام الصَّاد في الدّال ولا إبدال الدّال حرفًا يناسب الصّاد كالطاء، قال: "ولم تدغم الدّال فيها ولم تبدَل لأنها ليست بمنزلة اصطبر وهي من نفس الحرف"[2].

ولعل الذي يقصده سيبويه "بالحرف" هنا هو المخرج أو الحيز -كما في اصطلاح بعض علماء اللسان- ، ويعلل سيبويه ذلك بقوله: "فلما كانتا من نفس الحرف أجريتا مجرى المضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب مدَدْت، فجعلوا الأول تابعاً للآخر، فضارعوا به أشبه الحروف بالدّال من موضعه، وهي الزاي، لأنها مجهورة غير مطبقة"[3]، فأشبه الحروف بالدّال من موضع الصّاد من حيث الجهر هي الزاي لأن الزاي والصاد من مجموعة حروف الصفير فضارعوا الصّاد بالزاي، أي قربوها منها.

هذا ويعلل لنا سيبويه عدم إبدالهم الصّاد زايًا خالصة، والسبب في ذلك -في نظره- هو "كراهية الإجحاف بها للإطباق"[4]، غير أن سيبويه يقول بأنه سمع العرب الفصحاء يجعلونها زايًا خالصة وذلك مثل قولهم في التصدير: التزدير، وفي الفصد : الفزد، وفي أصدرت : أزدرت،

---

[1] الكتاب : 477/4.

[2] نفسه : 4 / 477.

[3] نفسه : 477/4-478

[4] نفسه : 478/4

تمامًا كما جعلوا الإطباق ذاهبًا في الإدغام في مثل قولهم "افحص سالمًا" افحسّا لمأ.

كما أن سيبويه يرى أن العلة في تقريب العرب الصاد من الزاي وإبدالها زايًا خالصة لأجل "أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد، إذ لم يصلوا إلى الإدغام، ولم يجسُروا [أي يُقدموا] على إبدال الدّال صادًا، لأنها ليست بزيادة كالتاء في افتعل"[1].

والذي يقصده سيبويه بأن "يكون عملهم من وجه واحد" أي إشمام الصّاد زايأ لأنها أختها في مجموعة الأصوات الصفيرية أو الأسلية، والفرق بينهما أن الصّاد مهموسة والزاي مجهورة، وإنما قُرِّبت الصّاد من الزاي لتناسب أو تماثل الدّال التي بعدها وهو صوت مجهور.

هذا ويشترط سيبويه في تأثر الصّاد بالدال، أن تكون الصّاد ساكنة يقول : "فأما الذي يضارع به الحرف من مخرجه فالصّاد الساكنة إذا كانت بعدها الدّال"[2] ثم يقول بعد ذلك : "فإن تحركت الصّاد لم تبدل، لأنه قد وقع بينهما شيء فامتُنِعَ من الإبدال، إذ كان يُترك الإبدال وهي ساكنة"[3]. وهذا الشيء الذي وقع هو الحركة الفاصلة بين الحرفين، وبسببها لم يتجاور الحرفان مجاورة مباشرة.

على أن سيبويه يقرر بعد ذلك أنهم "ربما ضارعوا بها وهي بعيدة"[4]؛ أي إذا وقع بين الصاد والدال حرفا أو حرفين، ويدلل لقوله بكلمتي : "مصادر"، و"الصراط"، والطاء -عنده كالدال- [أي في الشدة] ويشبه سيبويه المضارعة هنا -أو الماثلة- بمنزلة قولهم : "صَوِيقٌ ومصالِيقٌ، فأبدلوا السين صادًا كما أبدلوها حين لم يكن بينهما شيء في : صُقتُ ونحوه"[5]

ويشرح سيبويه كلامه ذلك بقوله : "ولم تكن المضارعة هنا الوجه"[6] أي لا وجه للمضارعة هنا؛ لأن ذلك يخل بالصّاد أو -بالأحرى - بصفة الإطباق فيها فلو قربت الصاد في "مصادر" و"الصراط" من الزاي ذهبت صفة الإطباق من الصّاد، وفي هذا إخلال بها، ولذلك كان شرط التأثر المجاورة المباشرة.

---

[1] السابق : 478/4.

[2] نفسه : 477/4.

[3] نفسه : 478/4.

[4] نفسه : 478/4.

[5] نفسه : 478/4.

[6] نفسه : 478/4.

هذا إلى أن سيبويه يذكر أنه إذا كانت "سين في موضع الصاد وكانت ساكنة [أي السين]، لم يجز إلا الإبدال إذا أردت التقريب وذلك قولك في التسدير: التزدير، وفي يسدل ثوبه يزدل ثوبه". والعلة في ذلك عنده " أنها من موضع الزاي [أي من مخرجها] وليست بمطبقة فيبقى لها الإطباق".

وينبغي أن ننبه هنا إلى أن سيبويه يعني بالإطباق "الاستعلاء" وليس الإطباق –هنا– الصفة التي تجمع أحرف : الصاد، الضاد، الطاء والظاء، ويدلنا على ذلك ما يلي : قال سيبويه : "... وأنت في صقت تضع في موضع السين حرفا أفشى في الفم منها للإطباق"[1] ولعل السؤال الذي يطرح هنا : هل يقصد سيبويه إلى أن القاف مطبقة مثل الصاد وأخواتها؟، ولأجل أن تتحقق المضارعة أو المماثلة بين الصاد والقاف أبدلت السين صادا؟. والجواب على ذلك أن القاف لا توصف بالإطباق بهذا المعنى.

ثم إننا إذا رجعنا إلى ما ذكرناه من قبل من أن سيبويه قال : "فإن كانت سين في موضع الصاد وكانت ساكنة لم يجز إلا الإبدال إذا أردت التقريب، وذلك قولك في التسدير: التزدير، وفي يسدل ثوبه : يزدل ثوبه؛ لأنها من موضع الزاي"[2] ثم يقول : "وليست بمطبقة فيبقى لها الإطباق".

ولنتساءل هنا أيضا : هل يقصد إلى أن السين ليست من حروف الإطباق – وهي كذلك بالفعل– ولما كانت كذلك لم يجز إلا إبدالها زايا؟ أم أنه يريد بالإطباق معنى آخر؟.

والجواب على هذا وذاك أن مراد سيبويه بالإطباق هو الاستعلاء، لأن الصاد –المبدلة من السين– في "صقت" مطبقة والقاف منفتحة فلا وجه للمماثلة بينهما، بل إن كلا من السين –التي في أصل الكلمة– والقاف منفتحتان. هذا ونحن نعرف أن كلا من القاف والصاد مستعليان، ولما كان أصل الكلمة في المثال الأول "سقت"، والقاف حرف مستعل، جيء بحرف مستعل يضارع استعلاء القاف وهو الصاد، لأن حروف الاستعلاء مفخمة، ولا يمكن الانتقال من استفال إلى استعلاء إلا بجهد.

وما عناه سيبويه بالفشو : التفخيم وذلك في قوله : "وأنت تضع في موضع السين حرفا أفشى [أي أفخم] في الفم منها للإطباق"، أي للاستعلاء.

---

[1] السابق : 478/4.

[2] نفسه : 478/4.

وأما في المثال الثاني في كلمتي : التسدير ويسدل فقد أبدلت السين زايا لأنها في نظر سيبويه "من موضع الزاي وليست بمطبقة"[1] ومعنى ذلك أنها ليست من حروف الاستعلاء، فجاز إبدالها زايا لتتم المضارعة أو التقريب بين الزاي والدال، لأنهما مستفلان.

بعد أن شرح سيبويه ما يعنيه بـ "الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه"، انتقل إلى الحديث عن الشق الآخر من الباب وهو "الحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه" قال : "وأما الحرف الذي ليس من موضعه فالشين لأنها استطالت حتى خالطت أعلى الثنيتين"[2].

فالحرف الذي ليس من موضعه –أي ليس من مخرج الصاد والسين والزاي– وهما الشين لأن مخرج الشين طرف اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى، في حين أن مخرج أصوات الصفير (الصاد، السين والزاي) من طرف اللسان وأطراف الثنايا السفلى. ولما كانت الدال في كلمة "أشدق" مجهورة تأثرت بها الشين التي هي –في نظر سيبويه في الهمس والرخاوة– كالصاد والسين، فصارت الشين مجهورة فضارعوها بالزاي لأنها الوحيدة المجهورة بين أصوات الصفير.

هذا إلى أن سيبويه أشار أيضا إلى أن الجيم قد قربت من الزاي "فجعلت بمنزلة الشين"[3]، والسبب في ذلك –عنده– هو "أنها [أي الجيم] من موضع حرف قد قرب من الزاي [وهو الشين كما سبق]"[4] أي أن الجيم والشين من مخرج واحد وهو شجر الفم. ولما قربت الشين من الزاي جاز أن تقرب الجيم أيضا من الزاي لأنهما من مخرج واحد، وإن اختلف إخراج كل منها بأي المواضع من اللسان؛ إذ إن الجيم من وسطه والشين من طرفه. ويمثل لذلك سيبويه بكلمة : "الأجدر" وأصلها : "أشدر".

ويشبه سيبويه ما حدث في أجدر بقلب النون ميما مع الباء "إذ كانت الباء في موضع حرف تقلب النون معه ميما، وذلك الحرف الميم"[5]. كما حدث هذا التقريب أيضا –في نظر سيبويه– في صيغتي اجدمعوا واجدرعوا؛ إذ إن أصلهما اجتمعوا واجترءوا. وتعليل ذلك أن الجيم حرف

---

[1] السابق : 479/4.

[2] نفسه : 479/4.

[3] نفسه : 479/4.

[4] نفسه : 479/4.

[5] نفسه : 479/4.

مجهور، والتاء التي هي تاء الافتعال حرف مهموس فأبدلت التاء دالاً لتصير الجيم والدال حرفين مجهورين، وبذلك تتم المماثلة بينهما.

كما يلاحظ هنا أن سيبويه يسمي ظواهر القلب والإبدال والإدغام، يسميها "تقريبا"[1]، فالقلب والإبدال والإدغام كلها ألوان من التقريب بين الحروف، ليتم التجانس والتماثل بينها.

على أن سيبويه يعد من المضارعة أو التقريب قلب السين صادًا، قال : "تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة، وذلك نحو: صُقْتُ، وصَبَقْتُ. وذلك أنها من أقصى اللسان، فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم، وتصعّدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى"[2]

ويعني هذا أن القاف من حروف الاستعلاء، لأنها تصعّدت إلى ما فوق ولم تنحدر -أي لم تستفل- انحدار الكاف. ولما كانت كذلك قلبَتْ السين صادًا، لأن الصّاد تضارعها -أو تماثلها- في الاستعلاء؛ وتعليل ذلك عِند سيبويه "أنك لو جافيت بين حنكيك فبالغت ثم قلت : قَقْ، لم تر ذلك مخلاً بالقاف، ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أخلّ ذلك بهن"[3]. وهذا يعني أن الكاف وما بعده من حروف اللسان حروف مستفلة مرققة، لأنها تعتمد على الحنك الأسفل، في حين أن القاف وأخواتها من حروف الاستعلاء وهي ظ،خ،ص،ض،غ،ط "معتمدها على الحنك الأعلى"[4]. ثم يقول سيبويه "ولما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف، ليكون العمل من وجه واحد وهي الصّاد، لأن الصّاد تصّعد إلى الحنك الأعلى للإطباق"[5].

فالصاد -إذًا -من حروف الإطباق وهي- بلا شك. حرف مستعل لأن اللسان معها يلتصق بالطبق، فينتج عن ذلك تفخيمها، ومما توصف به حروف الإطباق أنها "مفخمة". أما قوله "ليكون العمل من وجه واحد" أي ليكون قبل القاف حرف مستعل فيتماثلان ليتم التجانس بينهما.

---

[1] يرى بعض الدارسين المحدثين أن التقريب هو إدغام جزئي أو هو ادغام لم يتم، ويرى أن كثيرا ما يتم الإدغام إذا نتج عن التقريب تقارب كبير بين الحرفين مثل اذتكر ، اذدكر ، اذكر واذكر، فغاية التقريب عنده شبيهة بغاية الإدغام، ينظر الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ص 69.

[2] الكتاب : 479/4.

[3] نفسه : 479/4.

[4] نفسه : 480/4.

[5] نفسه : 480/4.

ويشبه هذا ما حدث في كلمة "مصطبر" وكلمة "مزدجر"، فأبدلوا التاء طاء في "مصطبر" وأبدلوها دالا في "مزدجر"، لأن كل من الصاد في "مصطبر" والدال في "مزدجر"، يماثل الطاء والزاي على الترتيب.

فالصاد والطاء من حروف الإطباق، فهما متماثلتان وبذلك يتم التجانس بينهما، والدال والزاي مجهورتان، وبذلك يتم التجانس بينهما أيضا، بخلاف الأصل الذي هو مصتبر ومزتجر؛ فالتاء المنفتحة في مصتبر لا تناسب إطباق الصاد؛ إذ يصعب على اللسان أن ينتقل من إطباق إلى انفتاح، أو من استعلاء إلى استفال، ولو حدث ذلك أخل بأحد الصوتين أو بهما معا. والتاء المهموسة في "مزتجر" لا تناسب جهر الزاي؛ إذ يصعب الإنتقال من مجهور إلى مهموس، فيلجأ المتكلم أخيرا إلى المماثلة بين الصوتين المختلفين ليتم التجانس في العملية التمفصلية.

ثم يقول سيبويه: "والخاء والغين بمنزلة القاف، وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق"[1] أي أن الخاء والغين من حروف الإستعلاء كالقاف، وهما في أول حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم، إذ أن القاف أقصى حروف الفم مخرجا، وما حدث مع القاف يحدث مع الخاء والغين و ذلك نحو : صالغ في: سالغ، و صلخ في : سلخ. و تعليل ذلك أن الغين و الخاء مستعليان، ولما كان السين في سالغ وسلخ حرف مستفل، قلبت السين صادا لتحقيق المضارعة وتقريب الصاد من الغين والخاء.

هذا إلى أن قلب السين صادا مستساغ صوتيا، أو بالأحرى له ما يبرره؛ لأن كلا من السين والصاد حرف مهموس ، وهما من مجموعة أصوات الصفير.

بيد أن هذا لا يمكن سحبه على الزاي و هي من أصوات الصفير؛ أي إذا وقعت القاف بعد زاي، فلا تقلب الزاي إلى حرف من جنسها كالصاد والسين. و قد طرح سيبويه هذا الإعتراض ثم أجاب عليه في قوله: "فإذا قلت : (زقا) أو (زلق) لم تغيرها، لأنها حرف مجهور، ولا تتصعد كما تصعدت الصاد من السين ، وهي مهموسة مثلها"[2]، فلم تقلب القاف الزاي لأنها مجهورة؛ فهي إذا من جنسها، ثم إن الزاي مستفلة والقاف مستعلية، فلم تتصعد تصعد الصاد حتى تماثل تصعد القاف.

---

[1] السابق: 480/4.

[2] نفسه: 480/4.

وبالرغم من هذه الأمثلة المطردة لقلب السين صادا مع حروف القاف، فإن سيبويه ينبه إلى أن الأجود والأفصح، ترك السين على حالها، ومن يميل من العرب إلى هذا إنما هم بنو العنبر.

على أن سيبويه يذكر أنهم -أي بني العنبر- يقولون : صاطع في: ساطع، وذلك أنهم يقلبون السين صادا مع الطاء "لأنها [أي الطاء] في التصعد [أي الإستعلاء] مثل القاف وهي أولى بذا [أي بقلب السين صادا] من القاف، لقرب المخرجين والإطباق"[1].

هذا ويضيف سيبويه قائلا: "ولا يكون هذا في التاء إذا قلت: (نتق)، ولا في الثاء إذا قلت : (ثقب)، فتخرجها إلى الظاء، لأنها ليست كالظاء في الجهر والفشو في الفم"[2] أي لا يمكن قلب التاء إلى أحد نظيراتها أو أخواتها، ولا الثاء إلى الظاء إذا وقعتا قبل قاف في كلمة واحدة؛ لأن الثاء لا تماثل الظاء في الجهر والاستعلاء أو الفشو، إذ إن الثاء مهموسة مستفلة. وما يقال عن الثاء يقال عن التاء ، فلا يمكن -هي أيضا- قلبها طاء، لأن التاء لا تماثل الطاء في الجهر والفشو، إذ الطاء مجهورة مفخمة، والتاء مهموسة مرققة و"السين كالصاد في الهمس والصفير والرخاوة"[3] .

وقد يعترض معترض فيقول : "هل يجوز في "ذقطها" أن تجعل الذال ظاء ، لأنهما مجهورتان ومثلان في الرخاوة؟ فيجيبه سيبويه بقوله "فإنه لا يكون، لأنها لا تقرب من القاف وأخواتها قرب الصاد"[4]؛ أي أن مخارج هذه الحروف لا تقرب من مخرج القاف قرب مخرج الصاد.

ثم إن هناك سببا آخر -في نظر سيبويه- ، وهو أن قلب السين صادا ليس بالأكثر أي ليس مطردا في العربية، وعلة ذلك "أن السين قد ضارعوا بها حرفا من مخرجها، وهو غير مقارب لمخرجها ولا حيزها، وإنما بينها وبين القاف مخرج واحد [وهو مخرج الكاف]، فلذلك قربوا من هذا المخرج [أي مخرج القاف] ما يتصعد [أي يستعلي] إلى القاف"[5] .

وأما التاء والثاء ، فمخرجهما بعيد عن مخرج القاف لأنهماتخرجان من طرف اللسان، والقاف من أقصى الحنك. هذا فضلا عن أن هذه الحروف لا يبدل بعضها بعضا كما يحدث ذلك مع حروف الصفير،

---

[1] السابق: 4/480.

[2] نفسه : 4: 480/479

[3] نفسه: 4/ 480.

[4] نفسه: 4 / 480.

[5] نفسه: 4/ 480.

"فلا يكون فيهما [أي التاء والثاء] مع هذا ما يكون في السين من البـــدل قبل الدال في التسدير، إذا قلت : التزدير. ألا ترى أنك لو قلت: التثدير لم تجعل الثاء ذالا، لأن الظاء لا تقع هنا"[1].

ومن وجيه ملاحظات سيبويه قوله في باب "ما كان شاذا مما خففوا على ألسنتهم وليس بمطرد" في تفسير قول بعض العرب "يستيع" بدلا من "يسطيع": "وقال بعضهم في يستطيع: يستيع. فإن شئت قلت حذف الطـــاء كما حذف لام (ظلت) ، وتركوا الزيادة كما تركوها في (تقيـــت)"[2]، ثـــم يقول "وإن شئت قلت : أبدلوا التاء مكان الطاء ، ليكون ما بعـــد الســـين مهموسا مثلها، كما قالوا : (ازدان) ، ليكون ما بعده مجهوراً ، فأبدلوا من موضعها أشبه الحروف بالسين، فأبدلوها مكانها كما تبدل هي مكانها فـــي الإطباق"[3].

ولسنا –هنا– بحاجة إلى مزيد بيان لكلام سيبويه، غير أننا ننبه إلى أنه ذكر هذا الكلام في باب – ما كان شاذا مما خففوا على ألسنتهم – كما سبق القول– و أن أغلب شواهد هذا الباب تمثل للمخالفة، وسنعرض لذلك في حينه.

بيد أن ما أردنا قوله هنا، أن ذكر سيبويه لهذا الشاهد ضمن ذكـــره لما كان شاذا ، لا يعني ذلك أنه من شواذ "مما خففوا على ألسنتهم" ، لأن المثال يحوي إبدال الطاء تاء لتحقيق المماثلة ، بخلاف باقي أمثلة البـــاب التي تحمل حذفا لأحد مقاطعها، وذلك بسبب استثقالهم التضعيـــف فـــي كلامهم ، وهذا ما يدخل في باب المخالفة الصوتية . علـــى أن ســـيبويه يعلله تعليلا يدخله في باب الشاذ وهو قوله "فإن شئت قلت حذف الطـــاء كما حذف لام (ظلت)، [لأن الأصل ظللت من ظل] وتركوا الزيادة كمـــا تركوها في (تقيت)".

وأيا ما كان التعليل، فإن الإبدال غير الحذف؛ لأن الإبـــدال قلـــب أحد الصوتين المختلفين إلى صوت يمـــاثل الصـــوت الآخـــر، ويحقـــق الإنسجام في عملية النطق، في حين أن الحـــذف إجـــراء تتـــم بموجبـــه المخالفة بين الصوتين المتماثلين، و قد أشرنا إلى هذا في المدخـــل فـــي "باب حذف توالي الأمثال"[4].

---

[1] السابق: 4/ 480.

[2] نفسه: 4/ 484.

[3] نفسه: 4/ 484.

[4] ينظر المدخل ص244 وما بعدها.

هذا ما يمكن قوله عن المماثلة بين الأصوات الساكنة عند سيبويه ضمن ما أورده في "باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه"، وما جاء بعده من أبواب مما ذكرناه.

ب. المماثلة الكاملة [1] (الإدغام):

الإدغام ضم الصوت إلى الصوت، وصهرهما معا، بحيث ينطق بالصوتين صوتا واحدا، لأن الصوتين المدغمين يتطابقان تطابقا كاملا.

وقد تكلم متقدمو القوم عن الإدغام وحصروه في ضروب نذكرها:

أ. إدخال حرف في حرف ، دون وجود حركة تفصل بين الحرفين.

ب. التقاء حرفين من سلالة واحدة ، فيسكن الأول ويدخل في جنس الثاني ليصبح حرفا غليظا مشددا يظهره اللسان مرة واحدة.

ج. التقاء حرفين متقاربي الصفة الانتاجية (المخرج)، فيبدل الأول حرفا من جنس الآخر ، ويدغم فيه ليتشكل من تلك صورة حرف واحد[2].

بيد أن تآليف القدماء ، و-على الرغم من تناولها للإدغام في الأغلب الأعم-، إلا أنها لم توقفنا على حقيقة هذه الظاهرة اللغوية ، وما تفيده منها لا يتجاوز وصف وضعية اللسان حين النطق بالحرف المشدد.

فعلامة الإدغام عند الخليل بن أحمد "التشديد"[3]، وعند المبرد "الإدغام يعتمد اللسان اعتمادا واحدا"[4]، بينما يصف لنا سيبويه حالة اللسان عند الإدغام بقوله: "فلما كانا من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها إلى ذلك الموضع للحرف الآخر، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة"[5].

وهذه التعاريف -كما هو ظاهر- لا تعبر في الحقيقة عن طبيعة هذه الظاهرة لأنها لا تجاوز الوصف الفيزيولوجي لعملية النطق بالمشدد، إلى التفسير الصوتي الذي يعتمد الصوت مادة وليس اللسان ، لأن هذا الأخير لا يعدو أن يكون وسيلة أو آلة ليس إلا.

---

[1] أطلق هذا الاسم على الإدغام د.أحمد مختار عمر ، ينظر دراسة الصوت اللغوي ص 332.

[2] الأشموني، شرح الأشموني : 889/3، ابن السراج ، الأصول في النحو: 405/3، الزجاجي ، الجمل في النحو: 414/413.

[3] كتاب العين : 55/1.

[4] المقتضب : 1/ 333.

[5] الكتاب: 3/ 529.

بيد أن ابن جني العلامة اللغوي الفذ، وبحسه اللغوي الدقيق، وبعبقريته النادرة فطن إلى حقيقة هذه الظاهرة ووقف عند حدها، فهي عنده "تقريب صوت من صوت"[1]. فهو أي الإدغام ذو غرض قصدي، و هو تحقيق حالة التماثل بين الصوتين المختلفين، الذين يجد المتكلم صعوبة وعناء في عملية الإجراء النطقي بهما، وهكذا يحدث التقريب بين مخرجي أو صفتي الصوتين المختلفين لينتج بعد التقريب سهولة ويسر؛ لأن "اللسان يعلوه الثقل وهو يرتفع ويعود في اللحظة ذاتها ليرتفع مرة ثانية بغية تحقيق انتاجية الصوتين ، وشبهت هذه الحالة بمشي الإنسان المقيد، أو كمن يعيد حديثا مسموعا مرتين"[2].

وبناء على ما سبق فإن الإدغام تماثل، أو هو درجة منه وعلى هذا أجمع رواد المدرسة اللغوية الحديثة. وقد ذهب بعضهم إلى أنه يمثل أقصى درجات التماثل أو التأثر. وسنعرض لكل ذلك عند الحديث عن جهود المحدثين في هذا الموضوع إن شاء الله.

بعد هذه المقدمة عن الإدغام يهمنا الآن معرفة أن القدماء يقسمون الإدغام إلى صغير وكبير؛ فالأول ما كان فيه الحرف الأول ساكنا، والثاني متحركا، و أما الثاني -أي الكبير- ما كان فيه الحرف الأول متحركا والثاني ساكنا ، وسمي الأول كبيرا لشموليته في الحدوث الفعلي ولتأثيره في تسكين الحرف المتحرك قبل إدغامه، وكذا احتوائه جانبا من الصعوبة في التحقيق ، وشموله المثلين والجنسين والمتقاربين.

والآن سنتناول الإدغام أو المماثلة الكاملة عند سيبويه، مبينين أقسامه ومحللين ذلك في ضوء الدرس الصوتي قديما وحديثا.

-المماثلة الكاملة (الإدغام) عند سيبويه:

سبق القول بأن الإدغام ينقسم قسمين : كبير وصغير، بيد أن هذا التقسيم لا يعنينا هنا، بل الذي يعنينا -مما ذكره سيبويه- الأقسام المتصلة بأنواع الأصوات المتجاورة وهي :

1 إدغام المتماثلين.

2 إدغام المتقاربين.

3 إدغام المتجانسين.

4 درجات التقريب في تاء "افتعل".

---

[1] الخصائص : 2/ 139.

[2] عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ص 299.

-إدغام المتماثلين :

1- إذا كانا صحيحين في كلمة واحدة، ولم يكن أحدهما تاء "افتعل" فلهما عدة حالات:

أ . إذا كان الثاني منهما متحركا : أجمع العرب في هذه الحالة على الإدغام، يقول سيبويه[1] " والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد، وذلك (رددت) و(وددت) ... فإذا تحرك الحرف الآخر، فالعرب مجمعون على الإدغام، وذلك فيما زعم (الخليل) أولى؛ لأنه لما كانا من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها إلى ذلك الموضع للحرف الآخر، فلما ثقل عليهم ذلك، أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة وذلك قولهم : ردي، واجترا، وانقدوا."

ب - إذا كان الثاني من المثلين ساكنا، لاتصاله بتاء المتكلم أو تاء الفاعلين أو نون النسوة، فالعرب مجمعون على الفك، إلا ناسا من بكر بن وائل يقول سيبويه : "وأهل الحجاز وغيره، مجتمعون على أنهم يقولون للنساء : (اردن)، وذلك لأن الدال لم تسكن ههنا لأمر ولا نهي ... ألا ترى أن السكون لازم له في حال النصب والرفع وذلك قولك : ردن، وهن (يردن)، و(على أن يردن). ومثل ذلك قولهم : (رددت) و(مددت)؛ لأن الحرف بني على هذه التاء[2] كما بني على النون[3]، وصار السكون فيه بمنزلته فيما فيه نون النساء.

وزعم (الخليل) أن ناسا من بكر بن وائل يقولون : (ردن) و(مدن) و(ردت) جعلوه بمنزلة (رد) و (مد)" [4].

ج-إذا كان الثاني من المثلين ساكنا لأمر أو حرف، أو جزم ففيه مذهبان:

1 **فك الإدغام :** وهو مذهب الحجازيين[5] يقول سيبويه : "فإذا كان حرف من هذه الحروف [أي الأفعال المضعفة] في موضع تسكن فيه لام الفعل، فإن أهل الحجاز يضاعفون؛ لأنهم أسكنوا الآخر، فلم يكن بد من تحريك الذي قبله؛ لأنه لا يلتقي ساكنان، وذلك قولك : اردد واجترر..."[6].

---

[1] في باب "هذا باب مضاعف الفعل واختلاف العرب فيه" الكتاب : 529/3.

[2] أي تاء المتكلم.

[3] أي نون النسوة.

[4] الكتاب 534/3-535.

[5] ينظر الخصائص، 270/1، والممتع، 656/2، وشرح الشافية، 246/3، وشرح الأشموني 352/4.

[6] الكتاب : 530/3.

2 **الإدغام** : وقد نسبه سيبويه إلى تميم وغيرهم من العرب فقال : "وأما بنو تميم، فيدغمون المجزوم، كما أدغموا إذ كان الحرفان متحركين، لما ذكرنا[1] من المتحركين، فيسكنون الأول ويحركون الآخر؛ لأنهما لا يسكنان جميعا وهو قول غيرهم من العرب وهم كثير"[2].

فهو إذن أشرك مع تميم غيرها من العرب، وقوله "وهم كثير" هذا لا يعني أن هذا العدد مطلق دون تحديد؛ فإذا عرفنا أن قبيلة تميم تنتمي إلى القبائل البدوية التي استوطنت وسط الجزيرة العربية وشرقيها، أمكننا أن نعرف أن هذه القبائل كانت تميل إلى السرعة في نطق الكلمات، ومزج بعضها ببعض، وتلك طبيعة البدو التي لا تستقر على حال. وأهم القبائل التي استوطنت وسط الجزيرة العربية وشرقيها هي : طيء، أسد بكر بن وائل، تغلب وعبد قيس، إضافة إلى قيس وكنانة.

ولذا فإن ذكر سيبويه لقبيلة تميم دون غيرها من القبائل يمكن تفسيره بأن تميما تعد أشهر القبائل البدوية لهجة ومكانة، ولهذا وجدنا أن من اللغويين من ينسب هذه الظاهرة إلى تميم وحدها دون ذكر لغيرها[3].

على أن المبرد[4] حدد هؤلاء المشاركين لتميم في الإدغام بأنهم "قيس" "أسد"، ولا ندري كيف أن استقراء المبرد أوصله إلى أن قبيلتين فقط شاركتا تميما في الإدغام، إذ إن الأمر أوسع مما ذكر كما رأينا.

وفي محاولة لتفسير ظاهرتي الفك والإدغام عند العرب نورد رأيا لإبراهيم أنيس يقول فيه : "أما السر في التزام الحجازيين فك الإدغام، فهو أن يترتب على الجزم عادة نقل النبر[5] من موضعه إلى المقطع الذي قبله .. وعلى هذا كان من الواجب في حالة جزم الفعل (يرد) أن ينتقل النبر من المقطع (رد) إلى المقطع (يـ) لتصبح الكلمة (لم يرد)، ولكن التباس هذا الوضع بوضع الفعل المعتل العين، والحرص على اظهار التضعيف، جعل العرب من الحجازيين يفكون الإدغام ليجمعوا بين أمرين: نقل النبر إلى الوراء بسبب الجزم ، واظهار تضعيف الفعل...

---

[1] أي لعلة أنهم أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم بالصوتين رفعة واحدة، وهي العلة نفسها التي ذكرها في المتحركين.

[2] الكتاب : 530/4.

[3] ينظر مثلا المحتسب، 148/1، وشرح الألفية لابن عقيل، 253/4، وشرح الأشموني، 252/4.

[4] ينظر الكامل في اللغة والأدب : 1 /199.

[5] النبر –في اصطلاح المحدثين من اللغويين– هو الضغط على مقطع خاص من كل كلمة، لجعله بارزا أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهو ظاهرة موجودة في جميع اللغات. ينظر ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص 171 وما بعدها، وفي اللهجات العربية ص 145.

"أما بنو تميم فلم ينقل النبر في لهجتهم بسبب الجزم، وبهذا بقي الإدغام، فكانوا يقولون في الوقف (لم يرد)، أما في الوصل فكانوا يحركون الدال الثانية بحركة لالتقاء الساكنين."[1]

كما يمكن تفسير ذلك أيضا بما سبق وأشرنا إليه من أن القبائل البدوية كانت تميل إلى السرعة في نطقها[2] فلا تتريث فتنطق الصوت لتعطيه حقه من الآداء ، فإذا كان الصوتان متماثلين مزجتهما. في حين أن القبائل الحضرية تميل إلى التأني وإعطاء كل صوت حقه من الآداء[3] فتظهر الصوتين المتماثلين كلا على حدة.

هذا ويعتبر سيبويه اللهجات الحجازية بأنها العربية القديمة، في الوقت الذي يجد للتميمية مبررا في العربية، يقول [4]: "ودعاهم سكون الآخر في المثلي أن بين أهل الحجاز في الجزم فقالوا : (اردد) و(لا تردد). وهي اللغة العربية القديمة الجيدة. ولكن بني تميم أدغموا ولم يشبهوها برددت؛ لأنه يدركها التثنية، والنون الخفيفة والثقيلة، والألف واللام [وألف الوصل] فتحرك لهن".

2 **إذا كان المتماثلان صحيحين، في كلمة واحدة أحدهما تاء "افتعل" :**

يقول سيبويه : "ومما يجري مجرى المنفصلين قولك (اقتتلوا) و (يقتتلون)، إن شئت أظهرت وبينت، وإن شئت أخفيت وكانت الزنة على حالها، كما تفعل بالمنفصلين في قولك (اسم موسى) و(قوم مالك)، لا تدغم..

"وقد أدغم بعض العرب فأسكن لما كان الحرفان في كلمة واحدة، ولم يكونا منفصلين، وذلك قولك : (يقتلون) و(قد قتلوا)، وكسروا القاف؛ لأنهما التقيا[5]، فشبهت بقولهم : (رد يا فتى)

"وقال آخرون : قتلوا، ألقوا حركة المتحرك على الساكن."[6]

فنحن إذن حيال ثلاث لهجات في تاء (اقتتل) :

1 لهجة تظهرها، والظن الغالب أنها للقبائل الحضرية المتأنية في أدائها للكلمات.

---

[1] ينظر ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 150.

[2] ينظر نفسه، ص 71-115.

[3] نفسه، ص 71 - 115.

[4] الكتاب : 4/ 473.

[5] أي التقت القاف وهي ساكنة مع الصوت المدغم الساكن.

[6] الكتاب : 443/4.

2 لهجة تخفيها، ويقصد بذلك سيبويه أن تجعلها وسطا بين الإدغام والفك. وهي أيضا تلائم القبائل الحضرية، أو من امتزج بها من البدو، فتجانس بين الإدغام وفكه بالإخفاء.

3 لهجة تدغمها في التاء والتي بعدها. والظن الغالب أنها للقبائل البدوية التي شبهتها بالإدغام في (رد) ونحوها؛ لما في توالي المتماثلين من جهد عضلي يعوق سرعتها في الأداء.

هذا إلى أن هؤلاء المتكلمين بهذه اللهجات اختلفوا في حركة فاء المدغم فيه كما اختلفوا من قبل في حركة لامه، وذلك على النحو الآتي:

1 بعضهم كسر الفاء وأتبعها بكسر الصوت المدغم فقالوا (قد قتلوا) وهم : بكر بن وائل وتميم بن مرة.

2 بعضهم الآخر فتح الفاء إتباعا للصوت المدغم، فقالوا : قد قتلوا ولعلهم من أولئك الذين فتحوا لام المدغم فيه مطلقا، وهم بعض أسد، أو لعلهم غير بكر بن وائل وتميم بن مرة من القبائل البدوية.

3 **إذا كان المثلان معتلين :**

يقول سيبويه : "واعلم أن آخر المضاعف من بنات الياء يجري مجرى ما ليس فيه تضعيف من بنات الياء، ولا تجعل بمنزلة المضاعف من غير الياء؛ لأنها إذا كانت وحدها لاما لم تكن بمنزلة اللام من غير الياء، فكذلك إذا كانت مضاعفة، وذلك نحو : "يعيا"... و(يعيي) أجريت ذلك مجرى (يخشى) و(يخشى).

ثم يقول: "فإذا وقع شيء من التضعيف بالياء في موضع تلزم ياء (يخشى) فيه الحركة، وياء (يرمي)، لا تفارقها، فإن الإدغام جائز؛ لأن اللام من (يرمي) و(يخشى) قد صارتا بمنزلة غير المعتل، فلما ضاعفت صرت كأنك ضاعفت في غير بنات الياء... وذلك قولك : (قد حي في هذا المكان)، و(قد عي بأمره). وإن شئت قلت : (قد حيي في هذا المكان)، و(قد عيي بأمره) والإدغام أكثر، والأخرى عربية كثيرة"[1].

وعلى هذا ففي (حي) ونحوها لهجتان:

1 **الإدغام :** نحو (قد حي في هذا المكان)، وأغلب الظن أن هذه اللهجة للقبائل البدوية مثل بكر بن وائل وغيرها. ولا يخفى أن في توالي المثلين ثقلا لا يسهله إلا الإدغام.

---

[1] الكتاب 395/4.

2 **فك الإدغام** : نحو (حيي في هذا المكان). ويبدو أن هذه اللهجة للقبائل الحضرية التي تراعى التؤدة في نطقها وإعطاء كل صوت حقه من الأداء.

- إدغام المتجانسين :

1 إدغام التاء في الدال :

أ (وتد) و(ودّ) :

يقول سيبويه[1] في باب "ما كان شاذا مما خففوا على ألسنتهم وليس بمطرد"[2]، "ومن ذلك قولهم (ودّ)، وإنما أصله (وتد)، وهي الحجازية الجيدة، ولكن بني تميم أسكنوا التاء كما قالوا في (فَخِذ) : (فَخْذ)، فأدغموا".

فتجاور التاء والدال في (وتد)، وهما من مخرج واحد (أسنانيان لثويان)، وهما أيضا من مجموعة الأصوات (الحروف) النطعية لخروجها من نطع غار الحنك الأعلى وهو سقفه. فلما تجاورا تأثر الأول بالثاني، والأول مهموس،في حين أن الثاني وهو الدال مجهور فأدغم الأول في الثاني لتتحقق المماثلة بالجهر، وهو تأثر رجعي.

وقد ذكر سيبويه أن (وتد) حجازية ووصفها "بالجيدة" إشارة إلى أنها الأفصح. غير أن بني تميم أسكنوا التاء فقالوا(وَتْد) وشبهوها بـ(فَخْذ) في (فَخِذ). ويشير سيبويه إلى أن هذا -أي ما ذهبت إليه تميم من إدغام - غير مطّرد وأن فيه التباسا بالمضعف.

والذي يبدو أن ليس هناك التباس بين (ودّ) المدغمة و(ودّ) المضعفة لإمكانية التفريق بينهما؛ إذ الأولى اسم والثانية فعل، والسياق كفيل بتبيين المراد.

هذا ويعلل ابن جني لتسكين حرف التاء -عند تميم - بقوله: "ألا ترى أنك إنما أسكنته لتخلطه بالثاني، وتجذبه إلى مضامته ومماسة لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزة بينه وبينه"[3].

ومع أن سيبويه يصف (وتد) الحجازية بأنها "الجيدة"، فإننا نجد اطرادا غير قليل لما ذهبت إليه تميم في كتب اللغة[4] مما يدل على أن

---

[1] الكتاب : 481/4.

[2] وقد مر بنا هذا الباب قريبا عند الحديث عن المماثلة (المضارعة التقريب) عند سيبويه.

[3] الخصائص : 140/2، وهو عنده يدخل في باب الإدغام الأكبر (تنظر الصفحة التي بعدها).

[4] ينظر مثلا الزجاجي الجمل في النحو ص 380، وشرح الشافية : 368/3، وشرح ابن يعيش 152/10، واللسان (ودد) 455/3.

الإدغام كان يسيطر على مناطق شاسعة من الجزيرة العربية[1]، وامتد منها إلى الكوفة وهي من أعمال العراق، وقد سبق القول بأن القبائل العراقية تأثرت بالبادية، لما كانت تميل إليه هذه الأخيرة من تحري السرعة في النطق اقتصادا للجهد واستجابة لطبيعتها المتحولة التي لا تستقر على حال.

ب : (عدته) و (عده) :

يقول سيبويه : "وقال بعضهم : (عدّه)، يريد : عدته... وقالوا : (نقدّه) يريدون (نقدته)"[2]. وقد شبه سيبويه ما حدث هنا، بما حدث في (إدّان)، وما حدث من تشبيه الصاد وأخواتها بهن في "افتعل"، بمعنى أن أصل إدان : (إدتان) فلما كانت الدال مجهورة والتاء مهموسة، أدغمت في نظيرها ومماثلها المجهور فصارت "إدان". كما أن في صيغة افتعل في مثل قولنا (إصتبر) تقلب التاء إلى نظيرها المستعلي المجانس للصاد في إطباقها وهو الطاء، ثم تدغم الطاء في الصاد؛ لأنها تماثلها استعلاء وإطباقا، فتصير "اصبر"، ولا يحدث العكس[3]، وهذا تأثر تقدمي.

ولئن لم يعز سيبويه (عدّه) و(عدته) لأحد الفريقين ؛ الحجاز أو تميم فإن الظن الغالب هو أن (عدّه) بالإدغام هي لتميم ومن تابعها، في حين أن (عدته) للحجازيين لما ذكرنا من العلل.

---

[1] ينظر أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث (القسم الأول) ص 298/297.

[2] الكتاب : 472/4.

[3] يرى سيبويه أنه يمتنع أن تدغم الصاد في الطاء لأن الصاد من حروف الصفير، ومعلوم أن حروف الصفير أندى (أي أرفع وأعلى) في السمع من غيرها، ولذا فإن في إدغامها ذهاب لهذه الصفة فامتنعت، كما امتنعت الراء (المكررة) من الإدغام في اللام والنون. (ينظر الكتاب : 464/4-465). ونحن نقول : إن عدم جواز إدغام حروف الصفير في غيرها أمر يؤيده المنطق اللغوي ذلك أن في أصوات الصفير مثل الصاد صفيرا وهي صفة اختصت بها، ففي إدغامها ذهاب لهذه الخاصية. يقول ابن جني معللا عدم جواز (اطبر) في (اصطبر) ، وجواز اصبر "لأن في الصاد صفيرا، وتمام صوت ، فلو أدغمتها لسلبتها ذلك ، ومتى كان الإدغام ينقص الأول شيئا لم يجز" (المنصف : 328/2)، وهناك أصوات أخرى لها صفات اختصت بها مثل (الشين) التي لها فضيلة التفشي، و(الضاد) التي لها فضيلة الاستطالة، و(الراء) التي لها فضيلة التكرار ، فلا يجوز أن تدغم هذه الأصوات في غيرها لئلا يذهب الإدغام بصفات امتازت بها.

وملخص هذا المبدأ فيما قاله ابن جني " وإنما المذهب أن تدغم الأضعف في الأقوى" (المنصف : 328/2). وحروف الصفير على رأس الحروف القوية لأنها تمتاز بقوة الوضوح السمعي.

ومن العجيب أن نجد لهذه الفكرة تأييدا في الدراسات الصوتية الحديثة فقد صاغ اللغوي الفرنسي جرامون قانونا صوتيا سماه (قانون الجهد الأقوى)، وهو قانون حقق شهرة مفاده : أنه حين يؤثر صوت في آخر؛ فالأضعف بموقعه في النطق أو بامتداده النطقي هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر". (ينظر أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي ص 319)، و (الأصوات اللغوية د. ع. الجليل ص 268). بيد أن أبا عمرو بن العلاء وكبار الكوفيين مثل الفراء وثعلب أجازوا إدغام الراء (المكررة) في اللام، لما في الراء من تكرير. ثم إن مجيء اللام بعدها -وهي مقاربة لها في المخرج- مبعث ثقل وصعوبة في النطق، لأنه يضير كالنطق بثلاثة أحرف من مخرج واحد، فطلب التخفيف بالإدغام.

وإدغام الراء في اللام أمر أيدته الدراسات الصوتية الحديثة. (ينظر ابراهيم أنيس" الأصوات اللغوية ص 199).

2.**إدغام التاء في الطاء:**

أ .يقول سيبويه : "ومما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد... قولهم: (يطوعون) في (يتطوعون) ... والإدغام في هذا أقوى ... والبيان فيهما عربي حسن، لأنهما متحركان.. وتصديق الإدغام قوله تعالى: "يطيروا بموسى"[1][2].

والذي يبدو أن الذين جنحوا إلى الإدغام في (يطوعون) إنما هم القبائل البدوية التي يشق عليها الانتقال من مرقق مستفل وهو التاء، إلى مفخم مطبق مستعل وهو الطاء فآثرت المطبق المستعلي، لما فيه من وضوح في السمع، ونبر عال عند العملية التمفصلية.

ب.يقول سيبويه: "وقد شبه بعض العرب ممن ترضى عربيته هذه الحروف الأربعة : الصاد والضاد والطاء والظاء في "فعلت"، بهن في "افتعل"، لأنه يبنى الفعل على التاء، ويغير الفعل، فتسكن اللام، كما أسكن الفاء في افتعل -وذلك قولهم : فحصط برجلي وحصط عنه، وخبطه.. يريدون : حصت عنه، و(خبطته).. وسمعناهم ينشدون هذا البيت لعلقمة بن (عبدة) :

وفي كل حي قد خبط بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب[3]

"وأعرب اللغتين وأجودهما أن لا تقلبها طاء، لأن هذه التاء علامة الإضمار وإنما تجيئ لمعنى"[4].

فلما تجاورت الطاء المطبقة المفخمة مع التاء المستفلة المرققة، أثرت قوة الإطباق في الطاء فاجتذبت إليها صوت التاء المرققة فأدغمت فيها.

وقد عزا سيبويه هذه اللهجة لتميم[5].

3-**إدغام الطاء في التاء :**

يقول سيبويه: "ومما أخلصت فيه الطاء تاء سماعا من العرب قولهم : (حتّهم) يريدون : حطتهم"[6].

---

[1] سورة الأعراف : 131.

[2] الكتاب : 474/4-475.

[3] أمالي ابن الشجري : 181/2، والمنصف : 332/2، وابن يعيش: 48/5، 48/10-151.

[4] الكتاب : 471/4-472.

[5] الكتاب : 240/4.

[6] نفسه : 240/4.

والذي حدث هنا أن تجاورت طاء مجهورة مع تاء مرققة، ولا يخفى أنه من الصعب الانتقال من صوت مطبق إلى مرقق، فتحولت الطاء إلى تاء لتدغم في التاء التي تليها تحقيقا للانسجام ومراعاة لصفة الترقيق.

وأغلب الظن أن أصحاب الإدغام هنا إنما هم القبائل التي طبعتها البداوة بطابع السرعة حتى في أداء كلماتها.

أما اللهجة الأخرى فهي لقبائل ذات استقرار معيشي يفرض عليها تؤدة في النطق وأناة في تحقيق الأصوات كلا على حدة.

- إدغام المتقاربين :

1.إدغام الذال في الزاي أو السين:

يقول سيبويه : "وسمعناهم يقولون (مزمان) فيدغمون الذال في الزاي. و(مساعة)، فيدغمونها في السين. والبيان فيها أمثل، لأنها أبعد من الصاد وأختيها[1]"[2].

فـ (مزّمان) أصلها: (مذزمان)؛ تجاورت فيها الذال والزاي هما صوتان مجهوران مصمتان، رخوان، غير أن الأول أسناني والثاني أسناني لثوي، فقرب بينهما فأدغما.

كما أن (مسّاعة) أصلها: (مذساعة)، تجاور فيها الذال والسين، وهما صوتان مصمتان، رخوان مستفلان. إلا أن الأول أسناني، والثاني أسناني لثوي فأدغما.

والذي يبدو أن أصحاب الإدغام هنا هم أصحابه في المتماثلين والمتجانسين؛ لأن المتعجل يصعب ويشق عليه النطق بالذال ثم الزاي أو السين، كما يصعب عليه النطق بالمتماثلين أو المتجانسين، ولعل ما يدعم هذا ما عزي إلى تميم من قولهم : (مذّ) في (منذ)[3].

2-العين مع الهاء:

يقول سيبويه: "العين مع الهاء : كقولك (اقطع هلالا)، البيان أحسن. فإن أدغمت لقرب المخرجين حولت الهاء حاء والعين حاء ثم أدغمت الحاء في الحاء؛ لأن الأقرب[4] إلى الفم لا يدغم في الذي قبله[5]، فأبدلت مكانها أشبه الحرفين بها، ثم أدغمته فيه، كي لا يكون الإدغام في

---

[1] أي السين والزاي.

[2] الكتاب : 464/4.

[3] السيوطي، المزهر : 276/2.

[4] يريد الحاء، لأن مخرجها من الحلق.

[5] يريد الهاء، لأن مخرجها من الحنجرة فهي أبعد من الحاء بالنسبة للفم.

الذي فوقه، ولكن ليكون في الذي هو من مخرجه. ولم يدغموها في العين إذ كانتا من حروف الحلق، لأنها خالفتها في الهمس والرخاوة، فوقع الإدغام لقرب المخرجين، ولم تقو عليها العين إذ خالفتها فيما ذكرت لك.

ولم تكن حروف الحلق أصلا للإدغام. ومع هذا فإن التقاء الحائين أخف في الكلام من التقاء العينين... ومما قالت العرب تصديقا لهذا في الإدغام قول (بني تميم) : (محّم) يريدون (معهم) و(محّاولاء) يريدون (مع هؤلاء)."[1]

أشار سيبويه -في هذا النص- إلى ظاهرة تأثر الأصوات بعضها ببعض كما أشار إلى صفات بعض الأصوات، وتنبه إلى صعوبة تآلف أصوات الحلق بعضها وبعض.

والذي حدث في (محّاؤلاء) و(محم)، هو أن العين والهاء -وهما صوتان حلقيان باصطلاح القدماء-؛ فالعين صوت حلقي مجهور، والهاء صوت حلقي مهموس، فثقل النطق بهما لعدم تجانسهما في صفتي الجهر والهمس، فلم يمكن إدغامهما فقلبت العين المجهورة إلى نظيرها المهموس، وهو الحاء، لمجاورته لصوت الهاء المهموس، ولم يمكن أيضا إدغام الحاء في الهاء لأنهما ليستا من مخرج واحد؛ لأن الحاء حلقي والهاء حنجري -في عرف الدراسات الصوتية الحديثة-. فالحاء إذن، أقرب إلى الفم من الهاء فتأثرت هذه الأخيرة بالحاء فأدغمت فيها، فقيل : (محّاؤلاء) و (محم)، وهو تأثر تقدمي.

هذا وقد عزا سيبويه[2] هذه اللهجة إلى (تميم). ويستغرب (د. عبده الراجحي) في هذا العزو، لأنه يرى أن الميل إلى الهمس مناقض لنظيره وهو الميل إلى الجهر الذي اشتهرت به تميم بين سائر القبائل حتى نسبوا إليها ما يسمونه بالعنعنة[3].

ويذكر بعض الدارسين أنه لا تزال تسمع هذه اللهجة في بعض مناطق (نجد) إذ يقولون (محّم) ، و(محّد)، يريدون : (معهم)، و(معهد). ولا يزال يسمع بعض الحجازيين أيضا يقولون : (محّد)، ويفسر هذه الصورة اللهجية الحديثة بأنها تعود إلى هجرة القبائل البدوية إلى المدن

---

[1] الكتاب : 4/449-450.

[2] الكتاب : 4/450 وتابعه في ذلك المبرد، المقتضب : 1/208. وابن عصفور، الممتع : 2/681. وشرح الشافية للرضي : 3/266. والمزهر للسيوطي : 1/194.

[3] العنعنة قلب الهمزة عينا إذا اجتمعت مع همزة ثانية أو مع نون، ويستشهدون على ذلك بقول ذي الرمة:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم (ابن جني : سر الصناعة 1/234).

والحواضر الحجازية، أو إلى عامل السرعة الذي فرضته الحياة، حتى في مجال النطق بأصوات اللغة[1].

هذا إلى أن بعض اللهجات الحجازية الحديثة تجنبت هذا الإدغام بأن فصلت بين الصوتين بألف ، فيقال (معاهم) و(معاه) بدل (معهم) و(معه)[2].

3-إدغام لام "هل" و"بل" :

أ.في التاء :

قال سيبويه : وقد قرئ : *بتؤثرون الحياة الدنيا*[3] فأدغم اللام في التاء وقال مزاحم العقيلي:

فدع ذا، و لكن هتعين متيما على ضوء برق آخر الليل ناصب

يريد هل تعين ؟"[4].

إدغام اللام في التاء جائز ، لأن مخرج اللام قريب من مرج التاء ، وقد جاء على قراءة الإدغام قوله تعالى: "قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله"[5] فقد قرئ "هتنقمون" ، وقوله تعالى "هل تعلم له سميا"[6] فقد قرئ "هتعلم".

وقد ترددت أسماء مثل الكسائي وحمزة في هذا الإدغام وهما كوفيان ، والكوفة متأثرة بالقبائل التي آثرت الإدغام كتميم وأسد اللتين سكنتا شرق الجزيرة العربية، وهما بلا شك من القبائل البدوية التي آثرت الإغام خفة منها في تحقيق أصواتها.

وعلى ما أنشده سيبويه لمزاحم العقيلي، فإن بني عقيل هي أيضا من القبائل البدوية التي استوطنت صحراء نجد ، وقد كانت على صلة قوية بالقبائل المدغمة كتميم وأسد.

فالشاهد في البيت أصله -على الإظهار- (هل تعين) فأدغم اللام في التاء واللام قريبة من التاء -كما سبق- لأن تحقيق الصوتين في وقت واحد بالإدغام، أخف من تحقيقهما منفردين.

---

[1] ينظر صالحة راشد غنيم آل غنيم، اللهجات في كتاب سيبويه ص 207.

[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3] سورة الاعلى : 16.

[4] الكتاب : 459/4.

[5] سورة المائدة : 59.

[6] سورة مريم :65.

ب.في الراء:

يقول سيبويه: "... فإذا كانت غير لام المعرفة ، نحـــو لام (هــل) و(بل)، فإن الإدغام في بعضها أحسن، وذلك قولك (هرأيـــت؟) لأنـــهما أقرب الحروف إلى اللام، وأشبهها بها، فضارعتا الحرفين اللذين يكونـــان من مخرج واحد... وإن لم تدغم قلت : (هل رأيت؟) فهي لغـــة لأهـــل الحجاز، وهي عربية جائزة"[1].

يظهر هنا أن أكثر القبائل العربية مالت إلى الإدغام ، وحســبنا أن سيبويه يقول عنه: إنه أحسن ، في حين يقول عن لغة الفك: هي عربيـــة جائزة. ومن هنا فإن إدغام اللام في الراء كثير في العربية ، ويرجع ذلك إلى أن الراء "أقرب الحروف إلى اللام -كما يقول سيبويه- وأشبهها بها فضارعتا الحرفين الذين يكونان من مخرج واحد".

هذا إلى أن كلا من اللام والراء من مجموعة الأصوات المتوسطة أو المائعة المعروفة في اللاتينية باسم (Liquida)، وسميت متوسطة لأنـــها متوسطة بين الشدة والرخاوة، إضافة إلى أنها شبيهة بـــأصوات اللين (العلة) الألف والواو والياء.

وإنما مالت اللام إلى الفناء والإدغام في الراء، لأنهما مجـــهورتان والراء أقرب الحروف إلى اللام ، وإن اختصت الراء بصفة التكرير، مما يجعلها صوتا مركبا بالنسبة إلى اللام.

وقد ذكر الدكتور أنيس بأن الأصوات الأكثر شيوعا في العربية تعد أكثرها عرضة للتطور من غيرها[2]، ولذلك وجد أن اللام تردد في القرآن الكريم وحده -حسب إحصائية ذكرها د. أنيس- 127 مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة مما لا يدع مجالا للشك بأن اللام هي أكثر الأصـــوات العربية عرضة للتطور ، فلا غرابة إذن إن وجدناها أميل الحروف إلـــى الذوبان والفناء فيما بعدها. وهذا ما تقول به نظرية الشيوع الحديثة التـــي نادى بها Wilhem Thomsen. كما قد يتعرض الصوت كثير الإستعمال -وفـــي

---

[1] الكتاب : 457/4.

[2] ينظر الأصوات اللغوية ص 238.

ضوء هذه النظرية- أيضا إلى السقوط من الكلام[1] وبالإدغام قرأ جمهور القراء "كلا بران"[2] إلا حفصا، فقد قرأ بالفك.

ج.في الشين:

قال سيبويه: "وهي (أي اللام) مع الضاد والشين أضعف، لأن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان ، والشين من وسطه، ولكنه يجوز إدغام اللام فيهما لما ذكرت[3] لك من اتصال مخرجهما.

قال (طريف) بن (تميم) العنبري[4] :

تقول - إذا استهلكت مالا للدة (فكيهة) : هشيء بكفيك لائق؟

يريد : هل شيء؟ ، فأدغم اللام في الشين"[5].

فالبرغم من قول سيبويه السابق "وهي (أي اللام) مع الضاد والشين أضعف" إلا أنه جاز إدغام اللام -من هل وبل- في الشين، لاتساع مخرج الشين، وذلك لتفشيها حتى خالطت حافة اللسان أو طرفه، واللام من حروف طرف اللسان، فلذلك جاز الإدغام.

- درجات التقريب في تاء "افتعل" :

تتأثر تاء "الافتعال" بالأصوات المجاورة لها، ويهدف هذا التأثير إلى تيسير عملية النطق بالصوتين المتماثلين في صفتي الجهر والهمس أو الشدة والرخاوة، وأحيانا يصل فيه التأثير إلى حد فناء الصوت في غيره، وهي أقصى درجات التأثر. وعملية التأثير هذه تختلف من قبيلة عربية لأخرى. ونعرض الآن لدراسة هذه الصيغة مبينين درجات التقريب فيها بين القبائل العربية.

1-تاء "افتعل" مع الثاء:

يقول سيبويه : "وإذا كانت هذه الحروف المتقاربة في حرف واحد، ولم يكن الحرفان منفصلين، ازداد ثقلا واعتلالا، كما كان المثلان، إذ لم

---

[1] يرى د. أحمد علم الدين الجندي أن ما ذكره الفراء في تعليل حذف الألف من البسملة "بسم الله الرحمن الرحيم" دون حذفها في غير البسملة مثل "باسم ربك" ومفاده : أن الألف لا تلزم اسما من أسماء الله تعالى كلزومها مع الله تبارك وتعالى، ولا تكثر مع اسم ككثرتها مع "الله" تبارك وتعالى، يقول الفراء "ألا ترى أنك تقول "بسم الله" عند ابتداء كل فعل تأخذ فيه" (معاني القرآن: 2/1). قلت: يرى الجندي أن هذا شاهدا من شواهد نظرية الشيوع الحديثة في التراث القديم . ينظر (اللهجات العربية في التراث ص 300).

[2] سورة المطففين: 14.

[3] يريد قوله "واللذان خالطاها : الضاد والشين ، لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام. والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء" (الكتاب: 457/4).

[4] نسبة إلى بلعنبر وهي من قبائل عمرو بن تميم، وقد نسب إليها سيبويه فيما سبق قلب الصاد سينا دون غيرها من العرب. ينظر (الكتاب: 480/4). والبيت في الممتع : 694/2، واللسان : 334/10.

[5] الكتاب : 458/4.

يكونا منفصلين، أثقل... فمن ذلك قولهم في (مثترد) : (مثّرد)؛ لأنهما متقاربان مهموسان. والبيان حسن. وبعضهم يقول : (مثترد)، وهي عربية جيدة. والقياس : (متّرد)، لأن أصل الإدغام أن يدغم الأول في الآخر"[1].

ذكر سيبويه أن هناك ثلاث لهجات وردت في تقريب التاء من الثاء هي :

مثترد، متّرد، ومثّرد.

فتجاور الثاء والتاء في "مثترد" وهما صوتان مهموسان، وقريبان من بعضهما مخرجا،يجعل النطق بهما يحتاج إلى جهد عضلي غير يسير، وهو بلا شك نطق يُعزى إلى الحضر لما يعرفه من أناة وتؤده، في أداء الأصوات تفرضه الحياة المستقرة.

أما لهجة "متّرد" فيغلب على الظن أنها لقبائل بدوية اعتادت السرعة والخفة في نطقها، فآثرت صوت التاء لما فيه من انفجارية تنسجم وسرعة الأداء النطقي. وقد عرفت بذلك من قبائل العرب قبيلة أسد التي سكنت نجدا، فهي بدوية.

ومما يدعم هذا ما أورده الفراء من أنه سمع بعض بني أسد يقول: "قد اتغر، وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة، وغيرهم قد اثغر"[2].

وإذا أردنا أن نفسر ذلك صوتيا نقول : إن التاء والثاء صوتان مهموسان والثاء صوت رخو، بينما صوت التاء شديد، وقد سبق القول بأن الانتقال من صوت الثاء إلى التاء ثقيل ويحتاج إلى مجهود عضلي؛ لأن النطق بالثاء يقتضي الصفير وبالتاء يقتضي الانفجار، ووضع اللسان مختلف في الحالتين. ولهذا انتقل مخرج الثاء إلى التاء، فصارت الثاء شديدة بعد أن كانت رخوة فتماثل الصوتان واتحدا في الشدة والمخرج والهمس، فحدثت المماثلة الكاملة وهي الإدغام. وأما من قال من العرب : "مثرد" فيغلب أنها لقبائل حضرية آثرت الأصوات الرخوة لما فيها من تؤدة في النطق وإن استمر الإدغام.

2- تاء "افتعل" مع الذال :

يقول سيبويه: "وكذلك تبدل للذال من مكان التاء أشبه الحروف بها؛ لأنهما إذا كانتا في حرف واحد لزم أن يبينا إذ كانا يدغمان منفصلين، فكرهوا هذا الإجحاف، وليكون الإدغام في حرف مثله في الجهر، وذلك

---

[1] السابق : 467/4 و 468.

[2] معاني القرآن : 215/1.

قولك (مُدَّكِرٌ) كقولك (مُطَّلِمٌ)، ومن قال: (مُطَّعِنٌ)، قال (مُدَّكِـــر)، وقـد سمعناهم يقولون ذلك والأخرى في القرآن، في قوله: *فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ *[1][2].

أشار سيبويه –في هذا النص– إلى أن هناك لهجتين، هما : مُدَّكِرٌ ومُدَّكِرٌ.

أما اللهجة الأولى فإن أصحابها آثروا الصوت الرخو وهو (الدّال)، فأبدلت تاء الافتعال دالاً وهو نظيرها المجهور، ثم أثر (الذال) في (الدال) فتحول (ذالاً)، فتماثل الصوتان كل المماثلة فتم الإدغام.

وقد عزا الفراء هذه اللهجة إلى أسد قال "وبعض بني أسد يقـــول: مدّكر فيغلبون الدّال فتصير ذالاً مشدّدة"[3].

على أن د. أنيس يرى هذا العزو إلى أسد "من الأمور التي يصعب تعليلها". وذلك لأن أسدًا من القبائل البدوية الموغلة في البداوة ، ومعلـوم أن البدو يؤثرون الأصوات الشديدة –كما سبق القول– بخـــلاف القبـائل الحضرية التي تؤثر الأصوات الرخوة.

وانطلاقا مما سبق فإنه كان حق أسد أن تؤثر الدّال بدل الـدّال لأن الدّال شديد يناسب سرعة الأداء عند قبائل البدو، على خلاف الدّال وهـو النظير الرخو للدّال.

ويرى بعض[4] الدارسين أن ما يعلل هذا العزو ويدفع غرابتـــه أن الفراء نسب ذلك إلى بعض أسد وليس إلى أسد قاطبة، ويذهـــب –هـذا الدارس– إلى أن بعض أسد المعزو إليهم، ربما يكونون ممـــن اتصـل بالبيئات الحضرية فآثروا الصوت الرخو مع تركهم الإدغام.

والذي يبدو أن نسبة الفراء إلى "بعض أسد" قد تعني واحدا من أسد أو جماعة من أسد؛ لأن "بعض" تقع على الواحد كما تقع على الجماعـة، ولن يتسنى للفراء أن يسمع من قبيلة أسد برمتها، بل سيسمع من بعضها، وهذا البعض قد يكون واحدًا أو جماعة بحسب ما يتسنى لجامع اللغة مـن فرص للسماع من الأعراب. وقد يدعم هذا ما يريده بعض اللغويين والنحـلة من مثل قولهم "وقال بعضهم"، و"سمعت بعضهم" وغيرها،بحيث يريـدون عموم القبيلة أو مجموعة القبائل، من ذلك ما ورد في "تقريب التاء مـــن

---

[1] سورة القمر : الآيات، 15، 17، 22، 32، 40، 51.

[2] الكتاب : 469/4.

[3] معاني القرآن : 107/3.

[4] ينظر صالحة راشد غنيم آل عنيم، اللهجات في الكتاب، ص 214.

الثاء" بحيث يقول سيبويه "وبعضهم يقول مثترد – وهي عربية جيدة"[1]، وبعضهم هنا،يقصد بها مجموع القبائل الحضرية التي عرفت بتحقيق الأصوات وتمييز بعضها عن بعض.

ومن هنا فإننا ننضم إلى د. إبراهيم أنيس في استغرابه لهذا العزو وأنه من الصعب تعليله، إلا أن يكون ذلك دليلا على فساد ألسنة البدو نتيجة الاختلاط بالحضر، لأن كثرة إقامة الحضري في البدو تجعله يتأثر بلغة البداوة،وكذا إقامة البدوي في الحضر ولو لوقت غير طويل، تجعله أيضا يتأثر بلغة الحضر، ولسنا بحاجة إلى ذكر دواعي انتقال البدو إلى الحضر، والعكس، فهي كثيرة.

وأما اللهجة الثانية فإن أصحابها آثروا الصوت الشديد فصارت الذال الرخوة –كما يقول برجستراسر– "دالا، والتاء المهموسة أصبحت مجهورة أي دالا أيضا"[2]. لذا يغلب على الظن أن هذه اللهجة لقبائل موغلة في البداوة لما في صوت الدال من انفجارية، تتسق وميل البدو إلى سرعة أداء الأصوات.

3–تاء "افتعل" مع الظاء:

يقول سيبويه "وكذلك الظاء؛ لأنهما إذا كانا منفصلين، يعني الظاء وبعدها التاء، جاز البيان، ويترك الإطباق على حاله إن أدغمت، فلما صار في حرف واحد ازدادا ثقلا، إذ كانا يستثقلان منفصلين، فألزموها ما ألزموا الصاد والتاء، فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالظاء، وهي الظاء ليكون العمل من وجه واحد... وذلك قولهم: "مظطعن" و"مظطلم"، وإن شئت قلت: "مطّعن" و "مطّلم"... ومن قال : (مترّد) و(مصّبر)، قال "مطّعن" و"مطّلم"... ومن قال: "مظّعن" قال (مذّكر)"[3].

وتجنبا للتكرار وقياسا على ما قال سيبويه "ومن قال (مظّعن)، قال (مذكر)" نقول: إن ما قيل في (مذّكر) يقال في (مظّعن)، وما قيل في (مذّكر) يقال في (مطّعن).

4– تاء "افتعل" مع الضاد:

---

[1] الكتاب : 464/4، ورد ذلك في عنصر تقريب تاء (افتعل) من الثاء. (ينظر الصفحة 53 من هذا الفصل). ويقول الفراء في العنصر نفسه "وسمعت بعض بني أسد يقول : (قد اتغر)، وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة" فدل على أن بعض هنا هي عموم بني أسد. (تنظر الصفحة 60 من هذا الفصل).

[2] التطور النحوي للغة العربية، ص 31.

[3] الكتاب : 468/4-469.

أ.يقول سيبويه: "وقالوا في (اضطجر) : (اضجر)، كقولهم: مصبر"[1] إن أصل الفعل (اضطجر) هو (اضتجر)، فتجاورت الضاد والتاء، وهما من مخرج واحد، إلا أن الضاد صوت مجهور مطبق، والتاء مهموس منفتح، فتأثرت التاء المهموسة المنفتحة بالضاد المجهورة المطبقة؛ لأن الأقوى يؤثر في الأضعف ثم تحول التاء إلى نظيره المجهور وهو الطاء، وهذا النوع من التأثر تقدمي.

ب.يقول سيبويه: "والضاد في ذلك[2] بمنزلة الصاد، لما ذكرت لك من استطالتها كالشين، وذلك قولك: (مضطجع)، وإن شئت قلت "مضّجع"، وقد قال بعضهم: "مطّجع"، حيث كانت مطبقة، ولم تكن في السمع كالضاد، وقربت[3] منها، وصارت في كلمة واحدة، فلما اجتمعت هذه الأشياء، وكان وقوعها معها في الكلمة الواحدة أكثر من وقوعها معها في الانفصال، اعتقدوا ذلك وأدغموها".

هذا ونشير إلى أن (اضّجر) لهجة في (اضطجر)، ويغلب على الظن أنها لقبائل بدوية آثرت إدغام المتقاربين (الضاد والطاء) سعيا إلى تسهيل عملية أدائهما.

وما قيل في (اضّجر) و(اضطجر) يقال في (مضّجع) و(مضطجع) أما من آثر (مطّجع)، فيغلب أنه من أهل البداوة لما في الطاء من انفجارية، تتناسب وسرعة تحقيق الأصوات.

5-تاء "افتعل" مع الصاد:

يقول سيبويه: "وقالوا في "مفتعل" من صبرت: "مصطبر، أرادوا التخفيف حين تقاربا، ولم يكن بينهما إلا ما ذكرت لك، يعني قرب الحرف[4]، وصارا في حرف واحد[5]، ولم يجز إدخال الصاد فيها، لما ذكرنا في المنفصلين[6]، فأبدلوا أشبه الحروف بالصاد وهي الطاء، ليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد من الحروف، وليكون عملهم من وجه واحد إذ لم يصلوا إلى الإدغام".

---

[1] السابق : 468/4.

[2] أي في عدم إدغامها في غيرها.

[3] أي في المخرج، وهو طرف اللسان وحافته.

[4] أي المخرج.

[5] أي كلمة واحدة.

[6] يقصد قوله: "وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن؛ لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في السمع. وهؤلاء الحروف إنما هي شديد ورخو، لسن في السمع كهذه الحروف لخفائها" (الكتاب : 464/4-465).

"وأراد بعضهم الإدغام حيث اجتمعت الصاد والطاء، فلما امتنعت الصاد أن تدخل في الطاء قلبوا الطاء صادا فقالوا (مصّبر)[1].

"وحدثنا هارون [ابن موسى القارئ] أن بعضهم[2] قرأ ".. فلا جناح عليهما أن يصّلحا بينهما صلحا"[3] "[4].

فتجاور الصاد والتاء في (اصتبر)، وهما من مخرج واحد (الأسنان واللثة)، والصاد صوت مطبق، والتاء صوت مستفل، وللمطبق قوة التأثير في المستفل حسب قانون الجهد الأقوى، فأدى ذلك إلى قلب التاء إلى نظيره المطبق وهو الطاء ليجانس الصاد المطبقة فصارت (اصطبر) فهو (مصطبر).

أما (مصّبر) فهي لهجة في (مصطبر)، ويغلب أنها لقبائل موغلة في البداوة؛ لأنه من الصعب على المتحضر أن ينطق بحرفين متقاربين بل متحدين في المخرج وصفة الإطباق، فأبدلت الطاء صادا ثم أدغمت في الصاد الأخرى وهي "فاء" الفعل، ولم يحدث العكس "لما في الصاد من امتداد الصفير، ألا ترى أن كل واحد من الطاء وأختيها[5] والظاء وأختيها[6] يدغمن في الصاد وأختيها[7] ولا يدغم واحدة منهن في واحدة منهن! فلذلك لم يجز "إلا أن يطّلحا" وجاز يصّلحا"[8].

ويشبه ما حدث في "اصّبر" ما حدث فيما رواه الفراء من أنه"سمع بعض بني عقيل يقول : عليك بأبوال الظباء فاصّعطها، فإنها شفاء للطحل"[9].

ولشرح هذه الظاهرة يمكن القول: "إن أصل الصيغة "افتعل"، "اصتعط" وقد اجتمع في تلك الصيغة صوتان مهموسان : الصاد والتاء، غير أن أحدهما مطبق والآخر مستفل فقلبت التاء إلى نظيرها المطبق وهو الطاء، فصارت الكلمة "اصطعط" ثم زاد تأثر الطاء بالصاد، فصارت (اطّعط)، ولهجة عقيل فيها تيسير للمجهود العضلي؛ لأن عمل

---

[1] سبق الحديث عن سبب عدم جواز إدغام حروف الصفير في غيرها، (ينظر هامش الصفحة 59).

[2] هو عاصم الجحدري، (ينظر المحتسب : 201/1) وهي أيضا قراءة عثمان (ينظر معاني القرآن للأخفش : 366/2).

[3] النساء : 128.

[4] الكتاب : 467/4.

[5] أي الدال والتاء، وتسمى الأحرف النطعية.

[6] أي الذال والثاء، وتسمى الأحرف اللثوية.

[7] أي السين والزاي، وتسمى الأحرف الأسلية.

[8] ابن جني، المحتسب : 306/1.

[9] معاني القرآن : 216/1.

اللسان فيها من وجه واحد، وعقيل بن قيس –وهي ضاربة في البداوة–، والبدو حريصون على أن تتأثر الأصوات المتجاورة وتتفاعل حتى لا ينتقل اللسان من علو إلى استفال أو عكسه. ولا شك أن هذا التفاعل أدى أخيرا إلى خلق صيغة أيسر، وذلك ما تهدف إليه القبائل البدوية، وخير من يمثلها عقيل"[1].

6– تاء "افتعل" مع الواو والياء:

أ.مع الواو :

يقول سيبويه: "وذلك في الافتعال. وذلك قولك (متّقد)، و(متّعد) و(اتّعد)، و(اتّقد)... في الاتّعاد والاتّقاد، من قبل أن هذا الواو تضعف ههنا، فتبدل إذا كان قبلها كسرة، وتقع بعد مضموم وتقع بعد الياء، فلما كانت هذه الأشياء تكنفها مع الضعف الذي ذكرت لك، صارت بمنزلة الواو في أول الكلمة وبعدها واو، في لزوم البدل؛ لما اجتمع فيها، فأبدلوا حرفا أجلد منها لا يزول. وهذا كان أخف عليهم.

وأما ناس من العرب جعلوها بمنزلة واو (قال)، فجعلوها تابعة حيث كانت ساكنة كسكونها وكانت معتلة، فقالوا : (أيتعد) كما قالوا : قيل، وقالوا : يا تعد كما قالوا : (قال) وقالوا : (مُوتعد)، كما قالوا: (قول)"[2].

ب.مع الياء:

يقول سيبويه : "والياء توافق الواو في (افتعل) في أنك تقلب الياء تاء في (افتعل) من اليبس. تقول (اتّبس) و(متّبس) و(يتّبس)؛ لأنها قد تقلب تاء؛ ولأنها قد تضعف ههنا فتقلب واوا لو جاء بها على الأصل في "مفتعل" و(افتعل)، وهي في موضع الواو، وهي أختها في الاعتلال، فأبدلوا مكانها حرفا هو أجلد [منها] حيث كانت فاء وكانت فاء وكانت أختها فيما ذكرت لك، فشبهوها بها..

"وقد قالوا: (يا تئس)، و(يا تبس). فجعلوها بمنزلتها إذ صارت بمنزلتها في التاء، فليست تطرد العلة إلا فيما ذكرت لك"[3].

يتضح من النصين السابقين أن تطورا حدث في صيغة الافتعال؛ وذلك فيما إذا كانت فاء الافتعال واوا أو ياء أصلية، بحيث آثرت بعض القبائل قلب الواو أو الياء تاء، لأن في النطق بالواو أو الياء على الأصل –ثقلا ومشقة. ثم تدغم التاء المنقلبة عن فاء الافتعال في تاء الافتعال

---

[1] أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث ص 305.

[2] الكتاب : 4/338–339.

[3] الكتاب : 4/338–339.

فيقولون: (اتّعد) و(متّعد) بدلا من : (اوتعد) و(مُوتعد) تيسيرا لعملية أداء الأصوات واقتصادا في الجهد العضلي.

ويغلب أن هذه اللهجة لقبائل بدوية آثرت صوت التاء لما فيه من انفجارية تناسب سرعة تحقيق الأصوات. وقد وصفها ابن جني بأنها "الأكثر والأقيس، وهي لغة الحجاز"[1]. والذي يبدو أن عزو ابن جني هذه اللهجة لأهل الحجاز يحتاج إلى كثير من الدقة؛ إذ إن الحجاز بيئة حضرية وهي بذلك لا تناسب هذا النوع من النطق السريع الأداء، أضف إلى ذلك أن ما يظهر من استقراء الدارسين لمظاهر لهجة الحجازيين أنها كانت لا تبدل الواو والياء تاء -كما لاحظنا فيما سبق- بل كان لهم مذهب آخر، وهو إبدال الواو والياء من جنس حركة ما قبلها،فيقولون مثلا في : يتّصل، متّصل، اتّسر، متّسر يقولون : يا تصل ، موتصل، ايتسر، موتسر[2].

ومما يقوي ما ذكرنا أن السيوطي عزا (اتّخذت) إلى تميم و(وخذت) إلى (أهل الحجاز)[3].

ج.الانسجام الأصواتي عند سيبويه:

تناولنا فيما سبق ما سماه سيبويه مضارعة أو تقريبا، وكان يقصد إلى تأثر الأصوات بعضها ببعض في العملية التمفصلية (عملية النطق)، ذلك التأثر الذي يهدف إلى نوع من التماثل بين الأصوات المختلفة تمفصلا (مخرجا) أو تلوينا (صفة). كما عرفنا أيضا أن الإدغام نوع من التأثر بين الأصوات لأنه يهدف إلى تخفيف عملية النطق بإدغام الحروف المتماثلة والمتجانسة بعضها في بعض، فيقتصد الناطق باللغة في مجهوده العضلي؛ لأن النطق بالحرف المشدد يكون كمن نطق بصوتين متماثلين أو متجانسين، ولا يخفى ما في هذا النطق الأخير من مشقة وجهد عضلي تنفر منه طبيعة اللغة.

على أن هذا الميل إلى تأثر الأصوات بعضها ببعض الذي أسماه المحدثون من علماء العربية مماثلة أو مشاكلة، سواء أكانت جزئية بتقريب الأصوات بعضها من بعض أم كاملة بإدغام الأصوات بعضها في بعض. قلت على أن هذا الميل لا يقصد إليه ناطق اللغة إراديا، بل هو

---

[1] سر صناعة الإعراب : 165/1.

[2] ينظر أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث ص 307 و 308. وقد لاحظ د.الجندي أن هذه اللهجة ترد كثيرا في أسلوب الشافعي (رحمه الله) وهو بلا شك قرشي حجازي. (تنظر ص 308).

[3] ينظر المزهر : 276/1.

عمل غير إرادي، يفرضه ما تتطلبه عملية النطق -التي هي عبارة عن عمل مجموع عضلات ومحابس- من سهولة ويسر في إخراج الأصوات من أقصر الطرق.

وإذا كنا قد تناولنا تأثر الحروف (السواكن) ببعضها ببعض، ورأينا أن هذا التأثر مطرد في جميع لغات العالم، فإن الحركات (العلل) هي أيضا يتأثر بعضها ببعض فيحدث التقارب بينها، وهذا ما يطلق عليه المحدثون من علماء اللغة بالإنسجام الصوتي أو الأصواتي.

والمقاربة بين الأصوات تكون على نوعين : الإمالة والإتباع. وقد أشار إليهما سيبويه، وفيما يلي نعرض لأهم مظاهرهما عنده.

أولا: الإمالة:

الإمالة لغة : من الميل وهو العدول إلى الشيء والإقبال عليه[1] ومال عن الطريق يميل ميلا : تركه وحال عنه[2].

واصطلاحا : عرفها العلماء بأنها تقريب الفتحة ، طويلة كانت أو قصيرة إلى الكسرة طويلة كانت قصيرة، يقول صاحب شرح الشافية "الإمالة أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة"[3]. وزاد ابن جني على ذلك تقريب الفتح من الضم فيما سماه إمالة "ألف التفخيم" ويعرفها بأنها "التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم (سلام عليك)، و(قام زيد) وعلى هذا كتبوا (الصلوة) و(الزكوة)، و(الحيوة) بالواو لأن الألف مالت نحو الواو"[4]

وقد نبه المحدثون من علماء اللغة إلى هذا النوع من الإمالة؛ فرأى بعضهم أنه كما يمال الفتح إلى الكسر قد يمال أيضا إلى الضم[5]. في حين ذكر بعضهم الآخر أن هذا النوع لغة لأهل الحجاز. وبذلك يمكننا تفسير ما ورد في القرآن الكريم من رسم لكلمات مثل الصلاة والزكاة والحياة بالواو،على شكل (الصلوة) و(الزكوة) و(الحيوة)، وكأني بابن جني قد ضمن تعريفه السابق ما قررناه الآن، وإن لم يعزه صراحة كعادته في كثير من الأحيان.

ومما سبق نخلص إلى أن الإمالة على ضربين مشهورين:

1- إمالة الفتحة نحو الكسرة:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب : 636/11 (م ي ل).

[2] الفيومي، المصباح المنير : 588/2 (م ا ل)، وينظر أيضا الرازي، مختار الصحاح ص268.

[3] ابن الحاجب : 4/3.

[4] سر صناعة الإعراب : 55/10-56.

[5] د. ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية ص 65.

لا شك أن تقريب الفتح من الكسر فيه من تيسير عملية النطق ما يجعل المتكلم يبذل أقل مجهود عضلي لأن؛ الغرض منه تحقيق الإنسجام الأصواتي يقول سيبويه: "فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك (عابد). وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها، كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا (صدر) فجعلوها بين الصاد والزاي، فكما يريد في الإدغام أن يرفع لسانه في موضع واحد، كذلك يقرب الحرف إلى الحرف على قدر ذلك[1]".

وقد سمى علماء القراءات هذا النوع بـ "المحض" و"الإضجاع" و"البطح" و"الكسر"[2]، وسببه عندهم يرجع إلى عاملين هما[3]: المناسبة والإشعار.

فالمناسبة : وسببها موجود في اللفظ وفيما أميل لإمالة غيره، فأرادوا أن يكون عمل اللسان ومجاورة النطق بالحرف الممال وبسبب الإمالة من وجه واحد وعلى نمط واحد.

وأما الإشعار : فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. الإشعار بالأصل، وذلك إذا كانت الألف الممالة منقلبة عن ياء أو عن واو مكسورة.
2. الإشعار بما يعرض في الكلمة في بعض المواضع من ظهور كسرة أو ياء حسبما تقتضيه التصاريف دون الأصل.
3. الإشعار بالشبه المشعر بالأصل، وذلك كإمالة ألف التأنيث والملحق بها والمشبه أيضا. هذا ويكاد يلتقي القراء والنحاة فيما تهدف إليه الإمالة في اللفظ، فلئن كانت تهدف عند النحاة إلى تقريب الحرف من الحرف وبالتالي يرفع المتكلم "لسانه في موضع واحد"[4]، وهي عملية تشبه النطق بالمشدد بدل النطق بصوتين متماثلين أو متجانسين، فإن الإمالة تهدف عند القراء إلى تسهيل اللفظ، لأن "اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع"[5].

2- إمالة الفتحة نحو الضمة :

وهو نوع لم يعرض له القراء لأنه لم يشتهر كما اشتهر النوع الأول، غير أن بعض اللغويين نبهوا عليه وأشاروا إلى وجوده؛ منهم ابن

---

[1] الكتاب : 117/4.

[2] ابن الجزري، النشر : 24/2.

[3] نفسه : 27/2-28.

[4] الكتاب : 117/4.

[5] ابن الجزري، النشر 28/1.

جني كما رأينا فيما نقله عن قطرب من أن أهل اليمن يقولون "الحيـــوة" فهذه الواو بدل من ألف "حياة"، وليست بلام الفعل من حيـــوت. وكذلـــك يفعل أهل اليمن بكل ألف منقلبة عن واو كالصلوة والزكوة[1].

ومن اللافت للنظر أن نجد سيبويه يسمي الألف الممالة نحو الضـــم (ألف التفخيم) ويعدها حرفا من حروف العربية التي هـــن فـــروع عـــن حروف العربية التسعة والعشرين، "يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القـرآن والأشعار"[2]. ويذكر أن تفخيم الألف في مثل الصلاة والزكاة والحياة لغـــة لأهل الحجاز[3]. ولكنه لا يشير إلى أن ذلك نوعا من الإمالة، بدليـل ورود ألف التفخيم في باب الإدغام. وكذا عده -كما رأينا- ألف التفخيـــم مـــن الحروف التوابع للحروف العربية الأصلية، وليس مظهرا لإمالة الألـــف نحو الواو.

وفي محاولة لمعرفة من كان يميل من العرب ومن كان يفتـــح - والفتح هو ما يقابل الإمالة- فقد أعطى بعض العلماء ، حكما يفتقر إلـــى الدقة العلمية مفاده أن الفتح يعزى مطلقا لأهل الحجاز، وهي قريش ومـــا جاورها بينما تنسب الإمالة -وبإطلاق- لأهل نجد وهي قبائل تميم وقيس وأسد وما دار في فلكها، ولا يخفى ما في هذا الحكم العام مـــن تجـوز وتجاوز للواقع اللغوي. لأنه وُجد أن من أهل الحجاز من كان يميل كمـــا أن من بين أهل نجد من كان يفتح[4]. وقد نبه على ذلك سيبويه بقوله "اعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه، فينصب[5] بعض ما يميل صاحبـــه، ويميل بعض ما ينصب صاحبه. وكذلك من كان النصب مـــن لغتـــه لا يوافق غيره ممن ينصب، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأوليـــن فـــي الكسر. فإذا رأيت عربيا كذلك فلا ترينه خلط في لغته، ولكن هـــذا مـــن أمرهم[6]"[7].

3- نماذج من الإمالة عند سيبويه:

-إمالة كلمة "الناس":

---

[1] ابن منظور اللسان : 230/18.

[2] الكتاب : 432/4.

[3] نفسه . الجزء نفسه والصفحة نفسها.

[4] ابن الأنباري، أسرار العربية ص : 406.

[5] أي يفتح، وهو ما يقابل الإمالة.

[6] أي أن الامالة لا يحكمها قياس لا تجوز مخالفته، ولا تركها (أي الفتح) أيضا يحكمه قياس مطرد.

[7] الكتاب : 125/4.

قال سيبويه: "وأما الناس فيميله من لا يقول : هذا مـــال بمنزلـــة الحجاج، لأنها كألف فاعل إذا كانت ثانية، فلم تمل في غير الجر، كراهية أن تكون كباب رميت"[1].

فإمالة كلمة "الناس" هنا لأجل كثرة الاستعمال، وما كثر اســـتعماله عند العرب من الكلمات اشتهر بالإمالة، ويدلك على ذلك ما ذكره سيبويه في أول الباب من أن كلمة "الحجاج" تمال على غير قياس إذا كانت اسماً لرجل، والسبب في ذلك عند سيبويه هو "أنه كثر في كلامهم فحملوه على الأكثر؛ لأن الإمالة أكثر في كلامهم"[2].

على أننا نفهم من كلام سيبويه أيضا أن من يميل "الناس" لا يجـيز ذلك إلا في حال الجر، تماما كما لا يجيز "هذا مال" في حال الرفـــع أو النصب، وفي هذا مراعاة للكسرة المتأخرة ، فـــالذي حـــدث -بـــالتعبير الصوتي- هو تقريب الألف من الياء،وتقريب فتحة ما قبل الألـــف مـــن الكسرة، حتى يتم التجانس والانسجام الصوتي، سعيا إلى تحقيق الخفة في عملية الأداء اللغوي.

وأغلب الظن أن من يميل كلمة "الناس" إنما هم قبائل نجـــد ممـــن استوطنوا وسط وشرق الجزيرة العربية مثل قيس وتميم وأسد وما تفـرع عنها من القبائل، وهي ولاشك تمثل قبائل البيئة البدوية التي كانت تميـــل إلى الخفة في عملية النطق فتلجأ إلى الإمالة. والذي يقوي هذا الظن مـــا أنا ذاكره لك الآن:

أ.نسب الفراء "الفتح لعامة نجد من تميم وأسد وقيـــس فـــي مثـــل قـــال وجال"[3].أي أنهم لا يميلونها.

ب-ذكر سيبويه -إضافة إلى قوله السابق- عزوا مفاده أن "الذين يميلـون في الرفع والنصب أكثر العرب"[4] وهم أيضا الذين "لايميلون في الفعـــل نحو "قال"[5].

فدل ذلك على أن من لا يميل مثل "قال" و"جال" هي القبائل البدوية، وهي ولا شك أكثر العرب إمالة كما وصفها سيبويه.

-إمالة غزا وصفا ودعا:

---

[1] السابق : 128/4.

[2] نفسه : 127/4.

[3] ابن يعيش، شرح المفصل : 54/9.

[4] الكتاب : 128/4.

[5] نفسه : 128/4.

وهي إمالة ما كان آخره ألفا يقول سيبويه "والإمالة في الفعل لا تنكسر إذا قلت غزا وصفا ودعا، وإنما كان في الفعل متلئبا، لأن الفعل لا يثبت على هذه الحال [للمعنى]. ألا ترى أنك تقول : غزا، ثم تقول غزي، فتدخل الياء وتغلب عليه، وعدة الحروف على حالها"[1].

والسبب في الإمالة هنا هو الياء المقدرة في المحل الممال، فلما كانت كذلك أميلت الألف إلى الياء والفتحة قبلها إلى الكسرة، لتجانس الألف الياء سعيا إلى الخفة في النطق، وبذل أقل مجهود عضلي.

-إمالة ما فيه راء نحو قارب والكافرون:

قال سيبويه: "ومما تغلب فيه الراء قولك : قارب وغارم ، وهذا طارد وكذلك جميع [الحروف] المستعلية إذا كانت الراء مكسورة بعد الألف التي تليها، وذلك لأن الراء لما كانت تقوى على كسر الألف في فعال في الجر وفعال، لما ذكرنا من التضعيف، قويت على هذه الالفات، إذ كنت إنما تضع لسانك في موضع استعلاء ثم تنحدر، وصارت المستعلية هنا بمنزلتها في قفاف"[2].

ثم يقول "واعلم أن قوما من العرب يقولون : الكافرون ورأيت الكافرين، والكافر، وهي المنابر، لما بعدت وصار بينها وبين الألف حرف لم تقو قوة [الحروف] المستعلية، لأنها من موضع اللام، وقريبة من الياء. ألا ترى أن الألثغ يجعلها ياء، فلما كانت كذلك عملت الكسرة عملها، إذ لم يكن بعدها راء"[3].

ومن التأثر الرجعي ما ذكره سيبويه في النص الأول من أن الراء تغلب الألف أي تؤثر فيه بحيث تميله، وإنما حدث ذلك لأن الراء مكسورة ومعلوم أن الكسرة المتأخرة عن الألف تجعله يمال إلى الياء. وأبلغ ما تمال فيه الألف نحو الياء إذا سبقها حرف من حروف الاستعلاء وكانت الراء المكسورة بعد الالف. فحينئذ يمكننا تصور مدى صعوبة تحقيق كلمة مثل : غارم؛إذ إن الغين حرف مستعل مفخم وما يزيده استعلاء وتفخيما الفتحة الطويلة بعده (الألف)؛ثم ينتقل بنا اللسان إلى حرف مستفل مرقق وهو الراء وقد جاء مكسورا. فلنتصور -إذن- مدى صعوبة تحقيق مثل ذلك المثال أو غيره من الأمثلة المشابهة.

---

[1] السابق : 119/4.

[2] نفسه : 136/4-137.

[3] نفسه : 137/4.

هذا ويضاف إلى ذلك أن القراء وعلماء القراءات قرروا أن من أحكام الراء الترقيق إذا كانت مكسورة فإذا تجمع لدينا كل ذلك ، عرفنا أن عملية النطق بمثل "قارب" و "هذا طارد" يشبه "أن تضع لسانك في موضع استعلاء ثم تنحدر"[1] كما قال سيبويه. فأمالوا الألف وقربوها من الراء تخفيفا للمجهود العضلي.

-إمالة الألف لكسرة سابقة أو لاحقة:

يقول سيبويه : "فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك : عابد وعالم، ومساجد، ومفاتيح، وعذافر، وهابيل. وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها"[2].

"وإذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الألف حرف متحرك، والأول مكسور نحو (عماد) أملت الألف، لأنه لا يتفاوت ما بينها بحروف ألا تراهم قالوا : صبقت، فجعلوها صادا لمكان القاف، كما قالوا : صُقت. "وكذلك إن كان بينه وبين الألف حرفان الأول ساكن؛ لأن الساكن ليس بحاجز قوي ، وإنما يرفع لسانه عن الحرف المتحرك رفعة واحدة كما رفعه في الأول فلم يتفاوت لهذا كما لم يتفاوت الحرفان حيث قلت : صويق، وذلك قولهم : سربال، وشملال وعماد ، وكلاب.

وجميع هذا لا يميله أهل الحجاز"[3].

فإمالة الألف لكسرة سابقة أو لاحقة هو نوع من تقريب الألف من الكسرة، وهنا يعود سيبويه إلى مصطلح التقريب الذي رأيناه في أول باب المماثلة، ليدلل على أن الإمالة هي أيضا لون من ألوان المماثلة أو المشابهة بين الحركات، أو بعبارة أخرى يمكن القول بأن الإمالة تقريب يهدف إلى ضرب من المماثلة أو المشابهة بين الصوتين المختلفين؛ فحين نميل ألف "عالم" و"مساجد" أو "سربال" و"عماد" و"كلاب"؛ فإننا في "عـالم" قربنا الألف من كسرة لاحقة، وهي كسرة اللام وهو تأثر رجعي؛ إذ تأثرت الألف بالكسرة اللاحقة، أما في "سربال" مثلا فقد تأثرت الألف بكسرة سابقة فأميلت، حتى وإن كان بينها وبين الكسرة حرف ساكن، ذلك لأن الحرف الساكن -عند سيبويه "ليس بحاجز قوي"[4]. وهذا التأثر تأثر تقدمي، إذ أثرت الكسرة وهي الحركة الأولى في الألف فأمالته.

---

[1] الكتاب : 137/4.

[2] الكتاب : 117/4.

[3] الكتاب : 117/4-118.

[4] الكتاب : 117/4.

ويظهر من كلام سيبويه أن هذا النوع من الإمالة يُعزى لنجد وهم قيس وتميم وأسد وما تفرع عنها من القبائل البدوية، بدليل قوله "وجميع هذا لا يميله أهل الحجاز"[1]، فدل على أن أهل الحجاز يفتحون الألف، سواء سبقت بكسرة أو لحقتها كسرة ولا يخفى أنهم يمثلون قبائل الحضر مثل قريش وهوازن وما جرى مجراهما؛ لأن هاتين الأخيرتين وغيرهما من قبائل الحجاز كانت تنعم بالاستقرار المعيشي مما يجعل نطقها وتحقيقها للأصوات يطبع بطابع التؤدة والأناة.

-إمالة الألف للياء:

قال سيبويه: "ومما تمال ألفه قولهم : كيال وبياع. وسمعنا بعض من يوثق بعربيته يقول : كيال كما ترى، فيميل. وإنما فعلوا هذا لأن قبلها ياء، فصارت بمنزلة الكسرة التي تكون قبلها، نحو سراج وجمال ، وكثير من العرب وأهل الحجاز لا يميلون هذه الألف.

"ويقولون : شوك السيال والضياح، كما قلت : كيال وبياع. وقالوا : شيبان وقيس عيلان وغيلان، فأمالوا للياء.

"والذين لا يميلون في كيال لا يميلون ههنا"[2].

تمال الألف إذا سبقت بياء سواء جاورتها في مثل كيال وبياع أو فصل بينهما فاصل في مثل شيبان ، وهي هنا بمنزلة الكسرة التي تكون قبلها في نحو : سراج وجمال، والكسرة أخت الياء. وهذا تأثر تقدمي إذ تأثر الثاني بالأول.

هذا ويعزو سيبويه إمالة هذا الألف إلى "بعض من يوثق بعربيته"، ولا ندري من هذا الذي وثق بعربيته؟، ولا من أي القبائل هو؟، وهذا دأب سيبويه في كثير من المواضع؛ إذ نجده يهمل تحديد القبيلة التي تنطق بهذه الصيغة أو تلك، وأحيانا يهمل ذكر حتى مجموع القبائل وإلى أي جهة تنتمي من الجزيرة العربية، شرقا أو وسطا أو غربا. وتلك صعوبة من الصعاب وعقبة كؤود تقف في طريق معرفة الظواهر اللغوية عند القبائل، ودراستها، وبالتالي الاهتداء إلى صور الواقع اللغوي بعيدا عن الظن والافتراض.

بعد هذا أعود لأقول : إنه على الرغم من أن سيبويه لم يحدد من ينطق من العرب بإمالة الألف بياء قبله، فإنه في الأخير -يعود ليقول:

---

[1] الكتاب : 118/4.

[2] نفسه : 121/4-122.

"وكثير من العرب وأهل الحجاز لا يميلون هذه الألف"[1]، فأفاد أن أهل الحجاز من قبائل قريش وهوازن وثقيف وكنانه لا يميلون وأشرك معهم "كثيرا من العرب"[2]. وهنا تتملك الباحث حيرة كبيرة باعثها أسئلة من الصعب الإجابة عنها، إن لم تستحيل أحيانا، فمن هم هؤلاء العرب الكثيرين الذين لا يميلون؟ أهم مجموع القبائل البدوية التي استوطنت شرقي الجزيرة العربية ووسطها؟ أم أنهم أهل الوسط دون الشرق؟ أم العكس؟ ولا يجد الإنسان الباحث مفرا من اللجوء إلى الظن الغالب انطلاقا من أدلة لا ترقى إلى اليقين العلمي.

-إمالة الألف المبدلة من ياء أو واو :

قال سيبويه: "وقال ناس يوثق بعربيتهم: هذا باب، وهذا مال، وهذا عاب، لما كانت بدلا من الياء كما كانت في رميت شبهت بها، وشبهوها في "باب" و"مال" بالألف التي تكون بدلا من واو غزوت، فتبعت الواو الياء في العين كما تبعتها في اللام، لأن الياء قد تغلب على الواو هنا"[3].

فأصل باب : بوب، وأصل مال : ميل، وهذا يعني أن الألف في باب بدلا من واو والألف في مال بدل من ياء. وتفسير إمالة ألف "مال" له ما يسوغه من الناحية الصوتية، ذلك أننا نعرف أن من دواعي الإمالة الأصل اليائي، وهو أحد[4] عاملين عزا إليهما د. أنيس إمالة الفتح إلى الكسر. بيد أن الذي يصعب تفسيره هو تلك الصيغ التي وردت فيها إمالة مما يعود فيها الألف إلى أصل واوي مثل "باب" التي يفترض أن يكون أصلها بوب؛ لأن سيبويه شبه الألف فيها بالتي تكون بدلا من واو غزوت[5]، أي شبه الإسم بما كان من الأفعال من ذوات الواو على ثلاثة أحرف مثل غزا ودعا.

ولئن وجدنا ما يبرر إمالة الألف فيما كان ثلاثيا من الأفعال ذوات الياء، فإننا نجد من الصعوبة بمكان تبرير إمالة الألف في الأفعال الثلاثية ذوات الواو، وهذا ما جعل د.أنيس يقول مبررا هذه الصعوبة "لأن الامالة في مثل هذه الحالة كان حقها أن تكون من الفتح إلى الضم، لا من الفتح إلى الكسر"[6]، وذكر أن المبرد أنكر هذا النوع من الإمالة، ووصف إمالة

---

[1] السابق : 121/4.

[2] نفسه : 121/4.

[3] نفسه : 128/4.

[4] العامل الثاني هو الانسجام بين أصوات اللين أو ما يعرف بالأحنبية Vowel-Harmony ، وسيأتي الحديث عنه قريبا.

[5] ينظر : 128/4.

[6] في اللهجات العربية ص 69.

ما كان من ذوات الواو على ثلاثة أحرف نحو "دعا وغزا" "بالقبيحة" إلا إذا كان هناك ما يبررها ككسرة تسبق ألف المد كما في إمالة "ربا" التي قرأ بها الكسائي وحمزة[1].

هذا وقد ذهب بعض الدارسين المحدثين -في تفسير هذا النوع من الإمالة- إلى رأي له وجاهته ملخصه "أن ما نسمعه ألفا الآن كان في الأصل أحد صوتين : رقيق يقرب من الياء، وفخم يقرب من الواو، أما الرقيق الذي يقرب من الياء فجاءت عنه بعد تطوره الأفعال التي عينها ياء: كسار، يسير، وأما الفخم الذي يقرب من الواو فجاءت عنه بعد تطوره الأفعال التي عينها واو، وما الإمالة والتفخيم إلا آثار هذين الصوتين. فالصوت الذي يسمع في الإمالة هو صوت الألف قديما، حيث تطور صوت الإمالة إلى صوت الألف المحضة -كما نسمعها اليوم- عند قبائل العرب المتحضرة، وبقيت آثاره عند القبائل البدوية"[2].

وإذا عدنا إلى ما قاله سيبويه عن الإمالة في الأسماء مثل "قفا" و"عصا" وجدناه يقول عنها "وهذا قليل يحفظ"[3]. أما في الأفعال فهي عنده كثيره متلئبة قال: "والإمالة في الفعل لا تنكسر إذا قلت غزا وصفا ودعا، وإنما كان في الفعل متلئبا لأن الفعل لا يثبت على هذه الحال للمعنى، ألا تراك تقول غزا ثم تقول غزي فتدخل الياء وتغلب عليه"[4]، ثم نص سيبويه على أن ناسا كثيرا من بني تميم وغيرهم لا يميلون ذلك[5]، وبنو تميم أصحاب إمالة. فكيف نبرر اطراد الإمالة في الأسماء والأفعال وبنو تميم وغيرهم لا يميلون؟.

وفي محاولة لتفسير ذلك يعود الدارس نفسه ليقول: "فهو إذن مما تنازعه الصوتان القديمان للألف الحديثة كما نرى، فكان بعضهم يلفظ بالإمالة نحو الياء، وبعضهم بالإمالة نحو الواو، وغلب عليه الواو والتفخيم، ولذا كان الذين يميلونه نحو الياء ليس فيهم الناس الكثير من تميم وغيرهم؛ لأنهم قد مالوا فيه إلى النطق المفخم بالواو"[6].

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2] د. حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 204-205.

[3] أي أن هذه الأسماء مثل قفا وعصا وغيرها مثل القنا والقطا وأشباهها ، لا تمال وهي قليلة بالنسبة للتي تمال مثل الكبا والعشا والمكا، وهذا يدل على اطراد ذلك في الاسم كما في الفعل. (ينظر الكتاب : 119/4).

[4] الكتاب : 119/4.

[5] ينظر نفسه : 120/4.

[6] د. حسام سعيد النعيمي ، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 205.

ويستشهد لذلك بما جاء في سر الصناعة مما جاء بالتفخيم -في قولهم "الصلوة والزكوة، ودعا وغزا وقام وصاغ وكما أن الحركة هنا قبل الألف ليست فتحة محضة بل هي مشوبة بشيء من الضمة، فكذلك الألف التي بعدها، ليست ألفا محضة لأنها تابعة لحركة هذه صفتها فجرى عليها حكمها"[1].

-إمالة ما قبل هاء التأنيث في الوقف:

قال سيبويه: "سمعت العرب يقولون: ضربت ضربه، وأخذت أخذه شبه الهاء بالألف ، فأمال ما قبلها، كما يميل ما قبل الألف ومن قال : أراد أن يضربها قاسم ، قال : أراد أن يضربها راشد"[2].

وهذا النوع من الإمالة عرف عند القراء وخاصة الكسائي وحمزة ؛ فإمالة ما قبل هاء التأنيث في الوقف هو نوع من تقريب الحرف الممال من هاء السكت ، توخيا للخفة في الوقف، تماما كما يمال ما قبل الألف في مثل قولهم: أراد أن يضربها راشد فأميلت الهاء للألف التي بعدها، ولا تمال في مثل قولهم: أراد أن يضربها قاسم؛ لأن الإمالة قبل حروف الاستعلاء تضعف، والسبب في ذلك الانتقال مما يشبه الكسر إلى ما يشبه الفتح، ولا يخفى ما في حروف الاستعلاء من تصعد إلى الحنك الأعلى.

- إمالة كلمة "الحجاج"

قال سيبويه في "باب ما أميل على غير قياس وإنما هو شاذ" : "وذلك الحجاج إذا كان اسما لرجل ، وذلك لأنه كثر في كلامهم فحملوه على الأكثر ، لأن الإمالة أكثر في كلامهم وأكثر العرب ينصبه ولا يميل ألف حجاج إذا كان صفة، يجرونه على القياس"[3].

إن من دواعي الإمالة كثرة الاستعمال، فإذا كثر استعمال اللفظ على ألسنة العرب شاعت إمالته، وذلك مثل الحجاج إذا كان علما، وقد مر بنا أن كلمة "الناس" هي أيضا تمال لكثرة الاستعمال، وقد علل سيبويه ذلك -أي الإمالة لكثرة الاستعمال- بـ"أن الإمالة أكثر في كلامهم"[4]. والقياس يقضي بأن كلمة "الحجاج" لا تمال سواء أكانت صفة أم اسما لرجل. بيد أن كثرة استعمالها على ألسنتهم، جعلهم يرومون تخفيف الألف فيها بالإمالة بدل الفتح، اقتصادا للجهد العضلي.

---

[1] السابق، الصفحة نفسها.

[2] الكتاب : 4/140-141.

[3] نفسه : 4/141.

[4] نفسه : 4/127.

وبعد.. فهذه نماذج من الإمالة عند سيبويه أردنا من خلال إيرادها أن نصل إلى نتيجة مفادها أن الإمالة بنوعيها المشهورين ما هي إلا عملية إجراء نطقي، يهدف إلى تحقيق نوع من المماثلة والمشابهة بين الحركات والحروف السابقة أو اللاحقة لها، أو بين الحروف بعضها وبعض، وصولا إلى تيسير عملية أداء الأصوات. والسبب في أن الإمالة كانت بهذا الإطراد عند العرب خاصة البدو منهم، هو أن اللغة العربية – ممثلة في لهجاتها القديمة– نشأت لغة منطوقة محكية، ولا شك أن الناطق باللغة يروم ما سهل على اللسان أداءه عن غير قصد منه، ولذلك وجدنا أن قبائل البادية أكثر قبائل العرب ميلا إلا الإمالة، نظرا لما تفرضه طبيعتها من ترحل وعدم استقرار، فتتطبع بطبع السرعة حتى في أداء كلماتها.

وانطلاقا مما سبق، فإن الإمالة نوع من أنواع ظاهرة الانسجام الأصواتي؛ لأنها في نهاية المطاف تهدف إلى تقريب صوت من حركة أو حركة من صوت أو صوت من صوت، والتقريب هذا هو انسجام بين الأصوات يحقق الهدف العام الذي هو بذل أقل مجهود عضلي.

والنوع الآخر الذي تنتظمه ظاهرة الانسجام الأصواتي، هو الاتباع أو ما يعرف أحيانا "بالتناسب" وهذا ما سنعرض له الآن.

ثانيا: الإتباع:

هو ضرب من ضروب تأثر الأصوات بعضها وبعض، ويعرف أحيانا بالتناسب. وقد أدرك سيبويه وجود هذه الظاهرة في لهجات الكلام العربي فأشار إليها مستعملا مصطلح الإتباع حينا، وواصفا الظاهرة في أحايين أخرى، وهي تنتظم ضربين:

1. ما تأثر فيه السابق باللاحق.
2. ما تأثر فيه اللاحق بالسابق.

1) ما تأثر فيه السابق باللاحق (التأثر الرجعي):

1-كسر الفاء لكسرة العين:

يقول سيبويه: "وفي فعيل لغتان : فَعِيل وفِعِيل إذا كان الثاني من الحروف الستة [حروف الحلق]. مطرد ذلك فيهما لا ينكسر في "فَعِيل" ولا"فَعِل" إذا كان كذلك كسرت الفاء في لغة تميم وذلك قولك : لِئِيمٌ وشِهِيدٌ،... وكذلك "فِعِل" إذا كان صفة أو فعلا أو اسما وذلك [قولك] رجل "لِعِبٌ" ... وهذا رجل وِعِكٌ وفِخِذٌ.

"وإنما كان هذا في الحروف لأن هذه الحروف قد فعلت في "يَفْعَلُ" ما ذكرت لك، حيث كانت لإمات ، من فتح العين ، ولم تفتح هي أنفسها هنا[1]؛ لأنه ليس في الكلام "فَعَيْل"، وكراهية أن يلتبس "فَعِل" بـ"فَعَل" فيخرج من هذه الحروف "فَعِل" ، فلزمها الكسر ههنا وكان أقرب الأشياء إلى الفتح، وكانت من الحروف التي تقع الفتحة قبلها لما ذكرت لك، فكسرت ما قبلها حيث لزمها الكسر، وكان ذلك أخف عليهم حيث كانت الكسرة تشبه الألف فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد. كما أنهم إذا أدغموا فإنما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد.

وأما أهل الحجاز فيجرون جميع هذا على القياس"[2].

فلما لزم الكسر للعين في "فِعِل و"فِعِيل" كسرت العين ما قبلها، مناسبة لحركتها، وهو إجراء تتبع فيه الفاء العين في الحركة ، دفعا لمشقة الانتقال من فتح إلى كسر أو من علو إلى انحدار، وإنما يحدث ذلك إذا كانت العين حرفا من حروف الحلق. وتفسير ذلك فيما يبدو هو أن أصوات الحلق هي أقصى الحروف مخرجا، وأبعدها في جهاز التصويت عند الإنسان ، والانتقال بالفتح في حرف من حروف الفم أو الشفتين إلى الكسر في حرف من حروف الحلق، مبعث صعوبة غير يسيرة، فتبعت حركة الفاء حركة العين توخيا للاقتصاد في الجهد العضلي حتى يكون العمل من وجه واحد، كما قال سيبويه.

هذا وقد سمى بعض الدارسين المحدثين عملية اتباع حركة الفاء لحركة العين بـ: "مشاكلة التهيُّؤ"[3]، وسميت بذلك لأن الفاء كأنها تتهيأ لكسر العين. وقد نُحِسُّ -ونحن نردد الصيغة مرتين أو ثلاثا- أن اللسان تحدوه رغبة في أن يتخلص من فتح الفاء، خاصة في صيغة "فعيل" التي تعقب فيها كسرة "الياء" العين، وهي كسرة طويلة. فليس غريبا -بعد هذا- أن نجد تميما تميل إلى كسر الفاء اتباعا للعين وهي القبيلة البدوية. يقول صاحب اللسان: "لغة تميم شِهِيد -بكسر الشين- يكسرون فعيلا في كل شيء كان ثانيه أحد حروف الحلق، وكذلك سفلى مضر[4] يقولون : فِعِيلا أي بالكسر، قال:ولغة شنعاء يكسرون كل فِعِيل، والنصب اللغة العالية[5]"[6].

---

[1] يقصد حروف الحلق في اصطلاح القدماء.

[2] الكتاب : 108/4.

[3] د. عبد الفتاح شلبي ، الإمالة في القراءات واللهجات العربية ص 255.

[4] يقصد بهم بني تميم ومن جاورهم من سكان نجد. وتنسب أيضا إلى قيس وأسد. (ينظر الأزهري، تهذيب اللغة : 122/7).

[5] لعله يقصد قبائل الحجاز كقريش وهوزان وكنانة وثقيف وغيرهم.

[6] ابن منظور: (ش ـــهـــ د)، وينظر التهذيب : 377/2.

ومن هنا فإن كسر الفاء في فعيل أو الاتباع يعزى إلى تميم ومجموع قبائل نجد البدوية، في حين أن الفتح يعزى إلى قبائل الحجاز كما نص على ذلك سيبويه.

2-كسر الأول لكسرة الثاني:

قال سيبويه: "وأما الذين قالوا: "مِغِيرة" و"مِعِين" اتبعوا الكسرة الكسرة كما قالوا: "مِنتِن" "[1].

وليس لنا هنا ما نفسر به كسر الأول إلا أن الثاني أثر فيه لما كان مكسورا، وهو في هذا يشبه تأثير حركة العين في حركة الفاء، كما مر بنا في الصيغة السابقة. كما نلحظ أن كسرة التاء في "مِنتِن" أثرت في حركة الميم فكسرتها إتباعا لها، على الرغم من وجود فاصل بينهما وهو السكون. غير أن السكون حاجز ضعيف كما نص على ذلك سيبويه سابقا.

3-كسر الأول المتبوع بكسرة وياء:

يقول سيبويه: "وقد يكسرون أول الحرف لما بعده من الكسرة والياء، وهي لغة جيدة، وذلك قول بعضهم: ثِدِيٌّ، وحِقِيٌّ، وعِصِيٌّ، وجِثِيٌّ"[2].

وما يمكن ملاحظته هنا أن الثاني لما كسر اتبع معه الأول مجانسة له ، لأن عصيّ -مثلا- مفردها عصا، وأصلها "عَصَوَ"، وتجمع -في الأصل- على عُصُوي ولا يخفى هنا ما في اجتماع الواو والياء من ثقل، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء فصارت الياء مشددة. ولما كان الانتقال من الضم إلى الياء متعذّر، كُسِر ما قبل الياء مناسبة لها فصارت (عِصِيٌّ)، ثم كُسرت العين إتباعا للكسرة والياء بعدها،وهذا ضرب من التجنيس[3] بين الحركات.

4-ضم الأول فيما ثالثه مضموم:

يقول سيبويه: "فأما قول العرب في "اليَسْرُوع" (يُسْرُوع)، فإنما ضموا الياء لضمة الراء، كما قيل (استُضعِف) لضمة التاء ، وأشباه ذلك من هذا النحو، ومن ذلك قول ناس كثير في "يَعْفُرَ" : (يُعْفُرْ) ."[4].

---

[1] الكتاب : 109/4.

[2] نفسه : 384/4-385.

[3] على الرغم من أن "التحنيس" و"التقريب" يكادان يحملان نفس المعنى ، إلا أننا نرى أن التحنيس أنسب للحركات، و التقريب أنسب للأصوات (الحروف).

[4] الكتاب : 265/4-266.

فضم الثالث -في يَسْرُوع- أثر في فتحة الياء، فتحولت إلى ضمة لتجانس الضمة بعدها، على الرغم من وجود سكون يفصل بينهما. والسكون حاجز ضعيف، لا يمنع عملية التأثير. وهذا يشبه إلى حد بعيد ما حدث في همزة الوصل من الأفعال المزيدة بـ(است) أو أفعال الأمر؛ بحيث تتوقف حركتها على حركة الحرف الثالث من الفعل، فلما ضمت التاء في استضعف، وهي الحرف الثالث. ضمت لها حركة همزة الوصل، وكذلك الحال في فعل الأمر مثل: "اُدخُل"، "اُخرُج" فضم الأول لضمة الثاني، كما كسر الأول لكسرة الثالث في مثل "اِكسِر"، "اِصبِر" وغيرهما.

5-ضم السابق لضم اللاحق:

أ-يقول سيبويه : "واعلم أن الألف الموصولة ... في الابتداء مكسورة أبدا ، إلا أن يكون الحرف الثالث مضموما فتضمها، وذلك قولك "اُقتُل" "استُضعِفَ"، "احتُقِر"، "احرُنجِم"، وذلك أنك قربت الألف من المضموم، إذ لم يكن بينهما إلا ساكن، فكرهوا كسرة بعدها ضمة وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد... وفعل هذا به كما فعل بالمُدغم إذا أردت أن ترفع لسانك من موضع واحد... ودعاهم ذلك إلى أن قالوا: أنا أَجُوءُك وأَنبُؤُك"[1].

وتجنبا للتكرار فإن ما قلناه في العنصر السابق يمكن أن نقوله هنا، إلا أننا ننبه على أن سيبويه ذكر أن ألف الوصل -في الإبتداء- مكسورة أبدا. وهذا له ما يفسره صوتيا، إذ إن الإبتداء بالكسر أسهل وأخف على اللسان -وإن لم يكن له دور مهم في عملية إخراج الحركة- ولكنه يتخذ شكلا متجها فيه إلى الحنك الأعلى، بحيث لا يحدث الهواء المار بينهما أي نوع من الحفيف[2].

والحق أن النطق بهمزة الوصل في الابتداء، هو تحقيق حرف الألف مكسورا، ولما كان هذا الأخير مخرجه الحلق، فكأنه احتاج إلى ما يناسبه في الاستفال فلم يجد غير الكسرة. ثم إن تحقيق الأصوات -بعد همزة الوصل المكسورة أو على الأصح ألف الوصل كما نص على ذلك سيبويه- أوضح في السمع وأقدر على تبيين صفاتها وخصائصها من شدة ورخاوة وجهر وهمس، هذا طبعا إذا استثنينا من ذلك ما كان ثالثه مضموم من الأفعال. ولعل ذلك (أي وضوح الأصوات في السمع بعد

---

[1] الكتاب : 46/4.

[2] ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص31، وينظر،عاطف مذكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة ص 374.

ألف الوصل) هو السر فيما نصح به العلماء جمهور المتعلمين لأصوات اللغة، في أن يبتدأوا النطق بألف مكسورة، ثم بالحرف المراد تحقيقه، لتبين صفة الجهر والهمس فيه أو الشدة والرخاوة.

ب-يقول سيبويه: "وقال الله تبارك وتعالى: *قل انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ*[1] فضموا الساكن حيث حركوه كما ضموا الألف في الابتداء، وكرهوا الكسر ههنا كما كرهوه في الألف، فخالفت سائر السواكن، كما خالف [الألف] سائر الألفات، وقد كسر قوم، فقالوا "قُلِ انظُرُوا" وأجروه على الباب الأول"[2].

فهنا ضُمَّ اللام من فعل الأمر (قُلْ) لضمة ألف الوصل بعده، وهنا يمكن القول بأن حركة اللام تبعت حركة ألف الوصل بعدها، لتجانسها فتخف عملية النطق بالفعلين معا، وقد عبر سيبويه عن ذلك -في غير موضع- بقوله "ليكون العمل من وجه واحد"[3].

وأما من قال: "قلِ انظُرُوا"، فقد حذف ألف الوصل -في المستوى التمفصلي- وجعل التحرك للساكن الأول "حيث لم يكن ليلتقي ساكنان، وجعلوا هذا سبيلها [أي ألف الوصل] ليفرقوا بينها وبين الألف المقطوعة"[4].

2) ما تأثر فيه اللاحق بالسابق (التأثر التقدمي) :

1-كسر ضمير الغائب المفرد لما قبله من كسرة أو ياء:

يقول سيبويه: "اعلم أن أصلها الضم، وبعدها الواو، لأنها في الكلام كله هكذا؛ إلا أن تدركها هذه العلة التي أذكرها لك، وليس يمنعهم ما أذكر لك أيضا من أن يخرجوها على الأصل.

"فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة ؛ لأنها خفية كما أن الياء خفية، وهي من حروف الزيادة، كما أن الياء من حروف الزيادة، وهي من موضع الألف، وهي أشبه الحروف بالياء، فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافا كذلك كسروا هذه الهاء، وقلبوا الواو ياء؛ لأنه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة. فالكسرة ههنا كالإمالة في الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها... وذلك قولك : مررت بِهِي ولدِيهِي، ومررت بدارهِي قبلُ.

---

[1] سورة يونس : 101.

[2] الكتاب : 4/152-153.

[3] نفسه : 4/146.

[4] نفسه : 4/152.

"وأهل الحجاز يقولون : مررت بِهُو، ولديهُو مال، ويقرءون "فَخَسَفْنَا بِهُو وَبِدَارِ هُوَ الأَرْضَ"[1] "[2].

نأخذ من النص السابق أن أصل هاء الغائب الضم، مثل به وفيه وغيرهما. بيد أنها تكسر إذا سبقت بكسرة أو ياء ساكنة كما في المثالين السابقين. فهذه اللغة وإن عزاها سيبويه لأهل الحجاز ، فبعض المطولات[3] تنسبها إلى هوازن. وهوازن -كما هو معلوم- فصيلة من فصائل قيس[4]، القبيلة البدوية التي غالبا ما يرد ذكرها مع قبائل مثل تميم وأسد.

فمما سبق نذهب إلى ترجيح أن يكون بعض هوازن سكن الحجاز أو كانت له اتصالات بقبائلها، فلف لفها في النطق على الأصل وترك الإتباع.

وقد لوحظ أن تحقيق هاء الغائب على الأصل -أي بالضم- ظاهرة تشيع في لهجات السودان الحالية ، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن أصلهم يعود إلى الحجاز[5].

2-الوهم :

يقول سيبويه: "واعلم أن قوما من ربيعة يقولون: منهم، أتبعوها الكسرة، ولم يكن المسكن حاجزا حصينا عندهم وهذه لغة رديئة ، إذ فصلت بين الهاء والكسرة فالزم الأصل"[6].

فمن المعروف -كما مر بنا- أن هاء ضمير الغيبة للجمع تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة في مثل قوله تعالى *صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم*[7] وقوله جل وعلا *أَوْلئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ*[8]. غير أن بني كلب يكسرون هاء ضمير الغيبة مطلقا سواء سبقت الهاء بكسرة أو ياء أو لم تسبق. وقد أطلق اللغويون على هذه الظاهرة بالوهم[9]. وهي إن كانت

---

[1] سورة القصص : 81.

[2] الكتاب : 195/4.

[3] ابن منظور ، اللسان : 368/2.

[4] ينظر عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص 36.

[5] احمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ص 271.

[6] الكتاب : 196/4.

[7] سورة الفاتحة : 6.

[8] سورة البقرة : الآية ٥ ،

[9] ينظر تاج العروس:8/1، والمزهر: 222/1، والإقتراح ص 200. وسميت بالوهم -فيما يبدو وكما يظهر من الاسم - نسبة إلى الضمير (هم) بكسر الهاء.

تدخل في هدفها العام ضمن خانة انسجام الحركات بعضها وبعض تسهيلا لعملية النطق، فإنها عند سيبويه "لغة رديئة"[1] لأنه فصل بين الهاء والكسرة "فجعلت بمنزلة مِنْتِن"[2].

ويرى بعض الباحثين[3] أن هذه اللهجة أكثر تطورا من الفصحى، فقد قطعت مرحلة طويلة على طريق المماثلة، فإذا كانت لهجة بني كلب تقول: مِنهِم (بكسر الميم والهاء)، فإن الفصحى لا تجاوز كسر الميم وضم الهاء.

على أن بعضهم[4] الآخر ذكر أن بعض ربيعة أو كلب بن وبرة يضمون هاء (هُم) مطلقا، سواء سبقت بكسرة أو ياء، أو لم تسبق. وتعرف هذه اللهجة بـ(الوَهُم) في مقابل (الوَهِم). وهو (أي لهجة الوهُم) ما لم نعثر له على شاهد في كتاب سيبويه.

وهنا يمكن للمرء أن يسأل : لماذا انفردت ربيعة أو كلب وهي بعض ربيعة بهذه الظاهرة دون غيرها من القبائل؟ ، ولا يسعنا إلا أن ننضم إلى د. أنيس[5] في إمكانية أن تكون بني كلب قد تأثرت بمن جاورها من لغات سامية كالآرامية والعبرية، لما عرف عن هذه الأخيرة من إيثار للكسر في مثل هذه الضمائر. وما كان ميلنا إلى رأى الدكتور أنيس إلا تكريس للاتجاه القائل بضرورة دراسة اللغات السامية لتفسير وجود كثير من الظواهر اللغوية في العربية؛ لأن اللغة كائن حي يأخذ ويعطي، ويؤثر ويتأثر، وتلك سنة مطردة في دنيا الناس.

3-الوكِـــم:

قال سيبويه: "وقال ناس من بكر بن وائل (من أَحْلاَمِكِم، وبِكِم) شبهها بالهاء لأنها علم إضمار ، وقد وقعت بعد الكسرة، فاتبع الكسرة الكسرة حيث كانت حرف إضمار ، وكان أخف عليهم من أن يضم بعد أن يكسر وهي رديئة جدا"[6].

المعروف -عند جمهور العرب-ضمُّ كاف الخطاب للجمع مطلقا، بلفت النظر عن الحرف أو الحركة التي تسبقه.

---

[1] الكتاب: 196/4.

[2] نفسه : 197/4.

[3] أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ص 271-272.

[4] د. عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا ص 290.

[5] د. أنيس ، في اللهجات العربية ص 95.

[6] الكتاب : 197/4.

ولكن بكر بن وائل[1] يكسرون هذه الكاف إذا سبقت بياء أو كسرة مجانسة لهما وذلك في مثل قولهم : (عليكِم) و(بكِم)، وغيرهما . وقد وصفها سيبويه -كما رأينا- بالرداءة لأنهم شبهوا فيها الكاف بالهاء في (أحلامهم)، ولعلهم فعلوا ذلك بها لأنها (أي الكاف) أخت الهاء في الإضمار، وكلاهما مهموستان، وهذا القول ضعيف لسبب بسيط وهو أن الأصل في الهاء الضم والكسر عارض -كما مر بنا-بخلاف الكاف الذي يلتزم الضم مطلقا. ولعله الأمر الذي جعل لغويا كالمبرد[2] يصف هذه اللهجة بالغلط الفاحش.

وقد يلاحظ[3] أن سيبويه أحسن ملاحظة التعليل الصوتي لهذه اللهجة حين قال: "أتبع الكسرة الكسرة"، كما أحسن ملاحظة ذلك في اللهجة السابقة (الوهِم) عندما قال:"اعلم أن قوما من ربيعة يقولون : منهم أتبعوها الكسرة". فقد نص صراحة على أن هاتين اللهجتين لون من الإتباع أو الانسجام الحركي ، يهدف إلى عملية التقليل من الجهد العضلي بجعل الحركتين متماثلين بدل الاختلاف.

وهاتان اللهجتان وإن كانتا تخضعان لقانون في العربية مطرد وهو قانون الإتباع بوجه عام ، إلا أن إنكارعلماء لها أمثال سيبويه والمبرد - لمخالفتها بعض سنن العربية في الإتباع -،يبعث على الظن بأن وجودها في لهجات قبائل متاخمة لغير الناطقين بالعربية ، كان نتيجة تأثر بلغات سامية أخرى . وما قلناه عن بني كلب في "الوهِم" يمكن قوله عن بكر بن وائل في "الوكِم".

4-كسر الثاني فيما أوله مكسور:

قال سيبويه :"وزعموا أن ناسا من العرب يقولون: مِنِ الله فيكسرونه ويجرونه على القياس"[4].

فالشائع والمعروف في نون (مِن) إذا جاء بعدها "أل"، الفتح، وقد علل سيبويه ذلك بقوله: "لما كثرت في كلامهم ولم تكن فعلا وكان الفتح أخف عليهم فتحوا وشبهوها بأين وكيف"[5].

---

[1] نسب د. ابراهيم أنيس. "الوكم" لبني كلب وهو خطأ فيما يبدو ، ينظر في اللهجات ص .

[2] المقتضب : 1 /269 -270.

[3] أحمد سليمان ياقوت ، الكتاب بين المعيارية والوصفية ص 84.

[4] الكتاب : 154/4.

[5] الكتاب : 153/4-154.

فالكسر في نون (مِنِ الله) ليست الغاية منه التخلص من التقاء الساكنين وحسب، وإلا كان الفتح أخف منه، ولكن الغاية منه إتباع الثاني (النون) للأول (الميم)[1].

ومن ذلك ما ورد في كتب اللغة في عجز بيت مجهول الصدر والقائل ، وهو قولهم: (وقال اضربِ الساقين إمِّك هَابِل)[2].

فقد كسر الميم في "إمك" إتباعا لكسرة الهمزة، كما روى (وقال اضرب الساقين أمك هابل) – بالضم في النون والهمزة والميم.

هذا إلى أن سيبويه ربما عنى أصحاب الإتباع بقوله "وقد اختلف العرب في (مِن) إذا كان بعدها ألف وصل غير ألف اللام، فكسره قوم على القياس، وهي أكثر في كلامهم، وهي الجيدة... وذلك قولك(من ابنك) و(من امرئ)"[3].

5-كسر العين أوضمها لكسر الفاء أو ضمها:

يقول سيبويه: "وإذا سميت بِهِنْدٍ أو جُمْلٍ، فجمعت بالتاء فقلت جملات ثقلت في قول من ثقل (ظُلُمَات) و(هِنِدَات) فيمن ثقل في الكسرة فقال : كِسِرات"[4].

ويقول: "أما كان فُعْلَة فإنك إذا كسرته على بناء أدنى العدد ألحقت التاء وحركت العين بضمة، وذلك قولك (رُكْبَة) و(رُكُبَات)، و(غُرْفَة) و(غُرُفَات)... ومن العرب من يفتح العين إذا جمع بالتاء فيقول:رُكَبَات وغُرَفَات...

"وبنات الواو بهذه المنزلة قالوا: خُطْوَة وخُطُوَات، وخُطَيَّ... وعُرْوَة وعُرُوات.. ومن العرب من يدع العين من الضمة في فُعْلَة، فيقول: عُرْوَات وخُطْوَات"[5].

ويقول أيضا: "وما كان (فِعْلَة) فإنك إذا كسرته على بناء أدنى العدد أدخلت التاء وحركت العين بكسرة، وذلك قولك: قِرِبات وسِدِرات وكِسِرات، ومن العرب من يفتح العين كما فتحت عين فعلة، وذلك قولك: قِرَبَات وسِدَرَات وكِسَرَات... ومن قال : غُرْفَات فخفف قال : كِسْرَات"[6].

---

[1] ينظر صالحة راشد غنيم آل غنيم ، اللهجات في الكتاب ص 110.

[2] الكتاب : 146/4، والخصائص : 145/2، وقد قرئ بالكسر –وهي قراءة الكسائي– قوله تعالى "لإمه السدس" [سورة النساء من الآية 11]. (ينظر معاني القرآن للكسائي ص 54).

[3] الكتاب : 154/4.

[4] نفسه : 156/4.

[5] الكتاب : 580/4-581.

[6] نفسه : 581/4.

نحن إذن أمام ثلاثة أمثلة مما تكسر فيه العين أو تضم لكسر الفاء أو ضمها:

أ. ما جمع من أسماء نحو هِنْد أو جُمْل.

ب. ما جمع مما كان مفرده على مثال "فُعْلَة"

ج. ما جمع مما كان مفرده على مثال: "فِعْلَة"

ويلاحظ في هذه الأمثلة أن العين ساكنة في المفرد ، وتمثيل المثال الأول والوزنين مقطعيا يكون على التوالي:

أ- س ع س س ، هِنْد أو جُمْل (في حال الوقف).

ب- س ع س + س ع س ، فُعْلَة (في حال الوقف).

ج- س ع س + س ع س ، فِعْلَة (في حال الوقف).

أما في حال الجمع -على الأصل- فإن التقطيع يكون كالآتي:

أ-هِنْدَات أو جُمْلَات ، س ع س + س ع ع س (في حال الوقف).

ب-فُعْلَات ، س ع س + س ع ع س (في حال الوقف).

ج-فِعْلَات ، س ع س + س ع ع س (في حال الوقف).

ومما سبق نخلص إلى أن :

-المقطع الأول في حال الجمع أصغر من المقطع الثاني وبالتالي نلاحظ عدم التوازن بين المقاطع؛ فمقطع فيه علتان لا شك أنه أثقل نطقا من مقطع به علة واحدة، خاصة إذا كانت العلة الأولى قصيرة والثانية طويلة، كما هو الشأن في الأمثلة الثلاث في حال الجمع.

-الانتقال من حركة ثم سكون ثم حركة طويلة يحتاج إلى مجهود عضلي غير يسير، وهذا ما يستوجب إجراءً يجعل اللسان يتخلص من الحركات دفعة واحدة دون مغادرة مكانه.

ولعله بسبب الأول ولأجل الثاني جعل العرب -والبدو ومنهم خاصة-، يميلون -في مثل ما سبق- إلى إتباع العين للفاء كسرا أو ضما، سعيا لأن يكون عملهم من وجه واحد.

6-ضم الثاني لضمة الأول:

يقول سيبويه: "وحدثني الخليل وهارون أن ناسا يقولون *مُرُدِّفِين*[1] فمن قال هذا فإنه يريد *مُرْتَدِفِينَ*، وإنما أتبعوا الضمة الضمة حيث حركوا، وهي قراءة لأهل مكة ... ومن قال هذا قال "مُقُتِّلِينَ" وهذا أقل اللغات"[2].

---

[1] سورة الانفال : 9.

[2] الكتاب : 444/4.

فأصل "مُرْدِّفِينَ" "مُرْتَدِفِينَ" كما ذكر سيبويه. فأدغمت التاء في الدال وهما صوتان متقاربان، والتاء أخت الدال في المخرج والشدة، ولا يخفى ما في الانتقال من ضم ثم سكون فتشديد من صعوبة يجدها اللسان في تحقيق كل ذلك متصلا. فأتبعت حركة الراء لحركة الميم قبلها، فصارت (مُرُدِّفِينَ)، وهذا تأثر تقدمي؛إذ تأثر فيه اللاحق بالسابق. وروي عن الخليل[1] "مردفين" بكسر الراء إتباعا لكسرة الدال وهو تأثر رجعي، تأثر فيه السابق باللاحق.

7-فتح العين لفتحة الفاء:

يقول سيبويه: "وقد قالوا حَلَقٌ وفَلَكٌ، ثم قالوا : حَلْقَة وفَلْكَه، فخفَّفُوا الواحد حيث ألحقوه الزيادة[2]، وغيروا المعنى[3]. وهذا قليل[4]، وزعم يونس عن أبي عمرو[5] أنهم يقولون : (حلقة)"[6].

الأصل في حَلَقٌ وفَلَكٌ : حَلْقٌ وَفَلْكٌ (بإسكان العين) كما هو حال المفرد، غير أن من العرب من مال إلى إتباع الفتح في الفاء لفتح العين، لتحقيق الانسجام بين الفاء والعين. وقد وصف سيبويه هذا النوع من الجمع "بالقلة" مما يدل على شذوذه؛ لأنه -في نظر سيبويه- لم يرد عن العرب مجيء مفرد "فَعَلٌ" على "فَعْلَة".

ومهما يكن من أمر فإن بعض العرب مالوا إلى الإتباع في الجمع. والإتباع من سنن العرب في كلامها، بل إن يونسً [ابن حبيب] حكى عن أبي عمرو أنهم يتبعون حتى في المفرد وذلك في قولهم : (حَلَقَة).

8-فتح الثالث لفتحة الأول:

يقول سيبويه: "فأما ما كان غاية نحو : قَبْلُ، وبَعْدُ وحَيْثُ فإنهم يحركونه بالضمة. وقد قال بعضهم : حَيْثَ شبهوه بأَيْنَ"[7].

فالذي دعاهم -إذن- إلى تحريك "حَيْثَ" بالفتح، هو مراعاة الانسجام الصوتي بين "الحاء" و"الثاء"، على الرغم من وجود فاصل بينهما وهو الحرف الساكن، والساكن حاجز ضعيف.

---

[1] ينظر ابن جني، المحتسب : 387/1، والطبري : 417/12.

[2] أي تاء التأنيث.

[3] أي من الجمع إلى المفرد.

[4] أي مجيء "فعل" على فعلة.

[5] هو أبو عمرو بن العلاء المتوفى 159هـ.

[6] الكتاب : 583/3-584.

[7] الكتاب : 286/3 ، 15/1، و 331/3.

ومن هذا العرض الطويل لصور المماثلة عند سيبويه نخلص إلى جملة من النتائج والملاحظات:

1-إن المماثلة عند سيبويه لا تقتصر على ما ذكره من إشارات عارضة لما أسماه بالمضارعة والتقريب، والتي حصرها في أمثلة محدودة لا تمثل -وحدها- ما تختص به العربية من ميل إلى الانسجام بين حركاتها وأصواتها، هذا الانسجام الذي تفرضه طبيعة اللغة العربية في نشأتها؛ إذ نشأت محكية منطوقة. بل إن المماثلة أو المشاكلة هي هدف عام يمكن أن تفسر به كثير من الأبواب الصرفية كالإدغام والإبدال والإمالة والإتباع وغيرها.

ولهذا فقد بدا واضحا أن الإدغام بأنواعه والإبدال وظاهرة الانسجام الحركي أو الأصواتي مما وجدنا له شواهد مطردة وكثيرة في كتاب سيبويه، بدا أن تلك الأبواب أو الظواهر السياقية -بالمصطلح الصوتي-، لا يمكن أن تفسر إلا في ضوء علم الأصوات التشكيلي، وهذا ولا شك رجوع باللغة إلى طبيعتها بادئ الرأي.

2-إن الجنوح إلى المماثلة بين الأصوات أو الحركات، إنما هو إجراء يتم بموجبه تسهيل عملية تحقيق الأصوات، وإن اختصاص البدو دون الحضر بذلك يفسره ميلهم إلى الخفة في النطق والسرعة في أداء الأصوات، وهو انعكاس طبيعي للبيئة البدوية، ذات الطبع المتحول الذي لا يستقر على حال.

وأما ما مال إليه أهل الحضر من تحقيق للأصوات أو الحركات دون جنوح إلى الخفة في النطق، يفسره التأني والأناة ليس فقط فيما تمتاز به الحياة الحضرية في أسلوب معيشتها، بل حتى في أداء أصواتها. وفي ضوء هذا يمكننا أن نعرف لماذا مالت بعض قبائل العرب إلى الخفة، في حين مال البعض الآخر إلى تحقيق الصوتين المتماثلين كلا على حدة.

ثانيا : المخالفة :

سبق الحديث في المدخل -عند تعريف المخالفة- إلى أنه قد يتماثل صوتان في كلمة واحدة. فيؤدي ذلك إلى بذل مزيد من الجهد العضلي "وهنا تبدأ عملية المخالفة التي تهدف أيضا إلى التقليل من الجهد العضلي، فنرى أحد المتماثلين يقلب إلى صوت لين طويل أو إلى ما يشبه أصوات اللين كاللام والنون"[1].

على أنه ليس من شواهد المخالفة فقط ما انقلب فيه أحد المتماثلين إلى صوت لين طويل أو إلى أحد الأصوات المائعة أو الشبيهة بأصوات اللين، فقد وردت في تآليف القدماء أمثلة عديدة في باب الإبدال أو الحذف للمجاورة وغيرها من الأبواب، تشهد على أن أصواتا ساكنة حلت محل أصوات أخرى، وكذا حذف أحد الأصوات المتماثلة لاستثقال التضعيف - كما رأينا في المدخل-، أو الحذف للمجاورة كما سنرى.

ونحن إذ نتحدث عن المخالفة، فإننا سنعرض لها عند سيبوية انطلاقا من أنها ظاهرة استرعت انتباه واهتمام علماء اللغة ومنهم سيبوية؛ فقد ذكرها وعلل لها "باستثقال التضعيف" أو "كراهية التضعيف" كما رأينا في المدخل[2]. وفيما يلي عرض لأمثلة هذه الظاهرة كما وردت في الكتاب:

1- إحلال التاء محل أحد المتماثلين :

يقول سيبوية : "فمن ذلك (سِتّ)، وإنما أصلها (سِدْسٌ)، وإنما دعاهم إلى ذلك، حيث كانت مما كثر استعماله في كلامهم، أن السين مضاعفة، وليس بينهما حاجز قوي. والحاجز أيضا مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين، فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينا، فتلتقي السينات، ولم تكن السين لتدغم في الدال[3]، لما ذكرت لك فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال؛ لئلا يصيروا إلى أثقل مما فروا منه إذا أدغموا. و ذلك الحرف "التاء" كأنه قال : (سِدْتٌ)، ثم أدغم الدال في التاء[4]".

فقد تحدث سيبوية في هذا النص عن ثقل اجتماع مثلين ويسميه تضعيفا وذلك في كلمة "سدس"، فلما ثقل ذلك على ألسنتهم لجأوا إلى

---

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص214

[2] ينظر ص35 من هذا الفصل .

[3] لأن السين من أصوات الصفير، فلا تدغم في غيرها ويدغم غيرها فيها، وقد شرحنا ذلك مفصلا في هامش الصفحة 52 من هذا الفصل.

[4] الكتاب : 4/481-482

إبدال السين الثانية تاء للمخالفة بين المثلين. والتاء قريبة من السين في المخرج؛ لأن مخرج الأولى طرف اللسان مع أصول الثنايا، في حين أن مخرج الثانية طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى. هذا إلى أنهما مهموستان.

2- إحلال السين محل أحد المتماثلين :

يقول سيبوية "وقال بعضهم (استخذ فلان أرضا) يريد "اتّخذ أرضا" كأنهم أبدلوا السين مكان التاء في (اتّخذ)، كما أبدلوا حيث كثرت في كلامهم وكانتا تائين فأبدلوا السين مكانها، كما أبدلت مكانها في (ستّ) وإنما فعل هذا كراهية التضعيف"[1].

فاجتماع المثلين في (اتخذ) وهما التاءان جعل بعض العرب يخالفون بينهما ليتخلصوا من التضعيف، ويبذلوا مجهودا أقل بحيث أبدلوا التاء الأولى سينا فصارت (استخذ). وأرجح أن من كره التضعيف هنا كرهه أيضا في (سدس)، وهي القبائل البدوية التي تبحث عن كل ما من شأنه أن يخفف عملية النطق، وما يقوي هذا الترجيح أنه عزي إلى تميم وأسد[2] وهذيل[3] التخفيف بحذف أحد المتماثلين في (اتّقى) ونحوها.

3- إحلال الياء محل أحد المتماثلين :

أ- يقول سيبوية : "وقال : (ضَوْضَيْتُ) و (قَوْقَيْتُ) بمنزلة (ضَعْضَعْتُ) ولكنهم أبدلوا الياء إذا كانت رابعة، وإذا كررت الحرفين فهما بمنزلة تكريرك الحرف الواحد، فإنما الواوان هنا بمنزلة ياءي (حَيَيْتُ) وواوي (قُوّة)، لأنك ضاعفت. وكذلك (حَاحَيْتُ) و (عَاعَيْتُ)، و(هَاهَيْتُ). ولكنهم أبدلوا الألف لشبهها بالياء فصارت كأنها هي ..كما أن (دَهْدَيْتُ) هي فيما زعم الخليل (دَهْدَهْتُ) بمنزلة (دَحْرَجْتُ)، ولكنه أبدل الياء من الهاء لشبهها بها، وأنها في الخفاء والخفة، فأبدلت كما أبدلت الياء في (هذه)"[4].

ب- ويقول أيضا[5] "وذلك قولك (تَسَرَّيْتُ) و (تَظَنَّيْتُ)، و (تَقَصَّيْتُ) من القصة، و (أَمْلَيْتُ)، كما أن التاء في (أُسْنَتُوا) مبدلة من (الياء) أرادوا

---

[1] الكتاب : 483/4.

[2] ينظر تفسير القرطبي: 234/1.

[3] ينظر اللهجات العربية في التراث (القسم الثاني) ص: 685-686.

[4] الكتاب : 393/4.

[5] في باب "ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد" 424/4.

حرفا أخف عليهم منها وأجلد، كما فعلوا ذلك في "أتلج"[1]، وبدلها شاذ هنا بمنزلته في (سِتّ)، وكل هذا التضعيف فيه عربي كثير جيد"[2].

ففي النصين السابقين أبدِلت أحد الحروف المتماثلة ياء. وقد أبدلت في أغلبها الياء من حروف مثل الألف والواو والهاء؛ فالواو والهاء حروف رخوة مثل الياء، وهما تشتركان مع الياء في صفة الاستفال أيضا. أما الألف فلنا فيه حديث خاص نورده فيمايلي:

يرى القدماء أن الألف حرف من حروف الحلق، فيجرونه -على هذا الاعتبار- مجرى حروف الحلق، في حين أثبتت الدراسات الحديثة المعتمدة على أجهزة الأشعة وأجهزة تحليل الصوت،أن الألف ليس حرفا من حروف الحلق، بل هو هواء مجهور أو نفس مجهور؛ لأننا بالرجوع إلى معرفة ماهية الصوت يتبين لنا أنه عرض يجري مع النَّفَس فإذا وجد في طريقه عقبة تعوق سيره، كان موضع تلك العقبة مولد الحرف،يقول ابن جني : "اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النَّفَس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده باستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا"[3]. وعلى هذا فإن حقيقة الصوت اللغوي تتوقف على المحبس أو الحاجز أو المقطع، بحيث تُعَدُّ كل عقبة يصطدم بها الهواء الخارج من الرئتين في طريقه إلى الخارج عبر جهاز التصويت، تُعَدُّ مخرجا لحرف معين. غير أن هذا لا نجده مع الألف؛ فالهواء مع "حرف" الألف يخرج دون أن يعرض له معترض في الحلق أو الفم يقول ابن جني "... أما الألف، فنجد الحلق و الفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت" بضغط أو حصر"[4].

هذا إلى أن القدماء يجعلون أقصى الحلق مخرجا للألف ونحن نعلم أن ما في أقصى الحلق غير الوترين الصوتيين، فمع حرف الألف يستمر الصوت خارجا من أقصى الحلق، فحين لا يجد له مقطعا أو محبسا لا في الفم ولا في الحلق أو الشفتين، يرجع حينئذ إلى مخرج الهمزة لينقطع عندها[5].

وقد أشرنا سابقا إلى أن المحدثين يصفون الألف بأنه هواء مجهور أو نفس مجهور يحدث نتيجة اندفاع الهواء في مجراه المستمر خلال

---

[1] أصلها "أولج" أبدلت الواو تاء .

[2] الكتاب : 424/4 وينظر ابن قتيبة ، أدب الكاتب ص 276.

[3] سر صناعة الإعراب : 6/1.

[4] ينظر نفسه : 8/1-9.

[5] نفسه : 8/1.

الحلق والفم. وموضع الجهر من جهاز التصويت هو الوتران الصوتيان. وعلى هذا فإن المحدثين يرون أن الألف تولد بالصفة لا بالمخرج؛ لأنه -كما قلنا-لا يوجد في جهاز التصويت محبس أو مقطع يعترض خروج الهواء مع الألف. غير أن اهتزاز الوترين الصوتيين حين تحقيق الألف يخلع على الألف صفة الجهر؛ فهو إذن -عند القدماء- حرف حلقي بالصفة، وإن لم يكونوا على علم بالوترين وخطرهما في صفة الصوت.

بعد هذا العرض ... نقول: إنه بهذا الاعتبار أي بإعتبار أن الألف حرف من حروف الحلق وإن لم يكن بالمخرج، ورد - فيما رأينا- إحلال الياء محل أحد المتماثلين وأعني به الألف، بصرف النظر عن إن كانت الياء مَدّيّة أي من الجوف أو غير مَدّيّة، أي من وسط اللسان. والذي أراه هنا أن ما ورد من أمثلة فيما قاله سيبوية ودلل فيه على إبدال الياء مكان أحد المتماثلين، هُو أن هذه الياءات كلها من وسط الفم.

وعلى هذا يمكن القول بأن الياء (الحرف الفموي) وليس المَدّي حل محل الألف الحرف (باعتبار الصفة)، وذلك تحقيقا للتخفيف في عملية النطق الناتج عن اجتماع حرفين متماثلين.

وقد عزا علماء اللغة وغيرهم لهجة الإبدال إلى قيس وتميم، وأهل العالية[1]، في حين عزيت اللهجة الأخرى وهي التي سماها سيبوية بالتضعيف، إلى أهل الحجاز وأسد[2].

وقد جاء القرآن الكريم باللهجتين قال تعالى *وليملل الذي عليه الحق*[3]. وقال *.....فهي تملى عليه بكرة وأصيلا* [4].

وبعد ...هذا ما يمكن حصره من أمثلة المخالفة مما ذكره سيبوية وأشار إيه في باب "ما كان شاذا فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد".

والحق أن أمثلة المخالفة في كتاب سيبوية أو في كتب اللغة بعامة قليلة إذا ما قورنت بأمثلة المماثلة، وذلك ربما راجع إلى أن العربية لم تلجأ إلى المخالفة إلا في القليل من الأمثلة؛ لأن المماثلة مقصودة مبغية في الكثير من البنى اللغوية، بل إن ظواهر سياقية كالإبدال والإدغام

---

[1] اللسان (ملل): 631/11، و تفسير القرطبي : 385/3، و تاج العروس : 120/8.

[2] اللسان (ملل) 631/11، تفسير القرطبي : 3 /385 ، وتاج العروس: 120/8 .

[3] سورة البقرة : 282.

[4] سورة الفرقان : 5.

والقلب والإمالة لا يمكن تفسيرها كما سبق الحديث -إلا على أنها شـــكل من أشكال النزوع إلى المماثلة بين الصوامت أو الصوائت.

ولو قال قائل بم تفسر ورود تعابير استطردت في كتب اللغة مـــن مثل قولهم "استثقال التضعيف"، "كراهية التضعيف"، "كراهيـــة اجتمـــاع الأمثال"، وغيرها؟، قلنا إن ذلك ثابت في العربية و لا شك، وصحيح أنها وردت في غير ما كتاب من كتب اللغة الأصول، وقد سبق في المدخـــل عدها لونا من ألوان المخالفة. غير أن علماء اللغة القدماء لم يفسروا أمثلة تلك التعابير تفسيرا صوتيا يبين مدى التطور التركيبي الذي آلـــت إليـــه بعض الأصوات سواء بقلبها إلى أصوات لين أو إلى أصوات شبيهة بها، أو بإبدالها، أو حتى بالحذف أحيانا، وإن كنا نحس أنهم يقصدون بذلك أن تلك الأصوات المتماثلة تحتاج إلى مجهود عضلي يستدعي المخالفة.

المطلب الثاني: المماثلة والمخالفة عند "ابن جني".

عرف الدرس اللغوي عند ابن جني منعرجا حاسما، وتقدما غير مسبوق على مسار العلمية في التناول، والدقة في الاستنتاج؛ إذ كان تناول ابن جني للدرس اللغوي تناولا علميا خرج به عن مألوف من سبق، وخطا به خطوة غير يسيرة نحو التأصيل العلمي الرصين. فقد عرف الصوت اللغوي وماهيته، وأنه لا يعدو أن يكون دفعة من الهواء تنطلق من الرئتين وأيما موضع يعترض الهواء في جهاز التصويت، يكون ذلك الموضع محلا لإنتاج صوت من الأصوات. كما يلاحظ أن كتابه العلمي الرصين "سر صناعة الإعراب"، من أصل الكتب اللغوية في الأصوات؛ إذ سمى فيه ابن جني دراسة الأصوات بـ "علم الصوت"؛ فهو أول من أطلق صفة العلمية على هذا النوع من الدراسة اللغوية. إضافة إلى وقوفه على حقيقة كثير من الظواهر اللغوية كالإدغام الذي عرفه بأنه نوع من تقريب الحرف من الحرف، تلك الحقيقة التي غابت عن كتب النحاة واللغويين، على الرغم من أنه قلما خلا كتاب من كتبهم قبل ابن جني من تناول الإدغام والبت فيه.

لقد تناول ابن جني ظاهرة المماثلة والمخالفة ولم يخرج في التمثيل لها عما قرر من سبقوه، غير أن اللافت للنظر هو إدراك ابن جني حقيقة المماثلة إدراكا ينبي عن حس لغوي وذكاء نادر؛ فقد عد كثيرا من صور المماثلة تقريبا، سواء أتعلق الأمر بالإدغام أم الإبدال أم الإمالة أم الإتباع كما سنرى. كما أنه عدّ المخالفة لونا من ألون استثقال المثلين أو التضعيف، وسنقف عند كل ذلك مبينين مواطن الجدة في تناول ابن جني لهذه الظاهرة.

أولا المماثلة :

ورد مصطلح التقريب عند ابن جني كثيرا في باب الإدغام وفي غيره؛ فقد عرف ابن جني الإدغام الكبير بأنه "تقريب صوت من صوت"[1]، وعرف الإدغام الصغير بأنه "تقريب الحرف من الحرف"[2]، وسنعرض الآن كلا النوعين مبينين حقيقتهما عند ابن جني.

1) الإدغام الكبير :

---

[1] الخصائص : 139/2.

[2] الخصائص: 141/2 .

الإدغام الكبير عند ابن جني ساكن ومتحرك؛ أما الساكن وقد مثل له بالطاء في "قطع" وكاف "سكر"، و لا حيث لنا على هذا النوع من الإدغام في هذا المقام.

وأما المتحرك، فنحو : دال "شد" ولام "معتل"، وهذا النوع أيضا لا حديث لنا عنه، لأنه لا يتصل بجوهر ما نريد الخوض فيه.

وأما الإدغام الذي يتصل بموضع تأثر الأصوات بعضها وبعض فهو الذي قال بشأنه ابن جني "والآخر[1] أن يلتقي المتقاربان على الأحكم التي يسوغ معها الإدغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه، وذلك مثل (ودّ) [2] في اللغة التميمية و(امّحى) و(امّاز)، و(اصّبر) و(اثّاقل عنه)"[3].

أما : (ودّ) فقد سبق الحديث عنها، وقلنا بأن (ودّ) أصلها (وتد)، وقد تجاورت التاء والدال وهما من مخرج واحد، إلا أن الدال صوت مجهور والتاء صوت مهموس، فتأثر المهموس بالمجهور فصارت (ودّ).

وأما امّحى وامّاز فأصلها انمحى وانماز فتجاورت النون و الميم، وإنما حدث الإدغام هنا "لأن صوتهما واحد ولاتفاقهما في الجهر والخروج من الخياشم[4] وهذا تأثر رجعي كالأول.

وأما اصّبر فأصلها اصتبر، فأبدلت تاء الافتعال صادا قال أبو عثمان المازني : "من العرب من يبدل التاء على ما قبلها فيقول اصبر ومصبر"[5]، ثم تدغم الصاد في الصاد، وعلة ذلك هي "وإن كانت الصاد مهموسة كالتاء فإن فيها استعلاء ليس في التاء؛ فأرادوا أن يكون عملهم من وجه واحد. فأبدلوا الزائد للأصلى فقالوا : اصبر"[6].

وأما اثّاقل فأصلها (تثاقل)، فتجاورت التاء والثاء وهما صوتان مهموسان متقاربان في المخرج، وهذا مما يصعب عملية تحقيقهما، فتدغم التاء في الثاء لتخفيف عملية تحقيق الصوتين فتصير (اثاقل)، ولابد من الاتيان هنا بهمزة الوصل؛ لأنه يستحيل الابتداء بالساكن من الحروف.

وأيا ما كان نوع هذا الإدغام الكبير فإنه عند ابن جني تقريب صوت من صوت، ويعني بذلك جذب المدغم فيه وإلحاقه بحكمه؛ فإدغام

---

[1] أي الإدغام.

[2] أصلها "وتد".

[3] الخصائص : 140/2.

[4] د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ص 287.

[5] ابن جني، المنصف : 327/2.

[6] المرجع نفسه : 328/2.

الطاء الأولى في الثانية في (قطع) يعني بالضرورة إلحاق الأولى الساكنة بالثانية المتحركة صوتا وحكما، حتى ينبو اللسان عنهما نبوة واحدة، ولو تكلف الإنسان الناطق ترك إدغام الطاء الأولى لتجشم "لها وقفة تمتاز من شدة ممازجتها للثانية بها"، وما يحكم هذا عند ابن جني إنما هو المشافهة به[1]. وهذه لفتة وجيهة منه، و هي أن تأثر الأصوات بعضها وبعض يظهر في مستوى النطق وليس في مستوى الكتابة.

كما يمكن ملاحظة أن ابن جني بلفتته تلك، إنما يعرض لما يسمى الآن في عرف المحدثين "بالصوت في الكلام "، وخلاصة ذلك أن الصوت في الكلام المتصل لا يحتفظ بخصائصه التي يعرف بها حين يكون صوتا مستقلا، بل يكتسب خصائص جديدة. "إن للأصوات فيما بينها (نحوا) خاصا : إن علاقاتها تحكمها قواعد وأصول معينة، فنجد أن هذا الصوت ينقلب صوتا جديدا إذ وقع في (سياق صوتي) معين؛ ونجد أن صوتا ثالثا يحذف إذا توفر فيه وفيما يجاوره من أصوات شروط معينة"[2].

ولسنا بحاجة هنا إلى إعادة أمثلة الإدغام مما يفني فيه الصوت الأول في الثاني فناء تاما؛ لأن الإدغام الكبير عند ابن جني هو ما كان مماثلة تامة، أو بعبارة أخرى، هو أقصى ما تصل إليه درجة التأثر بين الصوتين. بيد أننا وقبل أن ننهي الحديث عن الإدغام الكبير، نلفت النظر إلى ملاحظة ربما فاتت الكثيرين، مفادها أن ابن جني يصف الإدغام الكبير بأنه "تقريب صوت من صوت" في حين يصف الإدغام الصغير - الذي سيأتي الحديث عنه- بأنه "تقريب حرف من حرف"، ولا يخفى ما في الفرق بين الصوت والحرف في المعنى؛ إذ إن الصوت نفس يخرج نتيجة اندفاع الهواء من الرئتين، وقد يُطلق ويراد به الحرف.وأما الحرف فهو ما ينتج عنه اعتراض الهواء في جهاز التصويت فيما يعرف بالمحابس أو المقاطع، وبناء على هذا فإننا نلحظ ما يلي :

1- لعله لما كانت غاية التقريب في الإدغام الكبير هي فناء الصوت في الصوت، أطلق عليه ابن جني مصطلح "تقريب الصوت"، وقد أراد به الإدغام التام وفيه ينطق الحرف المُدغم والمُدغم فيه نطقا واحدا بحيث ينبو عنهما اللسان نبوة واحدة. وإطلاق مصطلح "الصوت الواحد" أدقّ من "الحرف الواحد"؛ لأنه قد يكون الحرفان

---

[1] الخصائص : 14/2.

[2] د. السعران، علم اللغة ص 205.

المدغمان في بعضهما مختلفين صفة ومخرجا، أي متقاربين أو متجانسين وليس بالضرورة أن يكونا متماثلين.

2- قد يعني تقريب صوت من صوت إدغامه فيه من غير تجنيس بينهما، لأن التجنيس[1] - وهو مصطلح أطلقه ابن جني على ما يهدف إليه الإدغام الأصغر كما سنرى- لا يمكن أن يكون إلا في حال تقريب حرف من حرف وإدنائه منه، أي ليكون من جنسه. والذي يمكن قوله إن تقريب صوت من صوت يهدف إلى نوع من التماثل بين الصوتين، تخفيفا لعملية النطق بهما منفردين لا غير، ولأجل ذلك كان مصطلح "تقريب الصوت" أدق من "تقريب الحرف".

2) الإدغام الصغير /:

من المهم أن نشير أولا إلى أن الإدغام الصغير أو الأصغر عند ابن جني يشمل أبوابا كالإمالة، ودرجات التقريب في تاء "افتعل" وفائها، وظاهرة قلب السين صادا في بعض اللغات، والإتباع وغيرها مما سنقف عنده في حينه. والسبب في هذه التسمية عند ابن جني، هي أن غاية هذا الإدغام تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام، وهو هدف يختلف عما يهدف إليه الإدغام الكبير الذي هو فناء الصوت في الصوت.

وعلى أية حال، فإن الإدغام الصغير لا يختلف عن الإدغام الكبير من حيث طبيعتُه، فكلاهما نوع من تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه بإدغام تامّ أو بغير إدغام. وفيما يلي نعرض لأهم ضروب الإدغام الأصغر كما أوردها ابن جني :

1- الإمالة :

عرضنا فيما سبق[2] للإمالة عند سيبوية وأدرجناها ضمن ما يسمى بالمقاربة بين الأصوات، وقلنا بأن الإمالة اصطلاحا: هي تقريب الفتحة طويلة كانت أو قصيرة إلى الكسرة طويلة كانت أو قصيرة. وقد زاد بعض العلماء ما عرف في لغات الكلام بـ: تقريب الفتح من الضم، وهو نوع لم تعرض له كتب القراءات لعدم شيوعه بين جمهور القراء. بيد أن بعض المطولات -كما ذكرنا- من كتب اللغة ذكرته ونبهت عليه.

---

[1] ينظر : المنصف : 2/324-325

[2] ينظر الصفحة66من هذا الفصل.

وعلى العموم فليس هذا موضوعنا هنا وما يهمنا منه أن ابن جني عرض لكل أنواع الإمالة وبخاصة النوع الأول، يقول : "وإنما وقعت[1] في الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو : عالِم، وكتاب، وسعى، وقضى : واستقضى؛ ألا تراك قربت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأملت الألف نحو الياء وكذلك سعى وقضى : نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها"[2] فجَعْلُ فتحة عين "عالم" مشوبة بشيء من كسرة اللام، هو -بالحقيقة- تقريب الفتحة من الكسرة وجعلها من جنسها. وما قيل عن فتحة عين عالم وكسرة لامها، يقال أيضا عن ألف سعى وقضى، والياء التي هي أصل لهما؛ فقد قربت الألف في سعى وقضى من الياء التي هي أصل لهما وجعلت من جنسها. ونجد ابن جني في موضع آخر يسمى الإمالة "مضارعة بين الحركات" حيث يقول : "واعلم أنك قد تجد هذه المضارعة وهذا التقارب بين الحروف، فقد تجده أيضا بين الحركات، حتى إنك تجد الفتحة مشبوهة بشيء من الكسرة أو الضمة منحوا بها إليهما، تجد الكسرة مشوبة بشيء من الضمة، والضمة مشوبة بطرف من الكسرة"[3].
وقد ضرب أمثلة لذلك بفتحة عين عابد المنحو بها نحو كسرة الباء، أو بعبارة أخرى إمالة الألف نحو الياء، وعلة ذلك عنده هي "لضرب من تجانس الصوت"[4]. وهي العلة التي سينبه عليها ابن جني في غير ما موضع وفي غير ما كتاب، كما حصل ذلك عند حديثه عن قلب تاء الافتعال عن الأصل في كتابة المنصف[5].

ومهما يكن من أمر فإن ابن جني حين نجده يؤكد على أن الإمالة هي ضرب من التقارب بين الحركات،وأنها تهدف إلى نوع من التجنيس بين الأصوات، فهو بذلك يأخذ بتلابيب الرأي القائل بأن الإمالة هي ضرب من الانسجام الصوتي أو الأصواتي؛ لأنها تهدف في نهاية المطاف إلى "تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل"[6]. والتشاكل أو التماثل بمعنىً.

---

[1] أي الإمالة.

[2] الخصائص : 141/2..

[3] سر صناعة الإعراب : 58/1

[4] نفسه : 58/1.

[5] ينظر المنصف : 324/2-325.

[6] شرح المفصل : 54/9.

وفي محاولة لتفسير ذلك صوتيا نقول : إن الألف تطلب من الفم أعلاه والكسرة تطلب أسفله، وهنا مكمن التنافر بينهما، ولهذا جنحت الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء. إذن؛ فقد جعل الفتحة من جنس الكسرة بإمالتها إليها، وجعل الألف من جنس الياء بإمالتها هي -أيضا- إليها، وبهذا يزول الثقل المترتب عن الانتقال من أعلى الفم إلى أسفله ويحل محله الانسجام والتماثل[1].

2- درجات التقريب في "تاء افتعل" :

أ -قال ابن جني : "ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صادا أو طاء أو ظاء، فتقلب لها تاؤه طاء، وذلك نحو : اصطبر، واضطرب، واطّرد، واظطلم، فهذا تقريب من غير إدغام، فأما اطّرد فمن ذا الباب أيضا، ولكن إدغامه ورد هنا التقاطا[2] لا قصدا؛ وذلك أن فاءه طاء، فلما أبدلت تاؤه طاء صادفت الفاء طاء فوجب الإدغام...ولو لم يكن هناك طاء لم يكن إدغام...وأما فيظلم و [فيطلم] بالظاء والطاء جميعا، فإدغام عن قصد لا عن توارد"[3].

وقد جعل ابن جني النطق بتاء "افتعل" -على الأصل- من الأصول المرفوضة الاستعمال، والعلة في ذلك عنده "أنهم أرادوا تجنيس الصوت، وأن يكون العمل من وجه واحد بتقريب حرف من حرف"[4]، وذلك أن حروف الإطباق المذكورة مستعلية مفخمة والتاء مستفلة مرققة، فأبدلت تاء الافتعال من جنس تلك الحروف لتحقيق الانسجام بينهما.

على أننا نجد ابن جني يعد هذا النوع -في مواضع أخرى- ضربا من "التطاول إلى الإدغام وإن لم يصلوا إلى ذلك فقد حاولوه واشرأبوا نحوه إلا أنهم مع هذا لا يبلغون بالحرف المقرب من الآخر أن يصيروه إلى أن يكون من مخرجه"[5][6]. ولعل هذا الذي جعله يطلق مصطلح الإدغام الأصغر على هذا النوع من التقريب ونحوه فهو ليس إدغاما بالمصطلح بل بالشبه؛ لأن الإدغام الأكبر يقتضي الفناء. وعد هذا إدغام لشبهه بالأكبر، من حيث هو تقريب للصوت أو بالأحرى الحرف من الحرف.

---

[1] ينظر أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث ص 276 و 277.

[2] أي من غير أن يُقصد إليه قصدا.

[3] الخصائص : 141/2.

[4] المنصف : 324/2-325.

[5] ذكر لذلك ابن جني سببين مانعين أحدهما الإدغام مع بعد الأصلين، والثاني تقريب الحرف من الحرف حتى يجعل من مخرجه ثم لا يدغم فيه. (يراجع الخصائص : 229/2).

[6] الخصائص : 229/2.

ب-قال ابن جني : "ومن ذلك أن تقع فاء (افتعل) زايا أو دالا أو ذالا، فتقلب تاؤه لها دالا، كقولهم : ازدان، وادعى (وادكر، واذدكر)"...

فأما ادّعى فحديثه حديث اطّرد لا غير في أنه لم تقلب قصدا للإدغام، لكن قلبت تاء ادّعى دالا، كقلبها في ازدان، ثم وافقت فاؤه الدال المبدلة من التاء، فلم يكن من الإدغام بدّ.

وأما اذدكر (فمنزلة بين) ازدان وادعى. وذلك أنه لما قلب التاء دالا [لوقوع الذال] قبلها صار إلى اذدكر، فقد كان هذا وجها يقال مثله ...غير أنه أجريت الذال لقربها من الدال بالجهر مجرى الدال، فأوثر الإدغام لتضام الحرفين في الجهر، فأدغم فهذه منزلة بين منزلتي ازدان وادعى. وأما اذكر فكاسّمع، واصّبر"[1].

نفهم من نص ابن جني أن أصل ازدان وادّعى وادّكر واذدكر هو على التوالي :

ازتان وادتعي وادتكر واذتكر، ولا يخفى هنا ما في النطق بحروف مثل الزاي والدال والذال مع تاء الافتعال من صعوبة مردها الاختلاف الشديد بين هذه الأصوات وتاء الافتعال في الجهر والهمس أو الشدة والرخاوة. والتفسير الصوتي لذلك هو أن التاء مهموسة لا تتناسب مع الدال المجهورة قبلها، والذال والزاي مع جهرهما يمثلان أقصى مراحل الرخاوة والتاء شديدة. فالبون -إذن- بينها كبير[2]. وللاقتصاد في الجهد العضلي. تقلب تاء الافتعال دالا -وهي النظير المجهور للتاء- حتى يتحقق الانسجام الصوتي.

أما صيغتا، "اطرد" و "ادعى"، فقد ورد إدغامهما من غير قصد، أي عن صدفة ومناسبة وإلا فهما من الإدغام الكبير -من حيث الشكل العام للصيغتين-. والمصادفة هنا هي أن قلب تاء الافتعال في اطّرد وادّعى صادف وجود الفاء من نفس جنس الحرف المبدل، فتم الإدغام إذ لم يكن منه بدّ.

ولأجل التوضيح أكثر، فإن أصل (اطّرد) اطترد، ثم قلبت تاء الافتعال طاء فصادفت طاء أخرى وهي فاء الافتعال فوجب الإدغام. كما أن ادّعى أصلها "ادتعى". وقلب تاء الافتعال إلى نظيرها المجهور -وهو الدال- يصادف وجود دال قبله وهو فاء الافتعال مما يوجب المماثلة التامة أو الكاملة، وهي الإدغام.

---

[1] السابق : 142/2.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص 131.

هذا وقد نبه ابن جني إلى أنه لا يجوز إدغام الزاي في التاء أو الدال في مثل قولهم (ازدجر)؛ فلا يجوز أن يقال : (ادّجر) ولا (اتّجر) وعلة ذلك "لئلا يذهب منها الصفير وطول الصوت؛ لما فيها من الانسلال"[1]. وقد ذكرنا فيما سقناهمن نصوص عن سيبوية أنه قال عن حروف الصفير:"وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمن في هذه الحروف[2] التي أدغمت فيهن، لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في السمع"[3]. ومعنى هذا أنها تمتاز بالوضوح السمعي عن غيرها وهي من صفات القوة فيها، وإدغامها في غيرها يفقدها هذه الصفة. كما أنه من سنن الإدغام أن يدغم الأضعف في الأقوى لا العكس[4]. وعلى هذا يجوز أن يقال ازّجر. أبدل الزائد للأصل مثل اصّبر[5].

ولعل ما ذكره ابن جني من طول الصوت في أصوات الصفير -في النص السابق- هو ما يعرف عند المحدثين بكمية الصوت duration. وعادة ما يرتبط هذا المصطلح بحروف المد أو اللين، لأنها أطول صوتا، أو أن كمية الصوت فيها أكبر، والسبب في ذلك -ببساطة- هو أن الهواء مع هذه الحروف يأخذ مجراه في الحلق ثم الفم دون أن يعوقه عائق أو يضيق مجراه. وما قيل عن حروف المدّ يقال عن حروف الصفير، إلا أن اللسان مع هذه الأخيرة يأخذ شكلا يضيق فيه مجرى الهواء مقتربا في ذلك من الطبق.

ومع أن مجرى الهواء مع حروف الصفير يضيق نسبيا، فإن هذه الأصوات تبقى من أكبر الأصوات كمية في الصوت، بل لعل ضيق مجرى الهواء مع هذه الأصوات، يجعل مخرج هذه الأصوات من مستدق اللسان ينتج عنه نبرا أعلى، خاصة وأن الهواء يخرج حسيرا بين اللسان وفويق الثنايا السفلى. وهذا ربما تفسير آخر لما ذكره سيبوية عن أصوات الصفير[6].

ولعلنا بالبسط في حديث أصوات الصفير نكون قد ابتعدنا عن متن الموضوع. غير أننا بعرض مباحث علمائنا القدامى لا بد لنا من أن

---

[1] المنصف : 33/2

[2] يقصد -في سياق الكلام- الظاء والثاء والذال والتاء. والمراد جميع الحروف.

[3] الكتاب : 464/4-465

[4] يراجع -في هذا- ما فصلناه في الصفحة 19 (الهامش) من هذا الفصل.

[5] المنصف : 330/2

[6] أعني ما قاله مما سقناه مرارا "هن (أي أصوات الصفير) أندى في السمع". وجاء في مختار الصحاح للرازي : "الندا بعد ذهاب الصوت يقال : فلان أندى صوتا من فلان، إذا كان بعيد الصوت" ص273.

نحاول فهمها والاقتراب بذلك من الصواب أو ما يغلب على الظن أنّه صواب؛ من ذلك أن مسألة إدغام أصوات الصفير في غيرها وعدم جواز العكس بسبب أن فيها صفيراً أو أنها أندى في السمع، أمر يحتمل غير ما احتمال. فعبارة سيبوية "أندى في السمع" يحتمل فيها أن يكون "الندا" "رفع الصوت وعلوه"، كما يحتمل أن يكون "بعد الصوت". ولعل الأولى (أي رفع الصوت)، هو ما يعرف حديثا بـ"الوضوح السمعي" في بعض الأصوات. في حين أن "بعد الصوت" ربما يقترب هذا مما ذكرناه -قريبا- عن كمية الصوت في أصوات الصفير. أو ربما يُفسر ذلك بأن أصوات الصفير - في الأغلب الأعم- أعلى تبرأ في سياق الكلام اللغوي. وأعتقد أن الفصل في مثل هذه المواقف، أو بالأحرى تفسيرها تفسيرا صوتيا لا بدّ له أن يعتمد أجهزة التحليل الطيفي أو تحليل الكلام البشري؛ لأنها أقدر على إعطائنا نتائج أكثر دقة، مع إيماننا برسوخ مبدأ التجربة الذاتية في الدراسة الصوتية.

3- ظاهرة قلب السين صاداً في بعض اللغات :

يقول ابن جني : "ومن ذلك أن تقع السين قبل الحرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صاداً...وذلك كقولهم. في سقت : صقت، وفي السوق: الصوق، وفي سبقت : صبقت، وفي سَمْلَق[1] وسويق : صملق وصويق، وفي سالغ[2] وفي ساخط : صالغ وصاخط وفي صقر، وفي مساليخ : مصاليخ."[3]

هذه الظاهرة ذكرها سيبوية في باب "ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات"، واحتطنا لها هنا بهذه التسمية لأنها ليست مطردة بل هي مما شذ وعُرف به بعض العرب دون عامتهم، وقد عزاها سيبوية "لبني العنبر"، يقول ما نصُّه : "إذ كان الأعرب الأكثر الأجود في كلامهم ترك السين على حالها. وإنما يقولها من العرب بنو العنبر"[4]. فدلّ على أن المطرد في كلامهم إنما هو ترك السين، فهي الأكثر بل الأعرب والأجود.

والذي حدث هنا هو تقريب السين من الحروف المستعلية بعدها، وذلك بقلبها صاداً لمضارعة هذا لأخيرة حروف الاستعلاء في التصعُّد والتفخيم، وقد أوسعنا هذا الموضوع حديثا في باب "المضارعة والتقريب

---

[1] السملق : هو الأرض المستوية أو القفر لا نبات فيه.

[2] يقال : سلغت الشاة إذا طلع نابها.

[3] الخصائص : 142/2-143 وينظر المنصف:325/2.

[4] الكتاب : 325/2.

عند سيبوية". ونشير إلى أن هذا يعد أيضاً -عند ابن جني- ضرباً من التجنيس؛ لأن علته "ليكون العمل من وجه واحد"[1]. وأن "هذا يدلك على أن للتجنيس عندهم تأثيراً قوياً"[2].

4- الإتباع :

أ-يقول ابن جني : "ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق، نحو شِعير، وبِعير، ورِغيف. وسمعت الشجري غير مرّة يقول : زئير الأسد يريد الزَّئير، وحكى أبو زيد [الأنصاري][3] عنهم : الجنّة لمن خاف وعيد الله، فأما مِغيرة فليس إتباعه لأجل حرف الحلق، إنما هو من باب مِنْتِنْ، ومن قولهم : أنا أجُوءُك وأنْبُؤُك، والقُرُقْصَاء والسُلُطَان، وهو مُنْحُدُر من الجبل"[4].

أشرنا سابقاً إلى أن مما يتأثر فيه السابق باللاحق ما حكاه ابن جني عن الشجري زِئير الأسد يريد : الزَّئير، وفيه كُسِرَت الفاء لكسرة العين، وهذا يغلب حدوثه إذا كانت العين من حروف الحلق الست؛ لأن الذي يظهر أن حروف الحلق أبعد مخرجاً، والانتقال من أحد أصوات الفم أو الشفتين بالضم أو الفتح إلى كسر العين، مما يصعب على اللسان تحقيقه، فتبعت حركة الفاء حركة العين. ولعل ما قيل عن "زِئير" يقال عن مِنْتِن، لأن أصلها مُنْتِن -بضم الميم- فأثرت حركة التاء في حركة الميم فكسرتها إتباعاً لها، وكذلك في "مِغيرة"، وكل ذلك تأثر رجعي.

ب-قال ابن جني : "ومن التقريب قولهم : الحَمْدُ لُلهِ والحمدِ لِلـه"[5] وقال : "...وقد دعاهم إيثار قرب الصوت إلى أن أخَلّوا بالإعراب فقال بعضهم : وقال اضربِ السَّاقين إمّكَ هابل"[6]

فقد ضم اللام في "لِلهِ" إتباعاً لحركة الدّال في "الحمد" كما كسر الدال فيها إتباعاً لكسر اللام في "لِلهِ" : وهو لون من تقريب الحرف من الحرف. وقد عزا ابن جنّي قراءة "الحمدُ لُلهِ" لأهل البادية دون أن يذكر منهم أحداً. وحكى أن "الحَمْدِ لِله" قراءة لإبراهيم بن أبي عبلة[7]. وأشار إلى أن

---

[1] المنصف : 325/2.

[2] نفسه : 325/2.

[3] زيادة يقتضيها السيّاق.

[4] الخصائص : 143/2.

[5] نفسه : 144/2.

[6] نفسه : 145/2، وينظر الشاهد في الكتاب : 146/4، والمحتسب : 112/1.

[7] المحتسب : 110/1.

ذلك شاذ في القياس والاستعمال[1]، ولكثرة استعمال لفظ "الحَمْدُ للهِ" شاع اتباع فيها واطرد على الألسنة.

وقد دخل"ابن جني في مفاضلة بين "الحَمْدُ لُلله" و "الحَمْدِ لِلّه" مشيرا إلى أن "الحَمْدِ لُلهِ" بالضم أسهل وأحسن لأن أقيس الإتباع برأيه أن يكون الثاني تابعاً للأول لأنه "جار مجرى السبب والمسبب" وينبغي أن يكون السبب أسبق رتبة من المسبب"[2]، وهو فيما يظهر احتجاج منطقي فلسفي بين مدى تأثير بعض علمائنا القدامى بعلوم المنطق وسعيهم لتطبيقه في الدرس اللغوي وقد غاب عنهم أن اللغة العربية منطقها الخاص بها وخصائصها المميزة وهي بذلك لا تحكمها قواعد المنطق ولا القوانين الطبيعية والكمياوية المطّردة.

ومما سبق نخلص إلى أن الإتباع في "الحُمْدُ لِلهِ" أو غيرها مما تأثر فيه السابق باللاحق أو اللاحق بالسابق، ثابت في العربية مطّرد فيها وقد يعود ذلك بالأساس إلى اختلاف ألسنة الناطقين بالعربية، مما يفسر اختلاف لهجاتهم، بل قد يُعدُّ لوناً من التطور الذي يصيب الحركات كما الحروف المتباينة في الكلمات، وخلال هذا التطور تحاول الأصوات أو الحركات التجانس فيما بينهما "بالتقريب". وقد يكون هذا التجانس على حساب الإعراب نفسه في مثل قولهم المشهور المجهول القائل :

"وقال اضرب الساقين إمك هابل"

فقد أخل بإعراب المبتدأ "أُمُّكَ" في سبيل الانسجام الصوتي كما روى أيضاً :

"وقال اضرب السَّاقينُ أُمُّكَ هَابِلُ"

بضم النون في "السَّاقين" إتباعاً لهمزة "أُمِّك".

وذكر ابن جني أن من الإتباع أيضاً ما ورد في كلام العرب من إعادة اللفظة أو بعضها بغرض التأكيد، وعدّة لوناً من التجنيس أو التقريب بين الأصوات قال : "ولهذا[3] وقع الإتباع في كلامهم نحو قولهم : "شيطان ليطان" لأنهم أرادوا أن يؤكدوا الكلام، فكرهوا إعادة اللفظة بعينها، فغيّروا بعض حروفها وتركوا الأكثر، ليعلموا أنهم في توكيد الأول".

---

[1] نفسه : 111/1.

[2] نفسه : 112/1.

[3] أي لأجل التجنيس.

"كما قالوا : "قام القوم أجمعون أكتعون أبصعون، فغيروا بعض الحروف وتركوا بعضاً، ليكون فيه ضرب من التكرير، وليخالف الأول بعض الخلاف".

"وإذا كانوا قد قالوا : "ضربت زيداً ضربت، وضربت زيداً زيداً فيما حكاه سيبويه. فتغييرهم بعض اللفظ أسْوُغ وأحَسن"[1].

ويظهر أن هذا النوع من الإتباع -عند ابن جني- أقرب إلى التوكيد اللفظي منه إلى الإتباع، إذ إن كلمات مثل "ليطان، أكتعون، أبصعون، هي زيادة في السياق، جيء بها على سبيل تأكيد معنى اللفظ السابق لها، ولا تحمل معنى في نفسها، يدلك على ذلك ما حكاه ابن جني[2] من أن ابن الأعرابي سأل بعضهم عن قولهم "شيطان ليطان" ما معنى"ليطان"؟ فقال : شيء نَتِدبه كلامنا. ولفظ "بعضهم" هنا يعني الأعراب الفصحاء وهم الحجة في اللغة. ثم إن الإتباع -على أساس ما سقناه من أمثلة- يكون في مستوى الحركات، فإذا خرج إلى مستوى الأصوات صار تقريباً أو مضارعة. أما في مستوى الكلمات أو الجمل، فالمؤكدّ أننا لم نعد في مستوى الصوت -وهو مجال الدراسة- ، وإنّما في مستوى البنية أو الكلمة.

هذا إلى أن ابن جني يعدّ من التقريب بين الحروف قولهم في مصدر: مزدر وفي التَّصدير، التزدير "فلما سكنت الصَّاد، وجاورت الصَّاد -وهي مهموسة -الدَّال- وهي مجهورة-، قربت منها بأن أشمت شيئاً من لفظ الزاي المقاربة للدال بالجهر"[3]، فهو -إذن- تقريب للصاد من الدال بقلبها زاياً، أو جعلها بين الصاد والزاي، وهو إشمام في مستوى الحروف -إن جاز هذا التعبير-. على أن ابن جنيٍّ يذكر أمثلة عن الإشمام في الحركات ويعده من التقريب قال : "ونحو من ذلك [أي الإشمام] قولهم : مررت بمذعور وابن بور : فهذا نحو من : قِيل وغِيض لفظاً وإن اختلفا طريقاً[4]"[5]

---

[1] المنصف : 325/2 .

[2] نفسه : 144/2 .

[3] الخصائص : 144/2 .

[4] نفسه : 144/2.

[5] يريد أن طريق الإشمام في قُيلْ غيره في اُبن مذعورْ؛ ففي الأول مراعاة للياء، وفي الثاني مراعاة لكسر الراء، وإن كان كل منهما إشمام من حيث اللفظ.

فإشمام ضمة العين في "مذعُور" وضمة الباء في "بُور" شيئاً من الكسر مراعاة لكسر الراء. وكذا إشمام كسرة "القاف" في "قِيل" وكسرة "الغين" في "غِيض" شيئاً من الضم، يعد تقريبا للحركة من الحركة.

ولئن انحصر الإشمام -في إصطلاحه الخاص- عند القراء- على المرفوع والمضموم[1]، أي إشمام الكسر شيئاً من الضم، فإن المعنى العام للإشمام يشمل شيئاً من الكسر، فيما سقناه من مثالي : "مذعور" و "بُور"، بل رأينا أن ابن جني -في النص الذي مرّ بنا قريباً -يسمى تقريب الصاد من الدال بجعلها بين الصاد والزاي إشماماً، وهذا في مستوى الحروف- فكيف لا يكون ذلك في الحركات؟.

ويظهر -مما سبق- أن الإشمام عند ابن جني نوع من تقريب الحركة من الحركة، بل يتعدى إلى تقريب الحرف من الحرف، طالما أنه يعني جعل الشيء بين بين، وهذا يكون في الحركات كما يكون في الحروف. وهو بذلك ميل إلى الانسجام الصوتي في الكلام اللغوي.

وإذا كان الإشمام يعني -في مفهومه العام- جعل الشيء بين بين، أي الحرف والحرف، والحركة بين والحركة، فإنه يعني أيضاً -عند ابن جني- جعل الحركة بين الحركة والسكون في نحو : حي وأُحْيِيَ وأُعْيِيَ "فهو وإن كان مُخْفىً -(بوزنه محركاً)، وشاهد ذلك قبول وزن الشعر له قبوله للمتحرك البتة وذلك قوله :

أ ان زمّ أجمال وفارق جيرة[2]

فهذا بزنته محققاً في قولك، أأن زمّ أجمال"[3]

فنطق الحركة في أواخر "أُحْيِيَ" و "أُعْيِيَ" بين الحركة والسكون هو إشمام الحركة السكون. كما أن النطق بالهمزة الثانية في "أأن" بين الحركة والسكون، يعد -هو أيضاً- إشمام حركة الهمزة السكون، بتخفيفها وجعلها بين بين.

وأما الروم الذي هو -بإصطلاح علماء القراءات- الوقوف بالحركة على أواخر الكلم المتحركات في الأصول[4] -فهو عند ابن جني "كالإهابة بالساكن نحو الحركة"[5]، أي تقريب الحركة من السكون "وهو لذلك ضرب من المضارعة".

---

[1] يراجع د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، المدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد ص 201 .

[2] ابن يعيش : 113/9، وعجزة. "وصاح غراب البين أنت جزين" والبيت لكثير عزّة.

[3] الخصائص : 145/2 .

[4] ينظر د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، المدخل والتمهيد ص 201 .

[5] الخصائص : 145/2 .

وقبل أن ننهي الحديث -عما أسماه ابن جني إدغاماً صَغيراً- نشير إلى أنه يعد من هذا النوع أيضاً تقريب فتحة العين في المضارع من جنس حرف الحلق مما عينه أولا منه حرف حلقي في الماضي قال : "ومن ذلك[1] أيضاً قولهم (فَعَلَ يَفْعَلُ) مما عينه أو لامه حرف حلقي، نحو : سأل يسأل، وقرأ يقرأ، وسعر يسعر، وقرع يقرع، وسحل يسحل، وسبح يسبح -وذلك أنهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حوف الحلق لما كان موضعاً منه مخرج الألف التي منها الفتحة"[2].

وقد أشرنا -في موضع سابق- إلى أن القدماء يعدون الألف حرفاً من حروف الحلق؛ أي أن مخرجها من الحلق. كما يعتبرون الألف فتحة مشبعة يقول ابن جني : "إن الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة، يؤكدّ ذلك عندك أيضاً أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ البيت، فتشبع الفتحة فيتولد بعدها الألف"[3]، ويقول سيبويه : "وإنما الحركات من الألف والياء والواو"[4]. ومن هنا فقد ضارعوا بفتحة العين في المضارع -والفتحة من الألف- ضارعوا بها حرف الحلق الذي من جنس الألف أي مخرجها - في صيغة الماضي.

هذا، وقد أشار سيبوية إلى ظاهرة فتح عين المضارع مما عينه أو لامه حرف حلقي في باب أسماه "هذا باب ما يكون يَفْعَلُ من فَعَلَ فيه مفتوحاً، وذلك إذا كانت الهمزة أو الهاء أو العين أو الحاء أو الغين أو الخاء، لاما أو عينا..."[5].

وقد حاول سيبوية تفسير هذه الظاهرة صوتياً فقال : "وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف : فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو الألف، وإنما الحركات من الألف والياء والواو"[6].

ولئن كان ابن جني قد عدّ هذه الظاهرة تقريبا أو مضارعة - بصريح العبارة-، وكان تعليله لها على النحو الذي رأينا، فإن سيبويه - فيما يظهر-، لا يعد ذلك مضارعة أو تقريبا،وليس في كلامه ما يدل على

---

[1] أي من التقريب.

[2] الخصائص : 27/2.

[3] سر الصناعة : 27/1.

[4] الكتاب : 101/4.

[5] نفسه : 101/4.

[6] نفسه : 101/4.

ذلك، بل إن في كلامه من الغموض والتكلف ما فيه، ويمكننا أن نقف على ذلك في نقطتين :

الأولى : أنّه قال "فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها في ما ارتفع من الحروف"، وحركة ما قبلها هنا أي حركة ما قبل حروف الحلق في المضارع إذا كانت لا مات في الماضي، كقولنا فرَغ يفرَغُ، نَفَع يَنْفَعُ، قَلَعَ يَقْلِع...إلخ، وحركة ما قبل حروف الحلق هنا هي الفتحة. هذا إذا كانت لامات في الماضي -كما سبق القول.

أما إذا كانت عينات في الماضي مثل : بَعَثَ، فَعَلَ، فَخَرَ وغيرها، فإن ما قبلها في المضارع سيكون ساكنا، كقولنا يَبْعَثُ، يَفْعَلُ، يَفْخَرُ، فالأمر هنا مختلف عنه في السابق؛ أين الفتحة التي قبل العين في يبعث ويَفْعَلَ؟ والتي قبل الخاء في يفْخَرُ؟ ولا نحسب هذا -بعد الذي رأيناه- إلا تكلفٌ وقع فيه سيبويه.

الثانية : يؤخذ من قول سيبويه الذي سقناه في النقطة الأولى -أن "حركة ما ارتفع من الحروف" يقصد بها -فيما يبدو- الضمة والكسرة، "وما ارتفع من الحروف" يعني بها هنا الواو والياء، قال "لأنّهما من الحروف التي ارتفعت"[1]، والذي يقوي هذا الظن ما قاله في آخر تعليله : "وإنما الحركات من الألف وغيرها من حروف الحلق هي الفتحة. أما حركة ما ارتفع منها وهي الياء والواو وغيرها من حروف الفم والشفتين هي الكسرة والضمة، وفي هذا التقسيم غموض واضح، ثم إنه لا يستجيب وما قررته الدراسات الحديثة من تحديد لموضع الفتحة في جهاز التصويت.

ولتوضيح هذه النقطة لا بد من وضعها تحت مجهر علم الصوت الحديث؛ فبالرجوع إلى مصورة موقع الفتحة على مدرج أصوات اللين، وهي هنا حركة وسطية مفتوحة لأنها[2] بين العين والتاء في "يبعَثَ" وبين الخاء والراء في "يفخَر"، قلت بالرجوع نلحظ الآتي :

---

[1] الكتاب : 101/4

[2] ذهب القدماء إلى أن الحركة فوق الحرف في مثل قولنا "كَتَبَ"، ففي نظرهم أن الفتحة فوق الكاف والتاء والباء، والصحيح أنها بين الصوتين، كما توهموا أن هناك فتحة على التاء في : "كتاب" وكسرة تحت الراء في "كريم"، وهذا غير صحيح، والصواب أن التاء في "كتاب" محركة بياء المد وحدها. (يراجع إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص 39، وينظر أيضا أصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد هلال ص 107 وما بعدها).

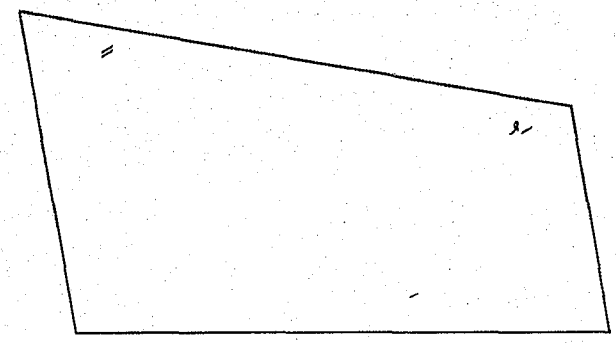

فالفتحة -كما هو موضح في الشكل- موضعها الوسط أو أنها وسطية "بالتسامح"، وإلا فإن موضعها أقرب إلى الضمة[1]، لأننا لو قسمنا الفم قسمين : أمامي وخلفي لكانت الفتحة مع الضمة في الخلف كما يبين ذلك الخط الموجه التالي، الذي يجب استحضاره دائماً لفهم تغير الحركات في الأفعال العربية.

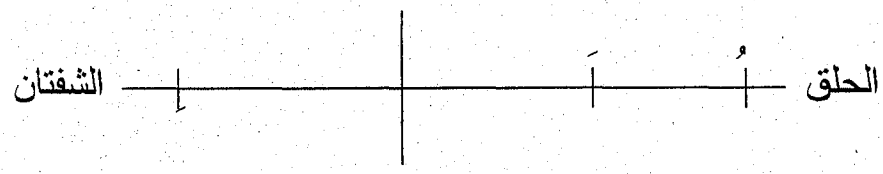

ونخلص مما سبق إلى أنه لا وجه لتخصيص حروف الحلق بالفتحة دون غيرها، فالفتحة موضعها الفم وإن كانت أقرب إلى الضمة التي يأتي موضعها في مؤخرة الفم مما يلي الحلق.

وهذا الذي أوردناه لسيبويه وابن جني من تعليل لظاهرة فتح عين المضارع مما عينه أو لامه حرف حلقي، نرى -بما ذكرناه من ملاحظات- أنه لا يمثل التعليل الصوتي المناسب لهذه الظاهرة، وإن كان ابن جني قد اقترب، أو أنه ذكر ما يجعله يقترب من التعليل المراد.

والذي نراه -تعليلا لهذه الظاهرة- أن صفة الفتحة هي الانفتاح[2]، وهناك علاقة بين جرس الفتحة ومخرج حروف الحلق؛ فنطق حروف الحلق يصحبه انفتاح في الفم يسهل عملية انقباض الحلق، والحركة الوحيدة التي تتصف بالانفتاح -هي كما ذكرنا- الفتحة، ومن هذه الصفة أخذت اسمها.

وقد اعتبر بعض[3] الدارسين أهمية الحروف الحلقية في النظام اللغوي العربي، إذ إنها تمثل -برأيه- ربع الحروف العربية، وتظهر هذه الأهمية بجلاء في عدد الأفعال العربية المتضمنة للحروف الحلقية؛ إذ إن

---

[1] ينظر د. حسام سعيد النعيمي، التحول والثبات في أصوات العربية، مجلة المجمع العلمي العراقي مج 37 ج رقم 1، ص 278. وينظر أيضاً الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ص 5 و 51.

[2] الطيب البكوش، التصريف العربي ص 50.

[3] نفسه ص 91.

ربعها -برأيه- يحمل حرفاً حلقياً. وما كان من (فعَلَ) على غير ما رأيناه -من فتح العين في المضارع- مما عينه حرف حلقي فقد وصفه بالشذوذ.

وبعد ...فهذه شواهد ما أسماه ابن جني بـ "الإدغام الأصغر" في الخصائص، وهو بهذه التسمية لم يقصد إلى أنه بالمفهوم الذي قد يتبادر أول وهلة كما رأينا ذلك في الإدغام الأكبر، بل أراد به أن كل ما قرب فيه الصوت يجري -بالضرورة مجرى الإدغام قال : "وإنما احتطنا له بهذه التسمية[1]" التي هي الإدغام الصغير، لأن في هذا إيذانا بأن التقريب شامل للموضعين[2] وأنه هو المراد المبغي في كلتا الجهتين[3]"

ثانيا المخالفة :

عرفنا فيما سبق أن المخالفة عملية تهدف إلى التقليل من الجهد العضلي بقلب أحد المتماثلين صوتاً آخر، غالباً ما يكون صوت لين أو صوتا شبيها بأصوات اللين. كما عرفنا أن العربي لم يحتج إلى المخالفة إلا في القليل من نسخ الكلام، مما يفسر قلة أمثلة هذه الظاهرة في العربية، وإن كان ما ذكره القدماء من استثقال المثلين أو التضعيف كما ذكرنا سابقا -يمكن تفسيره في ضوء هذه الظاهرة.

وإذا كان سيبويه قد أفرد للمخالفة باباً[4] في كتابه، فإن ابن جني ذكر أمثلة عنها في ثنايا كتابه "الخصائص"، وقد فسر أغلب أمثلتها باستثقال المثلين يقول في باب "تدافع الظاهرة" "ومن ذلك استثقالهم المثلين حتى قلبوا أحدهما في نحو أمليت، وأصلها أمللت -وفيما حكاه أحمد بن يحي - أخبرنا به أبو علي عنه- من قولهم "لا وربيك لا أفعل"، يريدون : "لاوربّك لا أفعل"[5].

ومما قلب فيه أحد المتماثلين صوت لين طويل أيضاً قوله -وقد سماه إحالة الصنعة. "ومن ذلك قول العرب (تسرَّيت) من لفظ (س. ر.ر)، وقد أحالته الصنعة إلى لفظ (سري). ومثله (قصَّيت أظفاري) هو من لفظ (ق.ص.ص) وقد آل بالصنعة إلى لفظ (ق.ص.ى)، وكذلك قوله بـ "تقضي البازي إذا البازي كَسَر" هو في الأصل من تركيب (ق. ض. ض)، ثم أحاله ما عرض من استثقال تكريره إلى لفظ (ق. ض. ى)"[6].

---

[1] السمة والتسمية بمعنى.

[2] يريد بهما الإدغام الأكبر والإدغام الأصغر.

[3] الخصائص : 145/2 .

[4] سماه :"باب ما شذ فأبدل مكان اللام لكراهية التضعيف وليس بمطرد".

[5] الخصائص : 231/2 وينظر المحتسب : 400/1.

[6] الخصائص : 90/2-91 .

ومع أن النصين -السابقين يمثلان لظاهرة واحدة وهي قلب أحد المتماثلين صوت لين طويل فإن ابن جني اضطرب تفسيره لها، وإلا فكيف يعلل لها في النص الأول "بالاستحسان"، وفي النص الثاني "بإحالة الصنعة". ولعل ما يريده بالاستحسان أنه ليس كل ما كان فيه مثلان استُعيض عن ثانيهما بحرف لين،يقول : "والذي فعلوه في (أمليت) و (لا وربيك)...لم يكن واجباً...وإنما غُير استحساناً، فساغ ذلك فيه ولم يكن موجباً لتغيير كل ما اجتمعت فيه أمثال"[1].

وعلى أية حال فإن ابن جني يذكر في النصين، السبب أو الداعي الذي ألجأ العربي إلى مثل هذا الإبدال، وهو استثقال المثلين أو استثقال التكرير. وفي كلامه هذا شبه بما علل به سيبويه لهذه الظاهرة، بحيث أرجع ذلك إلى "كراهية التضعيف".

والذي يؤخذ من ذلك أنهما يعترفان بوقوعه في العربية، ولعلهما أرادا بهذا أن النطق بالمثلين يحتاج إلى مجهود عضلي. هذا على الرغم من اعتبار ذلك عند سيبويه شذوذاً، وعند ابن جني مستحسنا ليس واجباً.

ومما قلب فيه أحد المتماثلين أيضاً ما رواه ابن جني عن القراء من أهل الحجاز، يقولون : للصوّاغ؛ الصيَّاغ يقول : "ووجه الاستدلال منه أنهم كرهوا التقاء الواوين -لاسيما فيما كثر استعماله -فأبدلوا الأولى من العينين ياء، كما قالوا في أمَّا : أيما ونحو ذلك فصار تقديره : الصيواغ، فلما التقت الواو والياء على هذا أبدلوا الواو والياء قبلها فقالوا : (الصيَّاغ)"[2]. وهنا وإن كان المنقلب هو الواو الأولى -بخلاف ما رأيناه سابقاً- فإنه وجه من وجوه المخالفة بين المتماثلين. ولا يمكن -بحال من الأحوال- القول بأن المبدل هو الواو الثانية- تماشيا مع القاعدة المذكورة- لأن (صيواغ) على مثال (فيعال)، و (فيعال) كما يقول[3] ابن جني مثال مرفوض، أو هو بالتعبير الخليلي "مهمل" غير مستعمل.

ومن هذا القبيل أيضاً -ما ورد في النص السابق من أن أصل "أمّا" هو أيما، وقرأ بعضهم "أيلاً ولا ذمّة" في "إلاً ولا ذِمَّة"[4].

---

[1] الخصائص : 233/2.

[2] الخصائص : 85/2، ويلاحظ في صيغة "الصيَّاغ" أن العربي لجأ فيها إلى الممائلة للتقليل من تنافر صوتي الواو والياء، فقلب الواو ياء وأدغم الياء في الياء.

[3] نفسه : 66/2.

[4] نفسه : 65/2، وينظر المحتسب : 399/1.

ومن أمثلة إبدال حروف المد بعضها وبعض ما صرح به ابن جني في موضع آخر من أنهم قالوا : "حاحيت وعاعيت وهـــاهيت، وأصلـــها حيحيت وعيعيت، وهيهيت فقلبت الياء ألفاً"[1].

وقد ذكر ابن جني[2] -أيضاً- أن "قسَّاط" لغة "كفسطاط" و "فســتاط"، ونبه على أن التاء في "فستاط" بدل من السين في "فسَّاط"، وفـــي ذلـــك - يقول- "شيئان جيدان :

أحدهما : تغيير للثاني من المثلين، وهو أقيس من تغيير الأول من المثلين ملتقيين أحرى من استثقالهم مفترقين". فدّل على أن استثقال المثلين جعلهم يقلبون أحد الحرفين المتماثلين حرفاً آخر وهو التاء. كما ذكر -أيضـــاً أن ايتهل وايتمن في اتّهل واتّمن[3].

ومن أمثلة كراهة توالي الأمثال التي ورد حذف أحد المثلين فيـــها قول الشاعر :

انظر قبل أن تلوماني إلى طلل بين النقى فالمنحنى[4]

يقول ابن جني تعليقاً على حذف أحـــد نونـــي (تلومـــاني) "يريـــد تلوماننني، فيجوز أن يكون حذف (أن) وهو يريدها، كأنه قال : قبـــل أن تلوماني، فحذف النون للنصب لأنه قد أضاف (قبل)، وحكم الإضافـــة أن تكون إلى الأسماء، فإذا أضمر (أن) فكأنه قال : قبل لومكما، ويجـــوز أن يكون أضاف (قبل) إلى الفعل لأنها ظرف، فجرى مجرى : أقـــوم يـــوم يقوم زيد، ثم حذف النون الثانية تخفيفاً"[5]

فما يؤخذ من تعليق ابن جني -هذا- أن النون الثانية حذفت لغرض التخفيف، وما التخفيف -في نظرنا- إلا محاولة للتقليل من الجهد العضلي الذي ستبذله عضلات الفم للنطق بمثلين متواليين. وهذا ما تســـعى إليـــه المخالفة الصوتية، و إن كانت هذه الأخيرة -في الغـــالب- تقلـــب أحـــد المتماثلين إلى صوت لين طويل، أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بـــأصوات اللين.

و مهما إختلفت الطريقة في التقليل من الجهد العضلي بين المخالفة الصوتية و حذف توالي الأمثال فهما -في نظرنا- يقودان إلى هدف واحد

---

[1] المحتسب : 271/1.

[2] الخصائص : 87/2.

[3] الخصائص : 288/2.

[4] المنصف : 337/2.

[5] نفسه : 338/2.

هو إختزال الجهد و هو ما جعل أحد[1] الدارسين المحدثين يعتبر أن ذلك هو إحدى نتائج نظرية السهولة التي نادى بها Curtius و Whiteny .

ومن هنا فإننا نميل إلى تسمية حذف توالي الأمثال " بالمخالفة بالحذف"، بصرف النظر عن التقسيم الذي يضعه بعض[2] الدارسين للحذف؛ الحذف للتخفيف والحذف للمجاورة، لأنه وإن كان الحذف للمجاورة يظهر فيه تأثر الأصوات بعضها وبعض، بخلاف الحذف للتخفيف الذي رُوعي فيه تخفيف التحقيق الانتاجي للأصوات، فإن الغاية التي يهدفان إليها واحدة هي بذل حد أدنى من الجهد العضلي.

وفي ضوء هذا التصور فإنه يمكن اعتبار أمثلة حذف توالي الأمثال –عند ابن جني وغيره– صور من صور المخالفة بين الأصوات في العربية.

ومن أمثلة توالي الأمثال ما ذكره ابن جني في باب ما اسماه: "باب في إدراج العلة واختصارها" قال : "...وذلك كسائل سأل عن قولهم : آسيت الرجل فأنا أواسيه، وآخيته فأنا أواخيه، فقال : وما أصله؟ فقلت: أؤاسيه وأؤاخيه.. فأما تقصّي علة تغيير الهمزة بقلبها واواً، فالقول فيه أنه اجتمع في كلمة واحدة همزتان غير عينين ... فاستُثقل ذلك، فقلبت الثانية على حركة ما قبلها –وهي الضمة– واوًا"[3]. فأخبر بأن استثقال همزتين متتاليتين جعلهم يقلبون الثانية واوًا للمخالفة، وبالتالي بذل مجهود أقل في تحقيق مثل تلك الصيغ.

والأصل في المضارع المسند إلى ضمير المتكلم من وزن "أفعل" هو أؤفعل" مثل "أؤكرم" –وبحذف أحد المقطعين المتماثلين تحت تأثير قانون المخالفة– يصير: "أكرم ثم حملت باقي صيغ المضارعة على ذلك يقول ابن جني "قولهم : أنا أكرم، حذفوا الهمزة التي كانت في (أَكْرَمَ)، لئلا يلتقي همزتان؛ لأنه كان يلزم : أنا أؤكرم، فحذفوا الثانية ، كراهة اجتماع همزتين ، ثم قالوا: نكرم وتكرم ويكرم، فحذفوا الهمزة ، وإن كان لو جاءوا بها لما اجتمع همزتان، ولكنهم أرادوا المماثلة[4] وكرهوا أن يختلف المضارع ، فيكون مرة بهمزة وأخرى بغير همزة محافظة على التجنيس في كلامهم"[5].

---

[1] ينظر : إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ص 212

[2] يراجع ، صالحة راشد غنيم آل غنيم ، اللهجات في الكتاب ص547 و 569 وما بعدها.

[3] الخصائص : 181.182/1.

[4] يريد بالمماثلة هنا حمل باقي صيغ المضارعة على هذه الصيغة كما ذكرنا في المتن.

[5] المنصف : 192/1، ويراجع هنري فليش، العربية الفصحى (نحو بناء لغوي جديد)، تعريب د. عبد الصبور شاهين ص 47.

ومن أمثلة ما حذف فيه أحد المتماثلين في القرآن الكريم ما ذكره ابن جني وعلل له تعليلاً صوتيًا في قوله " وأما قراءة من قرأ: "وَكَذَلِكَ نُجِّي المُؤْمِنِينَ"[1] ، فليس على إقامة المصدر مقام الفاعل، ونصب المفعول الصريح؛ لأنه عندنا على حذف إحدى نوني : (نُنَجِّي)، كما حذف ما بعد حرف المضارعة في قول الله سبحانه : "تَذَكَّرون"[2] أي تتذكرون، ويشهد لذلك أيضًا سكون لام (نُجِّي)، ولو كان ماضيًا لانفتحت اللام إلا في الضرورة"[3].

وبعد.. هذه بعض شواهد المخالفة الصوتية -عند ابن جني- وقد اجتهدنا في جمعها من كتبه،لأنه -كغيره- لم يعقد لذلك بابا خاصًا ، بل تناثر ذلك في ثنايا معالجته لقضايا اللغة. وهي تؤكّد بوضوح تفطن ابن جني -كغيره- لها، واعترافه بوجودها، وإن لم يوليها عناية خاصة، تجعلنا نسلم بإيمانه بتطور أصوات اللغة عبر العصور.

---

[1] سورة الأنبياء: من الآية: 88.

[2] سورة يونس: من الآية: 03 .

[3] الخصائص 398/1، ويراجع في مسألة الحذف تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها ص 298.

المماثلة والمخالفة في كتب المحدثين

لم تكن إشارة ابن جني للناي (المزمار) وتشبيه الحلق -في الجهاز الصوتي- به بالإشارة العابرة، فقد شبه تجويف الحلق أو ممر الهواء في بتجويف جهاز الناي، وشبه فتحاته التي توضع عليها الأصابع بمدارج الأصوات في جهاز التصويت. وفي هذا التشبيه ملاحظة علمية أصيلة وصائبة ، ودعوة إلى توظيف الجانب العملي التطبيقي المعتمد على الآلات في الدراسة الصوتية ، وهي الدعوة التي وجدت صداها في العصر الحديث الذي صارت الدراسة الصوتية فيه تعتمد على الأجهزة المعملية الدقيقة في إجراء تجاربها ، وهو التحول الكبير والعظيم الذي عرفه علم الأصوات بوصفه علمًا تجريبيا بالأساس.

وقد عرفت ظاهرتا المماثلة والمخالفة كغيرها من الظواهر اللغوية تناولاً جديدًا في كتب المحدثين من اللغويين عرباً وغربًا، بما عرفه علم الأصوات التشكيلي (الفونولوجيا) من تحول كبير، بحيث صار العلم الذي يفسر قوانين تجاور أصوات اللغة وطرق ائتلافها ونظام تركيبها، وما يتصل بذلك من فروق. ومن هنا أمكن التعليل لأبواب صرفية، أو بالأحرى ارتبطت في عرف القدماء بعلم الصرف، أمكن تعليلها وتفسير تنوعاتها تفسيرًا صوتيًا يعتمد الصوت مادة أساسية.

ومن هذا المنظور عالج المحدثون أبواب الإدغام، الإبدال ، الإعلال، الإمالة وغيرها مما يدخل في تأثر الأصوات بعضها وبعض، معالجة تنطلق من الجانب الصوتي أساسا لتفسير هذا التأثر، على اعتبار أن اللغة كانت منطوقة في بداية عهدها. و إذا كانت اللغة في بدايتها منطوقة فإن الناطق بها لابد أن يميل إلى ما هو أسهل وخفيف في العملية التمفصلية. ومن هنا فقد استنتج المحدثون بأن ظواهر تأثر الأصوات بعضها وبعض يعود بالأساس إلى تيسير عملية النطق والاقتصاد في الجهد العضلي.

فمن أوائل من أشار إلى ظاهرة المماثلة والمخالفة من العلماء العرب المحدثين الدكتور ابراهيم أنيس[1]، ومن الغرب اللغوي الإنجليزي دانيال جونز[2]. ولذا فإن إشارتنا لجهود المحدثين ستقتصر على هذين العالمين ، لما كان لملاحظتهما في هذا الشأن من أثر بالغ فيما تلا ذلك

---

[1] في كتابة:الأصوات اللغوية .

[2] في كتابه : An out line of english phonetics.

من بحوث ودراسات صوتية تتناول ظواهر التطور التركيبي في اللغات على اختلافها. يضاف إلى ذلك أننا بعرض وجهة نظر هذين العالمين يمكن تلخيص وجهة نظر المحدثين بوجه عام فيما يتعلق بهذا الموضوع.

المطلب الأول : رأي د. ابراهيم أنيس:

يعد كتاب "الأصوات اللغوية" أول كتاب في موضوعه يعالج قضايا اللغة الصوتية معالجة حديثة تعتمد ما جدّ من مناهج حديثة في دراسة أصوات اللغة مستفيدا من مناهج العلوم التجريبية عند الغرب وبخاصة ما عرف بعلم الأصوات التجريبي، الذي نما وتطور في أحضان أقسام الفيزياء والهندسة الكهربائية والإلكترونية وميدان الطب العام وغيرها من العلوم المساعدة الأخرى[1].

والحق أن هذا الكتاب أعاد النظر في كثير من الإصطلاحات الصوتية عند القدماء التي درج الباحثون على ترديدها دونما فهم عميق لمعانيها . وليس هذا فحسب، بل حاول شرح كثير من تعريفات القدماء وعرضها في ضوء الدراسات الحديثة. من ذلك ما ورد في تآليف القدماء من تعريفات تمتّ بصلة لمصطلح المماثلة والمخالفة أو ما يتعرض لتفسير أمثلتها في كل مناسبة تعنّ. فقد وضع هذا الكتاب إشارات أولئك العلماء محل نظر وبحث في ضوء الدراسة الحديثة، بل ومقارنتها بها أحيانا، مما مكّن من تفسير كثير من الظواهر الصرفية في ضوء قوانين صوتية حديثة وإرجاع كثيرها إلى نظريات تدل على التطور التركيبي والتاريخي للأصوات كنظرية الشيوع ونظرية السهولة وغيرهما.

أولا: المماثلة :

تقدم في غير ما مناسبة الإشارة إلى آراء المحدثين من علماء اللغة، ومن بينهم ابراهيم أنيس، ولسنا في حاجة هنا إلى إعادة ما ذكرنا من ملاحظات لابراهيم أنيس فيما يتعلق بتعريف المماثلة وأنواعها وأمثلة ذلك. غير أنه لابد من التعرض لما سماه بدرجات التأثر بين الأصوات وموضوعاتها لأنها تلخص مجمل ملاحظاته فيما عرف لدى المحدثين بالمماثلة.

يرى د. أنيس أن التأثر "لا يعدوا أن يكون مجرد انقلاب الصوت من الجهر إلى الهمس أو العكس، وأقصى ما يصل إليه الصوت في تأثره

[1] عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ص 86.

بما يجاوره أن يفنى في الصوت المجاور فلا يترك له أثرا"[1]، وهو ما اصطلح عليه القدماء بالادغام.

ويرجع د. أنيس درجات التأثر في الأصوات الساكنة ونسبته إلى الموضوعات التالية :

1-الجهر والهمس:

يرى د. أنيس أنه إذا التقى صوت مهموس بصوت مجهور "فقد يقلب أحدهما إلى نظير الآخر، بحيث يتكون منهما صوتان مهموسان أو مجهوران"[2] .

وقد رأينا ذلك فيما فاؤها (دال أو ذال أو زاي) من الأفعال إذا صغنا منها "افتعل"، بحيث تقلب تاء الإفتعال إلى نظيرها المجهور، وهي بطبيعة الحال مهموسة، وهذا أمر أجمع عليه جمهور المحدثين . بيد أن د.أنيس ينبه على أن القاعدة يمكن أن تطّرد في كل فعل فاؤه صوت مجهور؛ "فلو أمكن أن نصوغ افتعل من فعل مثل "بعث" الذي يبدأ بصوت مجهور لكان من الجائز المقبول أن نرى نفس الظاهرة"[3] ، ويمثل ، د. أنيس لذلك بما روته كتب النحاة من أنه سُمع في "اجتمع" "اجدمع" وفي "اجتزّ" "اجدزّ"، لأن الجيم صوت مجهور يناسبه صوت مجهور مثله.

أما إذا التقى صوت مجهور بغير نظيره المهموس فيرى د. أنيس أن "الغالب في اللغة العربية ألاّ يتم التأثر إلا حيث يختلفان اختلافًا كبيرًا في الصفة. فحين نصوغ "افتعل" من الفعل "زاد" نرى أن الزاي قد جاورت التاء مجاورة مباشرة، ولبعد ما بينهما في الصفة يتم التأثر بقلب التاء إلى نظيرها المجهور، وهكذا تصبح الكلمة "ازداد" أي يجتمع فيها صوتان مجهوران، وذلك لأن الزاي أقصى مراحل الرخاوة في حين أن التاء من الأصوات الشديدة ... أما في "اغتصب" فلم يتم التأثر لأن رخاوة الغين قليلة إذا قيست برخاوة الزاي"[4].

هذا ويرى د. أنيس أنه ليتحقق التأثر بين الصوتين لا بد أن "يكون التقاؤهما مباشراً بحيث لا يفصل بينهما أي فاصل ، و لو كان الفاصل

---

[1] الأصوات اللغوية ص183.

[2] الأصوات اللغوية ص 183.

[3] نفسه ص 184.

[4] نفسه ص 185.

حركة قصيرة ، ولا يتم هذا إلا حين يكون الصوت الأول مشكلاً بما يسمى السكون"[1].

ومما سبق يخلص د. أنيس إلى أن التقريب بين الصوتين المتجاورين "تختلف نسبته فأحيانًا نراه تقريبا بينهما في الجهر والهمس فقط، وأحيانا نجده في الشدة والرخاوة أيضاً"[2].

2-انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف وبالعكس:

من الأصوات اللغوية في العربية ما يتخذ الهواء مجراه حين النطق بها خلال الفم، وهي الغالبة في العربية ، ومنها ما يتخذ الهواء مجراه معها من الأنف كالنون والميم. وذكر[3] د. أنيس أن المحدثين لاحظوا أن الصوت من النوع الأول قد ينتقل إلى نظيره من النوع الثاني تحت تأثير ظروف لغوية خاصة.

فنظير النون من أصوات الفم الدال والتاء، "ولا فرق بين النون والدال إلا في أن الهواء يتخذ مجراه مع الأولى خلال الأنف. ومع الثانية خلال الفم ، أما موضع اللسان بالنسبة للحنك الأعلى مع كل منهما، فيكاد يتحد تمام الاتحاد. وكذلك لا فرق بين الميم والباء إلا في أن الهواء مع الأولى يتسرب من الأنف ومع الثانية من الفم وشكل الشفتين مع كل منهما واحد"[4].

هذا وذكر د. أنيس أمثله تشهد على هذا التأثر من القرآن الكريم، في مثل اجتماع الباء مع الميم في قوله تعالى:* **اركَبْ مَعَنَا** * [5] فقد قلبت الباء ميمًا، واجتماع النون واللام في*فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا*[6] ، فقد قلب الصوت الأنفى "النون" إلى أحد نظرائه من أصوات الفم "اللام"، وهما من مجموعة الأصوات الشبيهة بأصوات اللين كما تقدم.

3- انتقال مخرج الصوت :

يرى د. أنيس أن "من أنواع التأثر التي قد تعرض لكثير من الأصوات أن ينتقل الصوت من مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر،

---

[1] نفسه ص 184.

[2] نفسه ص 185.

[3] نفسه ص 186.

[4] الأصوات اللغوية ص 186.

[5] سورة هود ، من الآية : 42 .

[6] سورة البقرة ، من الآية: 279 .

فيُستبدل به أقرب الأصوات إليه في هذا المخرج الجديد"[1]. وبهذا فُسّر ما روته كتب النحو من إبدال التاء كافًا في "عصيت" فيقال "عصيكا" وهي ظاهرة عرفتها بعض اللهجات العربية القديمة.

والأمر لا يعدو أن يكون انتقالا للتاء من مخرجها متجهة نحو أقصى الحنك، أو أن ينتقل مخرج الكاف متجهًا نحو أصول الثنايا. وقد لاحظ[2] د. أنيس مثل هذا الإنتقال واضحًا في بعض لهجات الكلام الحديثة؛ إذ يقول بعض المصريين: "استنجرية" بدلاً من "اسكندرية". وذكر أيضًا أن انتقال مخرج الصوت يبرر أيضًا ما يعرف عند القراء بالإقلاب ، وهو قلب النون الساكنة ميمًا إذا وليها باء، "فأقرب أصوات المخرج الجديد إلى النون هو الميم" لأن كلا منهما من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين ، فضلاً عن أن النون والميم صوتان أنفيان"[3].

4- تغير صفة الصوت من الشدة إلى الرخاوة والعكس.

يرى د. أنيس أن هذا التأثر عادة ما يصحبه إدغام "كإدغام الدال في الذال أو الثاء في التاء"[4]. وسيأتي تفصيل ذلك في فصل لاحق.

5-الإدغام :

يتعرض د. أنيس هنا إلى الإدغام عند القراء سواء الإدغام بغير غنة أو الإدغام بغنة وهذا من حيث الأثر الذي يتركه الصوت بعد فنائه في غيره، أو باعتبار وجود الفاصل- وعادة ما يكون صوت لين قصير- وهنا يقسم إلى كبير وصغير. وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل اللاحق إن شاء الله.

وقد اعتبر د. أنيس الموضوعات الأربعة الأولى في تأثر الأصوات الساكنة بعضها وبعض، قوانين عامة تحكم التطور الصوتي في اللغة العربية، على قلة الأمثلة التي روتها كتب القراءات، مما يجعلها -في نظره- قابلة للنقض في بعض تفاصيلها.[5]

وبوجه عام فإن المماثلة -كما المخالفة- تهدف -في نظر أنيس إلى الاقتصاد في الجهد العضلي أثناء النطق، اقتصادًا غير ارادي يحدث دون أن يشعر المتكلم بحدوثه، ودون أن يكون له قصد فيه.

---

[1] السابق ص 187.

[2] نفسه والصفحة نفسها.

[3] نفسه والصفحة نفسها.

[4] نفسه والصفحة نفسها.

[5] الأصوات اللغوية ص 253.

المطلب الثاني : رأي الأستاذ دانيال جونز:

يرى الأستاذ : دانيال جونز أن مصطلح المماثلة -الذي كثيرًا ما يقابلنا في الأعمال اللغوية- يتنوع استخدامه من كاتب لآخر ، ولكن يمكن التعرف بصورة ملائمة على ثلاثة أنواع من الظواهر[1]:

1-المشابهات Similitudes

2-المماثلات التاريخية Historical Assimilations

3-مماثلات المجاورة Juxtaposition Assimilations

ومهما يكن نوع المماثلة فإن مصطلح المماثلة -بشكل عام- يعبر عن تغيرات في النطق تقع في ظروف معينة في نهاية أو بدايات الكلمات؛ أي في حدود الكلمات عند ما توجد في كلام متصل أو في مركبات[2].

وإذا كنا قد رأينا أن المماثلة -وفي العربية خصوصًا- لون من التطور المفروض على المتكلم أحيانًا في ظروف معينة اجتماعية ونفسية وغيرها، فإن الأستاذ د. جونز يرى أن المماثلات -بعامة- ليست قهرية في كثير من اللغات - بما في ذلك الإنجليزية - ؛ فقد يتجنب المتكلم القيام بها إذا ما رغب في ذلك.[3] لكنه يضيف فيقول "وعندما تتحقق، تولد قدرًا من الاقتصاد في الجهد "Economy of effort" بنطق سلسلة من الكلمات سواء أكانت تقدمية أم رجعية"[4].

وعلى العموم فإن نتيجة المماثلة -عند جونز- هي التقليل من عدد الحركات والتعديلات التي تؤديها الأعضاء المنتجة للكلام حين الانتقال من كلمة إلى أخرى، أو تقليل مدى هذه الحركات والتعديلات [5].

وعلى هذا الاعتبار فإن المماثلات توفر الجهد باستخدام ثلاثة أنواع مختلفة من التغيرات في سلسلة الحركات المنتجة للكلام.

1-المماثلات التي تتضمن حالة المزمار.

2-المماثلات التي تتضمن الحدث الطبقي.

3-المماثلات التي تتضمن حركة المصوتات.

---

[1] D.Jones,An outline of English phonetics p217-218.

[2] نفسه ص 218-219.

[3] نفسه ص 228.

[4] نفسه وينظر ديفيد ابركرومي ، مبادئ في علم الأصوات ص 196.

[5] المرجع السابق ص 196 وينظر الموقع الآتي على الانترنيت "www.google.com(phonotogie) page 03".

وهذه التغيرات الثلاثة لها ارتباط بالمماثلات التاريخية أكثر من ارتباطها بمماثلات المجاورة[1].

وما نخلص إليه أن القصد العام من المماثلة أو ما تهدف إليه عند دانيال جونز هو الهدف نفسه الذي يراه د. أنيس، وهو ما يجعلنا نستنتج بأن ما يحكم التطور اللغوي خاصة التركيبي منه، هو قانون الجهد الأدنى أو اختزال الجهد أو ما يعرف أيضًا بنظرية السهولة التي نادى بها كل من Whiteney و Curtius.

وإذا كان ذلك واضحًا في المماثلة، فإنه يُعد في المخالفة أوضح وأبين باعتبار أن الصوت الثاني -وأحيانا الأول كما رأينا سابقًا- يتحول إلى صوت لين طويل، أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين، وهذا -كما هو واضح- جنوح إلى الأصوات الأسهل تحقيقًا، وهو أقصى ما يصل إليه التيسير في عملية النطق.

[1] المرجع السابق ص 200.

الفصل الثاني

المماثلة والمخالفة بين القراء والنحاة

المطلب الأول: المماثلة والمخالفة عند القراء.

1- الإدغام.

2- ظاهرة قلب الصاد "سينا" أو "زايا".

3- الإتباع.

4- **المخالفة.**

المطلب الثاني: بين القراء والنحاة في وصف مظاهر التأثر بين الأصوات.

1- الإدغام المتجانس (إدغام المتجانسين).

2- الإدغام المتقارب (إدغام المتقاربين).

المطلب الثالث: القراء والتعليل الصوتي لألوان التأثر.

- بعض مظاهر التعليل الصوتي عند القراء ومناقشتها.

يعد القرآن الكريم وقراءاته ميداناً بكراً وخصباً للدراسات اللغوية الحديثة خاصة الصوتية منها، وتعود هذه الأهمية إلى أن الظواهر الصوتية في العربية، ترجع في أغلبها إلى اختلاف اللهجات العربية، أو بتعبير آخر إن الظواهر الصوتية في العربية لا يمكن تفسير العديد منها، ولا الوقوف على حقيقتها إلا في ضوء دراسة اللهجات العربية.

ونحن هنا لا تعنينا اللهجات العربية بقدر ما تعنينا القراءات القرآنية أو القرآن نفسه، أو هما معاً لاعتبار واحد، وهو أنهما يمثلان سجلاً ضخماً و واقعاً لغوياً حياً، يمكن في ضوءه تفسير وتعليل جملة من الصور النقطية أو الظواهر الصوتية، لما تحمله القراءات القرآنية من صور لهجية للمجتمع العربي بوجه عام.

وقد اشتملت القراءات القرآنية على أمثلة تصور التأثير الذي قد يحصل بين الأصوات في العربية -على النحو الذي رأينا-وكيف لا ؟ والقرآن الكريم وقراءاته يمثلان المدونة الخالدة للعربية، والجامعة لخصائصها اللغوية وغير اللغوية. ومن ثم فإنه من الطبيعي أن نسجل ألواناً من التأثر التي تظهر في مستوى الكلام المتصل أو غير المتصل مما ورد فيه من إدغام وإمالة وإتباع ومخالفة وغيرها في نصوص القرآن والقراءات.

فصور التأثر السابقة صور تفرضها سنن التطور اللغوي الذي هو واقع حتمي تتعرض له كل اللغات. و قد رأينا أن هذا التطور محكوم بجملة من القوانين العامة لا نستطيع الجزم باطرادها اطراداً تاماً في كل مدونات اللغة وبالخصوص القرآن الكريم وقراءاته. ولعل الفضول العلمي يدفعنا إلى البحث فيما إذا كانت تلك القوانين والسنن مطّردة، ولها ما يبرهن عليها من أمثلة في القراءات، وهذا ما يسعى هذا الفصل إلى البحث فيه، يسبق ذلك عرض لألوان التأثر واستقرائها عند القراء، للوقوف على مدى تسليم القراء بسنن التطور في لهجاتهم التي هي صور نطقية وتلونات للغة الأمّ.

ولا شك أن الفصل الأول يعد مادة علمية دسمة لهذا الفصل، إذ يصور لنا ما ورد في كتب النحاة من شواهد لهذا التأثر، بشكل يتيح لنا الموازنة بين القراء والنحاة في دراسة هذا الموضوع معالجة واستنتاجاً.

المطلب الأول /: المماثلة والمخالفة عند القراء.

1) الإدغـام :

عرفنا أن الإدغام هو أقصى درجات التأثر بين الصوتين، وهو عند القدماء اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشدّداً[1].

والإدغام عند القراء على نوعين : كبير وصغير؛ أما الكبير فهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركا، وفيه يفصل بين الصوتين المتجانسين أو المتقاربين صوت لين قصير، وقد نسبت القراءة بهذا الضرب إلى أبي عمرو ابن العلاء[2].

---

[1] ابن الجزري، النشر : 215/1، وشرح طيبة النشر ص 54.

[2] السابق: 216/1، وينسبه ابن الجزري أيضا "للحسن البصري وابن محيصن والأعمش" وغيرهم (216/1).

وأما الصغير فهو : ما يتحقق بمجاورة الصوتين المتجانسين أو المتقاربين، إذ لا فاصل بينهما أو عبارة عما إذا كان الحرف الأول منه ساكناً[1].

ويذهب ابن الجزري إلى أن الإدغام لا يتم بإدخال حرف في حرف يقول: "كما ذهب إليه بعضهم بل الصحيح أن الحرفين ملفوظ بهما طلباً للتخفيف"[2].

والآن نعرض الأمثلة القرآنية التي ورد فيها إدغام بنوعين مما يعرف عند القراء بالإدغام الجائز :

- الباء /:

يدغم صوت الباء في الفاء والميم؛ أما إدغامه في الميم ففي قوله تعالى "يُعَذِبُ مَنْ يَشَاءُ"• وقوله تعالى "يَا بُنَي ارْكَب مَعَنَا وَلاَ نَكُن مَعَ الكَافِرِين"• وهذا الإدغام يبرره من الناحية الصوتية انتقال مخرج صوت الباء الفموي إلى نظيره من أصوات الفم وهو الميم، وهما بالأساس صوتان شفويان.

وروي إدغام الباء في الميم عن أبي عمرو والكسائي ويعقوب[3].

وأما إدغام الباء في الفاء فقليل، وقد ذكرت كتب القراءات وقوعه في خمسة مواضع من القرآن وهي في قوله تعالى "أو يَغْلِبْ فَسَوْفَ"[4] وفي قوله "وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ"[5] وفي قوله "قَالَ اذْهَب فَمَن"[6]،وفي قوله تعالى أيضا "اذْهَبْ فَإِنّ لَكَ"[7] وفي قوله "وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ"[8].

ويرى د. أنيس أن هذا الإدغام "يستلزم أولا قلب الباء وهي مجهورة إلى نظيرها المهموس وهو الصوت الشائع في اللغات الأوروبية والذي يرمز إليه بالرمز (P) وهو شديد انفجاري، مخرجه الشفتان، وإذا لم ينحبس معه وأصابته صفة الرخاوة، بأن يسمع له صفير، انقلب إلى صوت قريب الشبه جدا بالفاء، لأنها رخوة مهموسة وبهذا يتم الإدغام"[9].

- التاء/ :

يدغم هذا الصوت إدغاما في الأصوات الآتية :

1- الثاء : في مثل قوله تعالى "ألاَ بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعُدَتْ ثَمُود"[10]. وتعليل هذا الإدغام من الناحية الصوتية يبرز أن التاء صارت رخوة كالثاء ثم ينتقل مخرج

---

[1] نفسه: 3/2.

[2] نفسه: 216/1.

• سورة البقرة : 284.

• سورة هود: 42.

[3] نفسه: 9/1-10، وسبط الخياط، الاختيار ص 174.

[4] سورة النساء الآية : 74 .

[5] سورة الرعد الآية : 5 .

[6] سورة الإسراء : 63 .

[7] سورة طه الآية: 97 .

[8] سورة الحجرات الآية : 11 .

[9] الأصوات اللغوية ص 190-191.

[10] سورة هود من الآية 59.

التاء إلى الأمام، أي إلى مخرج الأصوات اللثوية وبهذا يتطابق ويتماثل الصوتان كل المماثلة فيتم الإدغام.

2- الجيم : في مثل قوله تعالى "وَجبَتْ جُنُوبُهَا"[1]، وقوله تعالى "كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ"[2].

وهنا تحولت التاء إلى نظيرها المجهور وهو الدال، ثم انتقل مخرج الدال من أصول الثنايا العليا إلى وسط الحنك، حيث مخرج الجيم فتلتقي بها فيتم الإدغام[3].

3- الظاء : في مثل قوله تعالى "حرمت ظهورها"[4] و"حملت ظهورهما"[5].

وهنا -أيضا- كالمثال السابق تحولت التاء إلى نظيرها المجهور لتماثل الظاء وهو صوت مجهور، ثم سمح للهواء بالمرور لتصير رخوة، ثم ينتقل مخرجها إلى مخرج الأصوات الرخوة فتصير ذالا، ولا فرق بين الذال والظاء في الصفة إلا أن الظاء من أصوات الإطباق.

وقد أدغم هنا وفي -المثالين السابقين- أبو عمرو وحمزة والكسائي، وأدغمها الأزرق عن ورش في الظاء فقط[6].

4- الصاد : في مثل قوله تعالى "حُصِرَت صُدُورهم"[7] وقوله "لهدمت صوامع"[8].

و هنا سمح للهواء بالمرور مع التاء فصارت رخوة، فأشبهت السين وماثلتها كل المماثلة، ولا فرق بين الصاد والسّين، إلا الإطباق الذي في الصّاد[9].

5- السين : في قوله تعالى "أنبتَتْ سَبْعَ"[10] وقوله "أقلّتْ سَحَابًا"[11].

وما حدث هنا ذكرناه في المثال السابق من أنه سُمح للهواء بالمرور مع التاء فاكتسبت صفة الرخاوة التي في السين، فماثلتها فتم الإدغام.

6- الزاي : في مثل قوله تعالى "خَبَتْ زِدْنَاهُم"[12]، وهنا أيضا صارت الثاء مجهورة مما يعني تحولها إلى ذال لأن الزاي مجهورة، ثم سمح للهواء بالمرور، فأصبحت رخوة واكتسبت مع ذلك صفة الصفير الذي في الزاي، فتمت المماثلة بينهما، وبذلك جاز الإدغام.

---

[1] سورة الحج من الآية 36.

[2] سورة النساء من الآية 56.

[3] المرجع السابق ص 191.

[4] سورة الأنعام من الآية 138.

[5] الأنعام من الآية 146.

[6] النشر : 5/2 وسبط الخياط، الاختيار 171.

[7] سورة النساء من الآية 90.

[8] سورة الحج من الآية 40.

[9] الأصوات اللغوية ص 193.

[10] سورة البقرة من الآية 281.

[11] سورة الأعراف من الآية 57.

[12] سورة الإسراء من الآية 97.

وكما رأينا في الأصوات الثلاثة الأولى (الثاء والجيم والظاء) فكذلك أصوات الصفير هذه ينسب إدغام التاء فيها إلى أبي عمرو وحمزة والكسائي وغيرهم، ونُقل الإظهار عن ابن كثير وعاصم وأبو جعفر ويعقوب وقالون.[1]

هذا وتدغم "التاء" إدغاما كبيرا في الأصوات التالية :

1- الذال : في قوله تعالى "السّيئَات ذلك". وهنا سقط في المرحلة الأولى حرف اللين الفاصل بين التاء والذال وهو الكسرة ليتم تجاوز الصوتين- وهذا واجب الحدوث في كل إدغام كبير-، ثم انتقلت التاء بمخرجها إلى مخرج الأصوات اللثوية، ثم سمح للهواء بالمرور لتصير رخوة كالدّال،وبذلك تم التماثل بين التاء والدّال، وأدغمت الأولى في الثانية.

2- الشين : في مثل قوله تعالى "بأربَعة شُهداء"[2]، وقوله "السَّاعَة شَيء"[3] وقوله "جئت شيئا فرياً"[4].

وقد أجمع القراء على الإدغام في المثالين الأوليين، وروى [5] صاحب النشر الإظهار في "جئت شيئاً فرياً" ولم ينسب، وذكر أن أبا عمر الداني قرأ بالوجهين وتبعه في ذلك سائر المتأخرين.

و يذكر إبراهيم أنيس أن من الصعب تبرير مثل هذا الإدغام، والسبب في ذلك يعود إلى أن سقوط صوت اللين من تاء "أربعة" يقلب التاء هاء، ولا يتم الإدغام أو تفسير إدغام التاء في السين إلا إذا سمحنا للتاء وهي مشكلة بالسكون أن تكون تاء، وعندئذ يمكن أن تكون التاء انتقلت بمخرجها إلى وسط الحنك مع السماح للهواء بالمرور معها لتصير رخوة كالشين، وبهذا يتماثل الصوتان تمفصلا وتلوينا فيتم الإدغام. أما الإظهار الذي رواه صاحب النشر في "جئت شيئا فرياً" ولم ينسبه، إلا أن يكون يقصد بـ (و رواه بالإظهار) يعني بذلك الداني كما ذكرنا.

و الذي نراه أن الإدغام أقوى للتقارب الذي بين الصوتين، ولقوة الكسرة كما روى عن ابن شنبوذ[6].

هذا وقد قرأ أبو عمرو بالإدغام[7].

3- الضادّ : مثل قوله تعالى "وَالعادِيَات ضَبْحاً"[8]. وهنا إذا سلمنا بأن هذا الإدغام حدث بعد ن تطور النطق بالضاد، وأصبحت كما ينطق بها الآن أي الصوت المطبق للدال، فعلى رأي د. أنيس[9] أنه جُهر بالتاء أولاً فأصبحت دالاً، ولا فرق بين الدال والضاد الحديثة إلا في أن الثانية مطبقة، وهكذا يتم الإدغام.

---

[1] النشر : 8/2، وسبط الخياط، الاختيار 170 وما بعدها.

[2] سورة النور من الآية 4.

[3] سورة الحج من الآية 1.

[4] سورة مريم من الآية 27.

[5] ابن الجزري، النشر : 226/1.

[6] نفسه : 226/1.

[7] ابن الوجيه الواسطي، الكنز في القراءات العشر ص 195.

[8] سورة العاديات من الآية 1.

[9] الأصوات اللغوية ص 194.

غير أنه إذا عرفنا بأن هذا الإدغام روي عن أبي عمرو[1]، فكيف يمكننا تصـــور أن الإدغام حدث بعد تطور صوت الضاد، فهل كانت الضاد قد تطورت بالشكل الحـالي في القرن الثاني الهجري ؟ وهذا مالا يقوله به أحد، ولا يسلم به باحث. أما الذي نراه فهو أن الضاد هنا هي بالنطق القديم؛ أي "من أول حافـة اللسـان ومـا يليـها مـن الأضراس...إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر"[2].

وذكر برجستراسر[3] أن الضاد القديمة يشبه اللام المطبقة عند أهل الأندلـس وبذلك تعد اللام المطبقة أقرب الأصوات من الضاد القديمة. ونقل برجستراسر أيضاً عن صاحب المفصل دليلاً آخر يدعم رأيه، وهو أن الزمخشـري ذكـر أن بعـض العرب كانت تقول (الطجع) بدل (اضّطجع)[4] "فنشأ نطق الضاد عند البدو من نطقـها العتيق بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه، ونطقها عند أهل المدن، نشأ مـن هذا النطق البدوي، بإعماد طرف اللسان على الفك الأعلى، بدل تقريبه منـه فقـط، فصار الحرف بذلك في نطقه شديداً بعد أن كان رخواً"[5].

ومن هنا يمكننا تصور كيف أن الضاد انتقلت بمخرجها إلـى مخـرج الـلام اللثوية المطبقة، فصارت شديدة كالتاء الأسنانية اللثوية فتماثلا فتم الإدغام.

4- الطاء: في مثل قوله تعالى *و أقِمِ الصَّلاَة طرَفَـي* [6]، و قولـه * وَ الملائكـة طيِّبينَ* [7].ذهب النحاة و القراء إلى أن الطاء القديمة مجهورة، و هو ما عده د.تمام حسان خطأ و قع النحاة و القراء فيه على السواء. و ما أوقعهم في هذا الخطأ - فـي نظره - أن الطاء كانت ذات نطق مهموز، أي أنه يصحبها إقفال الأوتـار الصوتيـة حين النطق "فأصبح عنصر الهمز جزءا لا يتجزأ من نطقها "[8]، و هذا مبعث غرابة لصوتها على السمع. ثم إن هناك سببا آخر أوقعهم في هذا الخطأ هـو أن قاعدتـهم القياسية تقول: "إن كل صوت من أصوات القلقلة مجهور شديد" يقول [9] ابن الجزري "و كذلك الحكم في سائر حروف القلقلة لإجتماع الشدة و الجهر فيها"، و قولـه [10] "و اشتركت (أي الطاء) مع الدال في الجهر".

---

[1] الواسطي، الكتر ص 287 .

[2] ابن جني، سر الصناعة: 52/1.

[3] التطور النحوي ص 10 ، وينظر المحتسب: 192/1 .

[4] ويمكن أن يكون هذا المثال أيضا "شاهدا" من شواهد المخالفة إذ تمت المماثلة التامة في (اضطجع) فصارت (اضّجع)، بالإدغام، فيكون اللام في (الطجع) مخالفة لتجاور مثلين، واللام من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين، وكل الذي حصل في الصيغة الأخيرة هو إرجاع صيغة ما قبل الإدغام.

[5] التطور النحوي ص 10.

[6] سورة هود من الآية 114 .

[7] سورة النحل من الآية 32 .

[8] مناهج البحث في اللغة ص 122 و 123 .

[9] النشر: 171/10، وأنظر أيضا: 161/1 .

[10] نفسه : 170/1 .

هذا ويعتمد د. تمام حسان في رأيه على بعض اللهجات العامية المعاصرة و هي لهجة الصعيد، و قد وصف هذه الطاء و ذكر كيفية نطقها في كلام طويل نسبيا لا يتسع المقام لذكره. غير أننا نرجح معه أن يكون ذلك الوصف هو ما ذكره القواء و أخطأوا في تطبيقه حين الدراسة.

و على هذا فالطاء القديمة مهموسة و ليست مجهورة، فتماثل عندئذ التاء المهموسة، و لا فرق بينهما و الحالة هذه إلا في الإطباق الذي في الطاء.

5-أما ما انفرد به ابن شنبوذ [1] من إدغام التاء في الثاء في قوله تعالى : * و إذا رأيت ثم رأيت * [2] فمع أنه مخالف لمذهب القراء في الإدغام الكبير لوجود مانع و هو تاء الضمير، و لكن له ما يبرره من الناحية الصوتية. و كل ما في الأمر أن التاء انتقلت بمخرجها من الأصوات اللثوية الأسنانية إلى مخرج الأصوات الأسنانية، مع السماح عند النطق بها من مرور الهواء لتصبح رخوة كالثاء، فيتماثل الصوتان مخرجاً و همساً و رخاوة فيتم الإدغام.

- الثاء.

تدغم الثاء إدغاماً صغيراً في الأصوات الآتية:

1- الذال في موضع واحد و هو قوله تعالى : * يَلْهَث ذَلِكَ * [3]. و هنا أدغم الجمهور إلا نافعاً و ابن كثير و أبا جعفر و عاصماً و هشاماً على إختلاف عنهم فيه [4].

و الإدغام هنا يكون بجهر الثاء لتصير ذالاً - لأنها نظيرها المجهور - و بذلك يتماثل الصوتان فيتم الإدغام.

2- التاء في مثل قوله تعالى : * أورِثْتُمُوها*[5] و في قوله تعالى أيضا *كَمْ لَبِثْتُمْ * [6].

وقد نقل الإدغام هنا عن أبي عمرو و ابن عامر وحمزة و الكسائي و أبي جعفر و هشام و قرأ الباقون بالإظهار [7].

و ما حدث هنا هو نفس ما حدث في إدغام التاء في الثاء- كما هو واضح - حيث انتقلت التاء بمخرجها و صارت رخوة فتمت المماثلة بين الصوتين.

و تدغم الثاء إدغاماً كبيراً في الأصوات الآتية.

1-السين في قوله تعالى : * حَيْثُ سَكَنْتُمْ * [8] و قوله تعالى : *الحديثُ سنسْتَدْرِجُهُم * [1] و قوله * عن الأجدَاثِ سِراعاً* [2]. و هنا انتقلت التاء بمخرجها قليلا إلى

---

[1] النشر: 226/1.

[2] سورة الإنسان من الآية 20.

[3] سورة الأعراف من الآية 176.

[4] النشر : 11/2.

[5] سورة الإعراف و الزخرف من اللآيتين 43.

[6] سورة الكهف من الآية 19.

[7] النشر : 14/2 ، وسبط الخباط، الاختيار 175 .

[8] سورة الطلاق من الآية 6.

الوراء فصادف مخرج الأصوات الأسلية و هي أصوات الصفير، فاتحدث مع السين في صفتي الهمس و الرخاوة و بذلك تم الإدغام.

2-الشين /: في مثل قوله تعالى : * حَيْثُ شِئْتُم * [3] و قوله *ثَلاثُ شُعَبٍ * [4]

إن ما يفسر هذا الإدغام هو انتقال مخرج الثاء إلى وسط الحنك، فماثلت الشين في همسها و رخاوتها و بذلك تم الإدغام .

3-الضاد /: في مثل قوله تعالى : * حَدِيثُ ضَيْفِ*[5] و هو المثال الوحيد في القرآن لهذا الإدغام. و هنا يرى د. ابراهيم أنيس أنه لابد من عمليتين : جهر الثاء لتصبح ذالا لأن الضاد صوت مجهور، و لا بد أيضا من انحباس النفس معها لتصبح صوتا شديدا انفجاريا، مع انتقال في المخرج لتقرب من الضاد فيتم الإدغام[6].

- الجيم /:

تدغم الجيم إدغاما كبيراً في صوتين:

1-الشين /: في قوله تعالى * أخرج شطأه * [7]. وهنا يتحتم أن يذهب من الجيم جهره، ثم تزداد رخاوته فشواً كفشو الشين، و بذلك يماثل الشين في المخرج و الهمس و الرخاوة فيتم الإدغام.

2-التاء/: مثل قوله * ذِي المَعَارِجِ تَعْرُجُ * [8] . و هنا أيضا- تفقد الجيم جهرها لتصبح مهموسة لتماثل التاء في الهمس، ثم ينتقل مخرجها نحو الثنايا مع انحباس النفس انحباساً كاملاً، لتكتسب صفة الشدة فتماثل التاء، و هكذا يتم الإدغام . [9]

-الدال /:

تدغم الدال إدغاماً صغيراً في الأصوات الآتية:

1-الذال /: في مثل قوله تعالى * و لقد ذرأنا *[10]. و هنا ينتقل الدال بمخرجه إلى مخرج الأصوات الأسنانية، ثم يسمح للهواء بالمرور في حالة النطق بها لتصير رخوة كالذال، و هكذا يتم الإدغام.

2-الظاء: في مثل قوله تعالى : * فقد ظَلَمَ *[11]. و هنا تدغم الدال في الظاء كما أدغمت في الذال، إذا لا فرق بين الذال و الطاء إلا في الإطباق الذي في الأخيرة.

---

[1] سورة القلم من الآية 44.

[2] سورة المعراج من الآية 43.

[3] سورة الأعراف من الآية 161.

[4] سورة المرسلات من الآية 30.

[5] سورة الذاريات من الآية 24.

[6] الأصوات اللغوية ص 195.

[7] سورة الفتح من الآية 29.

[8] سورة المعارج من الآيتين 3 و 4.

[9] الأصوات اللغوية ص 196.

[10] سورة الأعراف من الآية 179.

[11] سورة البقرة من الآية 231.

3-الضاد: في مثل قوله تعالى: * قد ضلّوا *[1]. و لتبرير هذا الإدغام نرى أنه يتعين على الدال فقد صفة الشدة فيه، ليصير رخواً. كالضاد القديمة، ثم ينتقل الدال بمخرجه إلى مخرج الأصوات الغارية، لأن الضاد القديمة من حيزها [2] أو بعبارة أخرى ينتقل الدال بمخرجه إلى شجر الفم أو وسط الحنك، و هناك يدغم في الضاد الجانبية، لأن مخرجها كما ذكرنا من أول حافة اللسان و مايليها من الأضراس. و ما يدعم هذا أيضا، أن الضّاد حرف مستطيل، و هي صفة قوة فيه، تجعل من غيره يدغم فيه، حسب قانون الجهد الأقوى.

و أما على افتراض نطق المحدثين، فلا فرق بين الدال و الضاد إلا في الإطباق.

4-الجيم /: في مثل قوله تعالى : * لقدْ جَاءكم رسول* [3] . هنا ينتقل مخرج الدال إلى وسط الحنك مع ضرورة أن تقل شدتها -كالمثال السابق- بالسماح بمرور الهواء قليلاً، و هكذا يتم الإدغام.

5-الشين/: مثل قوله تعالى : *قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً * [4]. و هنا تنتقل الدال بمخرجها. -كالمثال السابق - إلى وسط الحنك حيث مخرج الشين، مع مراعاة همسها لأن الشين مهموسة.

6-السين/: مثل قوله تعالى :* قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ * [5]. و هنا أيضا لابد من همس الدال و السماح للهواء معها بالمرور لتصبح رخوة، و بهذا تماثل السين في الهمس و الرخاوة فيتم الإدغام.

7- الزاي / : مثل قوله تعالى "ولقد زَيَّنا"[6]، و هنا ليتم الإدغام لا بد من السماح للهواء بالمرور مع الدال لتصبح رخوة، وهكذا تماثل الزاي في المخرج والرخاوة والجهر.

8-الصاد / : في مثل قوله تعالى "ولقد صرفنا للناس"[7]. الإدغام هنا يشبه نظيره الذي في السين، لأن الصاد أخت السين، ولا فرق بين الصاد والسين إلا في الإطباق.

9-الثاء/: مثل قوله تعالى : * و من يرد ثواب الدنيا * [8]. و هنا لابد من همس الدال، و الانتقال بمخرجها إلى الأصوات الأسنانية مع مراعات رخاوتها لتماثل الثاء.

وقد قرأ بالإدغام هنا أبو عمرو و ابن عامر و حمزة و الكسائي و خلف، و أظهر الباقون [9] .

---

[1] سورة النساء من الآية 167.

[2] الخليل ، كتاب العين :64/1.

[3] سورة التوبة من الآية 128.

[4] سورة يوسف من الآية 30.

[5] سورة المائدة من الآية 102.

[6] سورة الملك من الآية 5.

[7] سورة الإسراء من الآية 89.

[8] سورة آل عمران من الآية 145.

[9] النشر : 11/2.

- **الذال /:**

يدغم إدغاما صغيرا في الأصوات الآتية:

1-التاء/: في مثل قوله تعالى : ***فنبذتها*** [1]، و قوله أيضا ***عُذت بربـــي*** [2]. يتـم الإدغام هنا بانتقال مخرج الذال إلى الوراء، ثم ينطق بها مهموسة شديدة.

و يعزى الإدغام هنا لأبي عمرو و حمزة و الكسائي و خلف [3].

و ذكر [4] ابن الجزري أن الذال تدعم في الثاء إذا وقع قبل الذال خاء، أو ما كان مـن باب الأخذ [5]، و هو مختلف في إدغامه. مثل * اتخدتم العجل* [البقرة /92]، * و أخذتم على ذلك إصري * [آل عمران/81]، *لا تخذت عليه أجراً * [الكـهف /77]. *أخذت الذين* [هود /94].

2-الدال / : في قوله تعالى : *وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ * [6]. هنا تحتفظ الذال بجـهرها، و ينتقل مخرجها إلى الوراء، فتدغم في الدال.

3-الجيم/: مثل قوله تعالى * إِذَا جَاء رَبَّه بقلب سليم * [7]. ينتقل مخرج الـذال إلـى وسط الحنك حيث مخرج الجيم، و كل من الذال و الجيم مجهور، و إن كانت الجيـم أكثر شدة من الذال.

4-السين /: مثل قوله تعالى * لوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوه * [8]. و هنا تسقط صفة الهمس مـن الذال أولاً، ثم ينتقل مخرجها عائداً إلى الوراء، و عندئذ تشبه و تماثل السين همسـاً و رخاوة.

5-الزاي : مثل قوله تعالى* وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانْ أَعْمَالَهُمْ * [9]. و هنـا الإدغـام كنظيره في المثال السابق، مع احتفاظ الذال بصفة الجهر فيها.

6-الصَّاد : مثل قوله تعالى : * وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ* [10]. و الإدغام هنا واضح فهو كالإدغام في السين، و لا فرق بين السين و الصاد إلا في الإطباق.

هذا و إدغام الذال في أصوات الصفير له ما يبرره - زيادة على ما سـبق - و هو صفة الصفير فيها، و هي صفة قوة – كما ذكرنا في غير موضع من الفصـل السابق - تجعل غيرها يدغم فيها، و لا تدغم هـي فيـه ، لأن المذهـب "أن تدغـم الأضعف في الأقوى" [11].

---

[1] سورة طه من الآية 96.

[2] سورة غافر و الدخان [27-20] .

[3] النشر : 13/2 ، و تحبير التيسير لابن الجزري ص 215.

[4] النشر : 13/2 .

[5] الواسطي ، الكنز ص 42.

[6] سورة الكهف من الآية 39.

[7] سورة الصافات من الآية 84.

[8] سورة النور من الآية 12.

[9] سورة الأنفال من الآية 48.

[10] سورة الاحقاف من الآية 29.

[11] ابن جني ، المنصف : 328/2.

-الراء /:

تدغم الراء إدغاما صغيرا في اللام فقط حسب ما روته كتب القراءات، في مثل قوله تعالى : * و اصطبر لعبادته *[1] و قوله *يغفر لكم *[2]. و قوله * و اصبر لحكم ربك* [3]. و ما يبرر هذا الإدغام أن الراء قريبة من اللام في المخرج و كل منهما صوت مائع أو متوسط بين الشدة و الرخاوة. و مع أن للراء فضيلة التكرير التي هي -أيضا- صفة قوة فيها، و قد ذكرنا ما يكون من شأن مثل هذه الأصوات مع غيرها، فإن إدغامها في اللام أمر أيدته الدراسات الحديثة [4]. غير أن ما يتطلبه هذا الإدغام هو ترك التكرير الذي في الراء.

و قد نقل إدغام الراء في اللام عن أبي عمرو على خلاف بين رواييه. و قال ابن الجزري "إذا أدغم (أي أبو عمرو) الراء المتحركة في اللام فإدغامها ساكنة أولى" .

- السين /:

تدغم السين إدغاماً كبيراً في صوتين هما الزاي والشين :

1- الزاي /: مثل قوله تعالى "وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ" [5] ، وهذا الموضع الوحيد في القرآن، والإدغام هنا بيّن، إذ إن السين هي النظير المهموس للزاي.

2- الشين /: مثل قوله جل وعلا "واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً" [6]. وهنا ينتقل مخرج السين إلى وسط الحنك فتتماثل الشين والسين همساً ورخاوة فيحدث الإدغام.

وقد اختلف في هذا الإدغام ونقل ابن الجزري عن ابن مجاهد قوله : إن شئت أدغمتها وإن شئت تركتها [7].

- الفاء /:

تدغم الفاء في صوت واحد هو الباء في موضع واحد هو قوله تعالى "إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمْ" [8]. ولتبرير هذا الإدغام يقول د. أنيس "يمكن أن يقال إن الفاء جهر بها أولاً، فأصبحت ذلك الصوت الشائع في اللغات الأوروبية والذي يرمز إليه بالرمز [v]، ومثل هذا الصوت إذا ذهبت رخاوة بانحباس الهواء معه ليصبح انفجارياً، أشبه الباء كل الشبه وبهذا يمكن الإدغام" [9].

وقد انفرد الكسائي بهذا الإدغام وأظهر الباقون [10].

---

[1] سورة مريم من الآية 65 .

[2] سورة آل عمران من الآية 31 .

[3] سورة الطور من الآية 48 .

[4] الأصوات اللغوية ص 300 .

[5] سورة التكوير : 7 .

[6] سورة مريم من الآية 5 .

[7] النشر : 230/1 .

[8] سورة سبأ : 9 .

[9] الأصوات اللغوية ص 201 .

[10] ابن الجزري، تحبير التيسير ص 615 ، و الكنز ص 43.

- **القاف /:**

تدغم القاف إدغاماً كبيراً في صوت واحد هو الكاف. وإذا افترضنا أن القاف هنا هي القاف القديمة -ونحن نميل إلى تصور هذا الإدغام بهذا الافتراض - فإنه لابد من وقفة قصيرة:

إن القاف كما وصفها القدماء صوت مجهور شديد، في حين أنه عند المحدثين - وكما يقرأ به مجيد والقراءات في مصر – شديد مهموس. وإذا استقرأنا مجمل اللهجات العربية الحديثة في السودان وجنوب العراق [1] وغيرها، يتبين أن وصف القدماء لصوت القاف يكاد ينطبق على صوت القاف في هذه اللهجات، مما يجعل المرء يعتقد مع كاتينيو و د. أنيس - على سبيل الاحتمال والترجيح- بأن القاف كان بالفعل حرفاً مجهوراً في العربية القديمة [2].

والذي أراه أنه بمثل هذا التصور يجب التعامل مع سائر ما نختلف في وصفه مع القدماء من الأصوات.

وعليه فإن تبرير الإدغام في مثل قوله تعالى "يُنْفَقُ كل" [3]، يكون بانتقال مخرج القاف من اللّهاة متقدما إلى الأمام قربها، حيث مخرج الكاف، ثم تفقد القاف جهرها لتماثل الكاف في الهمس والشدة والمخرج، فيتم الإدغام.

أما على افتراض أن القاف هي القاف الحديثة المهموسة الشديدة فالإدغام هنا واضح لتماثل القاف والكاف في الهمس والشدة، مع انتقال أمامي لمخرج القاف -كما ذكرنا -وعندئذ يتماثل الصوتان كل المماثلة.

وقد نبه القراء على عدم جواز إدغام القاف في الكاف إذا سكن ما قبلها [4] نحو قوله تعالى : * وَفَوْقَ كُل ذِي * [5]. و أيضا إذا كان القاف عند الكاف في كلمة فلا تدغم إلا أن تكون بعد الكاف ميم جمع، نحو (خلقكم)، فإن لم يكن بعدها ميم جمع أظهرت نحو (خلقك) [6].

هذا و إدغام القاف في الكاف إذا سبقتها حركة له ما يبرره صوتيا، و هو أن الانتقال إلى الحرف المدغم يحتاج إلى إعتماد سابق، و لا يمكن أن يكون هذا المعتمد سكونا، لضعفه.

أما عدم جواز إدغام القاف في الكاف في كلمة واحدة إذا لم تلي الكاف ميم، فالذي يبدو أنه دفع للالتباس لا غير.

- **الكاف /:**

تدغم الكاف إدغاما كبيرا في واحد هو القاف في مثل قوله تعالى : * نُقَدِّس لَكَ قَالَ * [7]. و يتطلب هذا الإدغام أن تعود الكاف بمخرجها إلى الوراء حيث اللهاة و مخرج القاف، و تكتسب – أيضا - قدرا من الجهر لتماثل القاف، و هكذا يتم الإدغام.

---

[1] الأصوات اللغوية ص 85 و 86 .

[2] دروس في علم أصوات العربية ص 107 .

[3] سورة المائدة من الآية 64 .

[4] النشر : 230/1.

[5] سورة يوسف من الآية 76 .

[6] ابن الجزري، شرح طيبة النشر ص 60 .

[7] سورة البقرة من الآية 30 .

و ما قيل عن القاف في عدم جواز إدغامها إذا سبقت بسكون يقال عن الكلف أيضا في هذا الموضع.

- **اللام /:** في "هل" و "بل".

روت لنا كتب القراءات أن اللام في هل و بل تدغم في ثمانية أصوات هي: التاء، الثاء، الزاي، السين، الضاد، الطاء، الظاء، و النون.

و ذكرت أن خمسة منها تختص بـ : "بل" و هي : الزاي و السين و الضاد و الطاء و الظاء. و واحد يختص بـ : "هل" و هو الثاء. و صوتان يشتركان فيهما و هما : التاء و النون.

و أمثلتها في القرآن الكريم هي :

1- التاء في مثل قوله تعالى : * هَلْ تَنْقِمُونَ * .[1]

2- الثاء في مثل قوله *هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ * .[2]

3- الزاي في مثل قوله * بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ * .[3]

4- السين في مثل قوله * بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ * .[4]

5- الضاد في مثل قوله * بَل ضَلُّوا * .[5]

6- الطاء في مثل قوله * بَلْ طَبَعَ * .[6]

7- الظاء في مثل قوله * بَلْ ظَنَنْتُمْ * .[7]

8- النون في مثل قوله * بَلْ نَتَّبِعُ * .[8]

يضاف إلى تلك الأمثلة مثالان للراء و الذال و هما على التوالي:

9- *قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ * .[9]

10- *وَ مِنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ * .[10]

و قد أدغم الكسائي اللام في الأصوات الثمانية الأولى ، و اختلف فيها الآخرون [11].

تدغم لام التعريف في أربعة عشر حرفا : التاء و الثاء و الدال و الذال و الراء و الزاي و السين و الشين و الصاد و الضاد و الطاء و الظاء و اللام و النون. (ينظر النشر : 175/1).

[1] سورة المائدة من الآية 59 .

[2] سورة المطففين من الآية 36..

[3] سورة الرعد من الآية 33.

[4] سورة يوسف من الآية 18.

[5] سورة الاحقاف من الآية 28.

[6] سورة النساء من الآية 155.

[7] سورة الفتح من الآية 12.

[8] سورة البقرة من الآية 170.

[9] سورة هود من الآية 81.

[10] سورة آل عمران من الآية 28.

[11] النشر : 7/2 و الكنز ص 46.

و بالنظر إلى ما ذكره المحدثون عن الأصوات الثمانية الأكثر شيوعا في اللغة، بأنها تكون أكثر الأصوات عرضة للتطور . فقد ورد أن نسبة شيوع اللام في العربية يناهز حوالي 127 مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة . يضاف إلى أنه من الأصوات المائعة الشبيهة بأصوات اللين، و هذا أيضا عامل آخر يجعله عرضة للتطور[1] .

قلت، بالنظر إلى كل تلك العوامل يمكن تبرير إدغام اللام في غيرها من الأصوات خصوصا منها التي تنتمي إلى المجموعة الكبرى المتقاربة المخارج.

و بعد ... هذه بعض الأمثلة القرآنية التي تشهد على ما أطلق عليه القراء بالإدغام الجائز؛ كبيره و صغيره، كبيره المنسوب لأبي عمر بن العلاء و صغيره الشائع بينهم . و قد أغفل هذا العرض ذكر إدغام المثلين لشيوعه أولا، ثم لأنه لا يخدم الهدف العام من البحث و هو الوقوف على مواطن التأثر بين الأصوات و تفسيرها في ضوء قوانين التطور اللغوي، و لا شك أن التأثر بين الأصوات المتجانسة و المتقاربة أوضح منه في غيرها.

بقي الآن بعد هذا، الإشارة إلى أن كتب القراءات خلت من ذكر إدغام حروف الحلق في مقاربها و مجانسها إلا مثالا واحداً [2] سنذكره . كما لم تذكر أيضا إدغام حروف الإطباق في غيرها. إلا مثالاً واحدا [3] أيضا.

فالمثال الأول هو قوله تعالى : * فمن زُحْزِحَ عَنِ النَّار * [4]. فمع أن هذا الإدغام له ما يبرره لأن العين هي نظير الحاء المجهور. و لكن قلة أمثلة إدغام حروف الحلق في مقاربها و مجانسها، تجعل المرء يتذكر ما تنبه إليه سيبويه من صعوبة تآلف أصوات الحلق حين تعرض لإدغام العين في الهاء قال: "العين مع الهاء كقولك (اقطع هلالا)، البيان أحسن، فإن أدغمت لقرب المخرجين حولت الهاء حاءً والعين حاءً ثم أدغمت الحاء في الحاء، لأن الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله[5]... ومما قالت العرب تصديقاً لهذا الإدغام قول بني تميم (مَحُّم)، يريدون (معهم)..."[6].

ويظهر أن القراء لا يرون إدغام الحاء في العين، وإن رُوي ذلك عن بعضهم فليس على سبيل القياس بل هو مقصور على السماع كما نص على ذلك أبو عمرو؛ قال ابن الجزري "والإظهار هو الأصح و عليه العمل، و يقويه ويعضده الإجماع على إظهار الحاء الساكنة التي إدغامها آكد من المتحركة في قوله *فَاصْفَحْ عَنْهُمْ*[7] فدل على أن إدغام الحاء في العين ليس بقياس بل مقصود على السماع" [8].

---

[1] ينظر الأصوات اللغوية ص 202 و ما بعدها.

[2] النشر : 228/1.

[3] النشر : 230/1.

[4] سورة آل عمران الآية 185.

[5] يقصد الهاء لأن مخرجها من الحنجرة فهي أبعد من الحاء بالنسبة للفم.

[6] الكتاب : 449/4-450 ، وقد عد السيرافي إدغام حروف الحلق في بعضها إدغاماً فاحشاً (ينظر ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص61).

[7] سورة الزخرف من الآية 89.

[8] النشر : 228/1.

هذا ويُعلق ابن الجزري على الإدغام في قوله تعالى *فمن زُحْزِحَ عَنِ النَّار* مبينا علته، و أنه لم يكن إلا : "لطول الكلمة و تكرار الحاء".[1]

أما المثال الوحيد الآخر الذي أباح فيه القراء إدغام حروف الإطباق في غيرها هو قوله تعالى : *لبَعْضِ شَأنِهِمْ* [2]". ومن الصعب جداً تبرير هذا الإدغام لأننا نفتقد النطق الأصلي للضاد، و روته كتب النحو والقراءة من وصف لهذا الصوت لا يجعلنا نستطيع تصور الإدغام وفق ذلك الوصف، ولتوضيح هذا الكلام نقول : إن النطق القديم للضاد - كما تصفه تلك الكتب- هو صوت رخو ينطق انطلاقا من الأسنان واللثة. ومع أن الشين رخوة مثلها- وقد عدهما الخليل من حيز واحد -إلا أن صعوبة تبرير إدغامها تبقى قائمة، على الرغم من ترجيح انتقال مخرجها إلى مخرج الشين.

2) ظاهرة قلب الصاد سيناً أو زايا:

عرفنا في السابق أن ظاهرة قلب الصاد سيناً ظاهرة عرفت بها قبيلة بلعنبر وهي قوم من تميم، كما ذكرنا أن قبيلة كلب يقلبون السين زايا خاصة مع القاف وأصوات الاستعلاء بعامة.

وقد تعرض علماء القراءات لهذه الظاهرة في القرآن الكريم، وحاولوا تفسيرها. قال ابن خالوية معلّلاً قراءة "الصراط" بالصاد والسين وإشمام الزاي: "فالحجة لمن قرأ بالسين أنه جاء به على أصل الكلمة، والحجة لمن قرأ بالصاد أنه أبدلها من السين لتؤاخي السين في الهمس والصفير، وتؤاخي الطاء في الإطباق لأن السين مهموسة والطاء مجهورة، والحجة لمن أشم الزاي : أنها تؤاخي السين في الصفير وتؤاخي الطاء في الجهر"[3].

ونذكر الآن أمثلة عن تلك الظاهرة مع وجه القراءة فيها.

1- قرأ جمهور القراء "اهدنا الصراط" بالصاد، وقرأ ابن كثير في رواية (السراط) بالسين[4].

2- اختلفوا في السين والصاد من (يبسط وبسطة والمسيطرون ومسيطر)، فقرأ ابن كثير بالسين في كل ذلك، وقرأ نافع بالصاد واختلف عن الباقين[5].

3- قرأ يحي ابن عمارة "وأصبغ عليكم نعمته"[6].

---

[1] النشر : 228/1.

[2] سورة النور من الآية 62.

[3] ابن خالوية، الحجة في القراءات السبع ص 62 ، و ينظر إعراب ثلاثين سورة ص 44.

[4] النشر: 213/1، والكنز ص 123، و إملاء ما من به الرحمن ص 13.

[5] أبو عبد الله الرعيني الأندلسي، الكافي في القراءات السبع ص 209.

[6] الزمخشري، الكشاف : 498/3-499 ط دار الكتاب العربي.

4- قرأ حمزة "اهدنا الصراط" بإشمام الصاد الزاي، ورواها الأصمعي عن أبي عمرو بالزاي[1].

وقد أشرنا في غير ما موضع إلى أن التأثر بين الأصوات قد يكون بالجهر أو بالهمس أو بالإطباق. كما تقدم الحديث في تفسير هذه الظاهرة[2]، وما يهمنا هنا هو أن نعرف بأن تعدد صور نطق الصاد سواء بقلبها سينا أو إشمامها زاياً بين القراء، يعد دليلاً على تأثير البيئة في القارئ. كما أنه يمكن في ضوء قانون الجهر والهمس تفسير هذه الظاهرة وإخضاعها لسنن التطور اللغوي، مع ما قد يبدو من أنها تعود بالأساس إلى اختلاف لهجات العرب.

3: الإتبـــاع :

ليس من شك في أن الإتباع باعتباره تأثراً بين الحركات بعضها وبعض، يمثل صورة من صور الانسجام الحركي أو الأصواتي في العربية، وبذلك يعد نوعاً من أنواع المماثلة في مستوى الحركات.

والآن نستعرض بعض الأمثلة كما وردت في كتب القراءات.

1- روى ابن جني أن أبا السمّال قرأ "قُمُ اللّيل"[3]، و حكى قطرب من قراءة بعضهم "قُمَ اللّيلَ" و "قُلَ الحقّ"[4].

قال ابن جني[5] "من ضم أو كسر أتبع ومن فتح فجنوحاً إلى خفّة الفتح".

2- اختلفوا في قوله تعالى "أنْ اقتُلوا أنْفُسَكُم أو اخرُجُوا"[6] في كسر النون والواو وضمها، فقرأ أبو عمرو في رواية (أن اقتلوا) بكسر النون (أوُ اخرجوا) بالضمّ فيها، وقرأ ابن عامر وابن كثير ونافع والكسائي (أنُ اقتلوا) (أو اخرجُوا) بالضمّ فيهما، وقرأ عاصم وحمزة (أن اقتلوا) (أو اخرجوا) بالكسر فيهما.

3- قرأ أهل البادية "الحمدُ لله" مضمومة الدال واللام، وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة، ورويت عن زيد بن علي والحسن البصري (الحمدِ لله) بالكسر في الدال واللام[7].

4- وقرأ يزيد بن قطيب "والمُحصنات" بضم الصاد إتباعا لضمة الميم[8].

5- وقرأ أبو جعفر سليمان بن مهران "وَإذْ قُلنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا"[9] بضم التاء إتباعا لحركة الجيم[10].

---

[1] الواسطي، الكتر ص 124 ، والنشر : 213/1.

[2] ينظر الصفحة 116 من الفصل الأول.

[3] سورة المزمل : 2.

[4] سورة الكهف : 29.

[5] المحتسب: 396/1

[6] سورة النساء : 66 .

[7] المحتسب : 110/1 وما بعدها، وينظر الأخفش الأوسط، معاني القرآن : 156/1.

[8] الشوكاني ، فتح القدير : ١/ ٢٦٩ .

[9] سورة الإسراء : ٦١ ، البقرة : ٣٤.

[10] الزمخشري ، الكشاف : ١/ ١٢٦ .ط دار الكتاب العربي .

6- قرأ الكسائي وحمزة "فلاِمِّهِ السدس"[1] بمسر الهمزة إتباعاً لكسرة الميم"[2]

إن هذه الأمثلة - على قلتها- تبين لنا بوضوح وقوع هذه الظاهرة في القرآن الكريم، واختلاف الرواية في المثال الواحد يدل على إيمان القراء بهذا التأثير بين الحركات بوصفها انسجاماً بين الصوائت، يهدف إلى السهولة واليسر في عملية النطق.

4) المخالفة :

المخالفة هي نزوع صوتين متماثلين يصعب النطق بها أو يستثقل إلى التخالف، بحيث يقلب أحدهما إلى صوت آخر غالبا ما يكون صوت لين طويل أو أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين.

وقد ورد في الأمثلة القرآنية ما يدل على وقوعها في القرآن الكريم نذكر بعضها :

1- قرأ عكرمة "إيلاً ولا ذمة"[3] بياء بعد الكسرة خفيفة اللام، والأصل (إلاً).

و الإلّ : هو الله سبحانه، وهو القرابة والعهد[4] :

2- اختلفوا في تشديد النون وتخفيفها من قوله عزّ وجل "فذانك"[5]، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو (فذانّك) مشدّدة النون، وروى عن ابن كثير (فذانيك) خفيفة النون[6].

3- اختلفوا في "تأمروني"[7] فقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر (تأمرونني) بنون خفيفة، وقرأ الباقون بالتشديد، وقرأ ابن عامر في رواية (تأمروننني) بنونين خفيفتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة[8].

4- ومن الشواذّ قرأ أبيّ وعيسى "الذي يخرج الخبَ"[9] بنقل حركة الهمزة إلى البدء وحذف الهمزة[10].

5- اختلفوا في تشديد النون وتخفيفها من قوله تعالى "أتُحَاجُونَنِي فِي اللهِ"[11] فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي بتشديد النون، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بتخفيفها[12].

---

[1] سورة النساء من الآية 11.

[2] ابن خالوية، الحجة في القراءات السبع ص 120، وينظر الكشاف: 501/1 ، ط دار الكتاب العربي، ومعاني القرآن للكسائي، بناء وتقديم د. عيسى شحاته عيسى ص 54-55.

[3] المحتسب : 399/1 ، والآية رقم (8) من سورة التوبة، وينظر الزمخشري الكشاق: 176/2، ط دار الفكر.

[4] الرازي، مختار الصحاح ص 17.

[5] سورة القصص من الآية 32.

[6] ابن خالوية، الحجة في القراءات السبع ص 277، و ينظر الزمخشري، الكشاف : 409/2 ، ط دار الكتاب العربي.

[7] سورة الزمر من الآية 64.

[8] النشر : 272/2، وينظر الخصائص: 398/1.

[9] سورة النمل، من الآية 25،. والخبء: هو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه الله تعالى من غيوبه". (ينظر الفيرو زآبادي، القاموس المحيط: 218/4، والكشاف: 362/3 ط دار الكتاب).

[10] النشر : 367/1، وينظر الزمخشري، الكشاف: 362/3، ط. دار الكتاب العربي.

[11] سورة الأنعام من الآية 80.

[12] النشر : 195/2.

أما المثال الأول فقال [1] -بشأنه- ابن جنيّ "طريق الصنعة فيه أن يكون أراد "إلاّ" كقراءة الجماعة، إلا أنه أبدل اللام الأولى ياء لثقل الإدغام".

وأما المثال الثاني فقد ذكر ابن خالوية بأن حجة من شدّ "أنه جعل التشديد عوضاً من الياء المحذوفة في"الذي"[2]، فدل على أن الياء في (فذانيك) بدل من النون مخالفة للمماثلين. على أنه ذكر أن للعرب مذهباً آخر وهو أن "من شدّد النون جعله تثنية : (ذلك) وتقديره : (ذان لك) فقلب من اللام نوناً وأدغم"[3].

وأما المثال الثالث فهو مما يحذف فيه أحد المثلين تخفيفاً، وقد عرف عند اللغويين المحدثين بحذف توالي الأمثال. ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى (نُنَجّي المُؤْمنين)[4]، وقد اختلف القراء فيه فقرأابن عامر وأبو بكر [ابن مجاهد] "نُجّي" بنون واحدة وتشديد الجيم، على معنى "ننجي"، ثم حذفت إحدى النونين تخفيفاً[5].

ومنه ما جاء عن ابن كثير وغيره قراءة "ونُزّل المَلائكة تَنْزيلاً"[6] على حذف النون الذي هو فاء الفعل من (ننزل)[7].

وأما المثال الخامس فهو أيضاً حذف لتوالى المثلين وهما نون الرفع ونون الوقاية، ولا يهمنا في هذا المقام مناقشة أي النونين حذفت فقد عرضنا لذلك في فصل سابق[8]، إنما الذي يعنينا هنا أن القراء الذين قرأوا بتخفيف النون (أي بالحذف)، يشهدون على حذف أحد المتماثلين تخفيفا، ويشهد لذلك أيضاً قراءة نافع لقوله تعالى "قِيمَ تُبَشِّرُون"[9] بالتخفيف وقرأ ابن كثير بتشديد النون[10].

- ومن ذلك التصدية قال[11] ابن قتيبة : "قوله تعالى : "وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء و تصدية "[12]، قال أبو عبيدة "المكاء الصفير، والتصدية التصفيق ورفع الأصوات، وأصله من صددت أصدّ ومنه قوله تعالى "إذَا قَوْمُك مِنْهُ يَصُدُّونَ"[13] أي يضجون ويعجون، فجعل إحدى الدالين ياء".
- ونقل ابن قتيبة عن أبي عبيدة أيضاً قوله : "دسّاها"[14] من دسست، و (تمطى)[15]

---

[1] المحتسب: 400/1.

[2] الحجة في القراءات السبع ص121.

[3] نفسه ص 121.

[4] سورة الأنبياء من الآية 88.

[5] النشر : 243/2 .

[6] سورة الفرقان من الآية 21.

[7] النشر: 250/2 ، وينظر :243/2.

[8] يراجع الصفحة 27 من المدخل وما بعدها.

[9] سورة الحجر من الآية 54.

[10] النشر : 226/2 ، ويراجع في موضوع الحذف د. تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها ص 298.

[11] أدب الكاتب ص 276.

[12] سورة الأنفال من الآية 35.

[13] سورة الزخرف من الآية 57.

[14] من قوله تعالى "قد خاب من دساها" سورة الشمس : 10.

[15] من قوله تعالى "ثم ذهب إلى أهله يتمطى" سورة القيامة : 33.

أصله تمطط أي مدّ يده ... أمللت الكتاب: أمليته قال عز وجل "فليملل وليه بالعدل"[1]، وقال في موضع آخر "فهي تملى عليه بكرة وأصيلا"[2][3]

وبعد ... فعله بهذه الأمثلة يتضح لنا -بجلاء- وقوع هذه الظاهرة بنوعيها؛ ما يقلب فيه أحد المتماثلين، أو ما يحذف فيه أحدهما، الأمر الذي يجعلنا نتأكد من إيمان قراء القرآن الكريم - وهم أبناء بيئاتهم- بمبدأ تطور أصوات اللغة، الذي يهدف بالأساس إلى التسيير وبذل أقل مجهود عضلي، وإن كان ذلك بتسميات أخرى.

المطلب الثاني /: بين القراء والنحاة في وصف مظاهر التأثر بين الأصوات

نحاول في هذا المطلب الوقوف على طريقة المعالجة لظاهرة التأثر بين القراء والنحاة، وهي مهمة، لأنها ستتيح لنا معرفة أوجه الشبه والإختلاف بينهم، وهل أن قوانين النظام اللغوي وسنن التطور فيه حاضرة أثناء الدراسة. أم أن هناك عوامل أخرى تحكم هذه الدراسة وتوجهها.

ولئن كانت جهود النحاة واللغويين واضحة في هذا الشأن -بإعتبار التخصص ودراسة اللغة لذاتها إن صحّ القول -، فإن جهود القراء لا تزال بحاجة إلى كشف وتوضيح، وهذا ما سنحاول الخوض فيه ما وسعتنا المادة المستقرأة.

هذا ونسجل أن البحث هنا سيتناول الإدغام بشكل أساس، لوضوح صور التأثر فيه -إذا ما قورن بغيره من صور التأثر-. مع أن الدراسة ستقتصر على المتجانس منه والمتقارب دون المتماثل، و لا يخفى ما في هذا الأخير من وضوح يغني عن التوضيح.

1) الإدغام المتجانس (أو إدغام المتجانسين) :

- **إدغام التاء في الطاء** : ذكرنا بأن القراء أدغموا التاء في الطاء في غير موضع من القرآن وكذلك النحاة، فقد ذكر سيبويه أنه "مما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد ...قولهم (يطّوّعُونَ) في (يتطوعون)...والإدغام في هذا أقوى"[4].

وروى القراء[5] ثلاثة مواضع اتفقوا على الإدغام فيها، وهي "وأقم الصلاة طرفي" [هود/114] و "وعملوا الصالحات طوبى" [الرعد/29]. و "الملائكة طيبين" [النحل/32]. واختلفوا في واحدة وهي قوله تعالى "ولتأت طائفة" [النساء/102]. غير ابن الجزري يقول[6] معقباً على هذه الحالة الأخيرة "... إلا أن الإدغام يقوى هنا من أجل التجانس وقوة الكسرة والطاء". فدل على أن التجانس عامل قوي من عوامل التأثر بين التاء والطاء. ولعل ما أراده من قوة الطاء هو إطباقها، وحينئذ يتبين لنا مدى صعوبة الانتقال من مرقق إلى مطبق، فأدغمت التاء في الطاء لوضوح الطاء في السمع.

---

[1] سورة البقرة من الآية 282.

[2] سورة الفرقان من الآية 5.

[3] أدب الكتاب ص 276، وينظر أيضاً السيوطي المزهر في علوم اللغة وأنواعها : 468/1 ، ط دار الفكر.

[4] الكتاب : 472/4.

[5] النشر : 226/1.

[6] نفسه، الصفحة نفسها.

وثمة شيء آخر ذكره ابن الجزري وهو قوة الكسرة ولعلّه يقصد بذلك أن الكسرة لما كانت حركة أمامية، وكانت أيضا حركة الحرف المُدغم -وهو من الأصوات الأمامية- قويت في إدغامه.

- إدغام التاء في الدال :

ذكر القراء[1] أن التاء تدغم في الدال في مثل قوله تعالى "أثقلت دَعَوا"[2]. وذكر سيبويه[3] أن بني تميم تقول في (وَتَدٍ) (ودٌّ) بإدغام التاء في الدال بعد إسكانها.

وقد تأثر الصوت المهموس وهو التاء بصوت المجهور وهو الدال. ولا خلاف بين القراء والنحاة في إدغامه "لأنه ليس بينهما إلا الهمس والجهر، ليس في واحد منهما إطباق ولا استطالة ولا تكرير"[4].

-إدغام الدال في التاء :

مثاله في القرآن الكريم قوله تعالى "قد تبين"[5]. وذكر سيبويه أنه كما تدغم التاء مع الدال تدغم الدال مع التاء[6].

وما قيل في المثال السابق يقال في هذا الموضع.

- إدغام الطاء في التاء :

يقول سيبويه "ومما أخلصت فيه الطاء تاءا سماعاً من العرب قولهم "حتُّهم" يريدون (حطتهم)"[7]. وهنا تجاورت الطاء المهجورة المطبقة مع التاء المهموسة المرققة.

ومع أن للطاء فضيلة الإطباق -وهي صفة قوية فيه- إلا أن بعض العرب - كما قال[8] سيبويه- آثروا إذهاب الإطباق من الطاء مع الدال والتاء وإن كان مع الدال أمثل.

أما القراء[9] فيرون أن الطاء إذا سكنت في مثل قوله تعالى "بسطت"[10] و "أحطت"[11]، وجب إدغامها إدغاما غير مستكمل؛ أي تبقى معه صفة الإطباق والاستعلاء لقوة الطاء وضعف التاء على حد تعبيرهم.

فالإطباق - إذن-، صفة قوة - كما ذكرنا- تذهب بالإدغام. ولعل تحذير القراء لجمهور المتعلمين من الإدغام التام يبرره أن الطاء من أصوات القلقلة، وما القلقلة -في حقيقتها- إلا صويت قصير ينطق مع الصوت حتى لا تذهب منه شدته فيصير رخوا. وإذا كان هذا مع أصوات (ق، ب، ج، د) أكيدا، فهو مع الطاء أوكد لصفات القوة فيها.

---

[1] النشر: 16/2.

[2] سورة الأعراف من الآية 189.

[3] الكتاب: 482/4.

[4] نفسه: 460/4.

[5] سورة البقرة من الآية 256.

[6] السابق: 460/4.

[7] نفسه ، الصفحة نفسها.

[8] نفسه ، الصفحة نفسها.

[9] النشر :174/1.

[10] سورة المائدة :64 .

[11] سورة النمل :من الآية 22.

-إدغام اللام في الراء :

إدغام اللام في الراء جاء -في الأمثلة القرآنية- في غير موضع، منها قوله تعالى "بل رّان"[1]، وقوله تعالى أيضا "قل ربّ"[2]. وقد مثّل سيبويه لهذا الإدغام بـ (اشغل رّحبة)، وسبب ذلك عنده "قرب المخرجين، ولأن فيهما انحرافًا نحو اللام قليلاً وقاربتها في طرف اللسان، وهما في الشدة وجري الصوت سواء، وليس بين مخرجيهما مخرج. والإدغام أحسن"[3].

ويكفي دليلا على إطراد إدغام اللام في الراء وفي غيرها، ما ذكرنا في عنصر إدغام اللام قريبا.

-إدغام القاف في الكاف.

أجمع القراء على إدغام القاف في الكاف في مثل قوله تعالى:"ألم نخلقكم"[4] و اختلفوا على إبقاء صفة الاستعلاء في القاف أو عدمه. غير أن ابن الجزري قال:"الإدغام الخالص أصح رواية وأوجه قياسًا"[5]، ونبه على أن مذهب أبي عمرو هو الإدغام المحض سواء تحرك القاف أو سكن.

أما سبويه فوصف الإدغام في قولهم "إلحق كلده"، بأنه "حسن ... وإنما أدغمت لقرب المخرجين ، وأنهما من حروف اللسان ، وهما متفقان في الشدة"[6].

فلا خلاف -إذن- بين القراء والنحاة في جواز إدغام القاف في الكاف، إلا أن بعض القراء شددوا على المحافظة على استعلاء القاف، وقد يدعم مذهبهم أيضًا القلقة التي في القاف محافظة على جهرها. و التأثر بين الأصوات قد يلغي خصوصيات الأصوات القوية.

-إدغام الكاف في القاف.

ذكرنا – في مناسبة سابقة - ما يشهد لإدغام الكاف في القاف في الأمثلة القرآنية وهو قوله تعالى:"نقدس لك قال"[7]. وقال سيبويه معلقا على الإدغام في قولهم (انهقطنا) والأصل : انهك قطنا "...الإدغام حسن". فدل ذلك على جواز الإدغام هنا كسابقه.

وبعد... فهذه نماذج من إدغام الأصوات المتجانسة بعضها وبعض، وهي تدل على وقوع التأثر حتى في مستوى المخرج؛ لأن غاية الإدغام هي تقريب صوت من صوت كما قال ابن جني، ولا شك أن التأثر بين الأصوات والتقريب بينها في الأصوات المتقاربة أحسن منه وأوضح في المتجانسة أو المتماثلة قال سيبويه "وهو (أي الإدغام) في المختلفة المخارج أحسن لأنها أشد تباعدًا"[8].

على أن مذهب القراء في الأصوات المتجانسة -كما المتماثلة-، أنه إذا التقى صوتان أولهما ساكن فإدغامهما واجب لغة وقراءة ما لم يكن أول الجنسين حرف

---

[1] سورة المطففين من الآية 14.

[2] سورة المؤمنون من الآية 93.

[3] الكتاب : 452/4.

[4] سورة المرسلات من الآية 20.

[5] النشر : 17/2.

[6] الكتاب : 452/4.

[7] سورة البقرة من الآية 30.

[8] السابق : 446/4.

حلق[1]، ويمثلوا لذلك بقوله تعالى :"فاصفح عنهم"[2]. وهو يؤكد ما ذهبنا إليه سابقا من صعوبة تآلف أصوات الحلق بعضها وبعض. الأمر الذي جعل سيبويه يقول :"ولم تكن حروف الحلق أصلاً للإدغام"[3]، وما ورد في الكتاب من أمثلة إدغام أصوات الحلق بعضها وبعض قال سيبويه بشأنه -في غير موضع- "البيان أحسن[4]"و "البيان أحسن"[5].

ومن هذا العرض يتضح لنا أن القراء والنحاة على السواء، اتفقوا على عدم جواز إدغام حروف الحلق في بعضها أو حتى في غيرها. وربما يعود ذلك إلى عاملين : الأول منهما أن الإدغام عملية تتفاعل فيها الصوامت والصوائت، وإذا علمنا أن محل الصوائت العربية (الفتحة، الضمة والكسرة) هو الفم، فيصعب -إذن- التحكم بها في مستوى أصوات الحلق.

وأما العامل الثاني فهو أن أصوات الحلق تسقلت في جهاز التصويت، والإنتقال من أصوات الحلق إلى ما فوقها من أصوات الغار والطبق والأسنان والشفتين وغيرها، يعد من أصعب الحالات على اللسان.

2) إدغام المتقارب (إدغام المتقاربين)

-إدغام الباء في الفاء

إدغام الباء في الفاء جائز عند القراء -كما رأينا- في مثل قوله تعالى :"وَمَن لم يَتُب فأولئك"[6]، وينسب هذا الإدغام لأبي عمرو والكسائي[7] واختلف في الآخرين.

وقد ذكرنا ما يستوجبه هذا الإدغام من قلب للباء إلى نظيره المهموس المعروف في اللغات الأوربية و هو الحرف (P).

و أما سيبويه فيعترف بأن الباء تدغم في الفاء للتقارب و"لأنها قد ضارعت الفاء فقويت على ذلك لكثرة الإدغام في حروف الفم وذلك قولك (اذهب في ذلك) فقلبت الباء فاء.."[8].

فلا خلاف -إذن- بين النحاة والقراء في جواز هذا الإدغام من حيث السبب الداعي إليه.

-إدغام الباء في الميم[9]:

جوّز القراء إدغام الباء في الميم ومثاله قوله تعالى "يعذب من يشاء"[10] وذكر سيبويه أنهم قالوا في (اصحب مطرا) : (اصحمّطرا) بالإدغام. ولا خلاف -هنا أيضا- في هذا الإدغام.

---

[1] النشر : 16/2.

[2] نفسه: 16/2.

[3] الكتاب: 450/4.

[4] نفسه: 449/4.

[5] نفسه :450/4.

[6] سورة الحجرات من الآية 11.

[7] النشر :8/1.

[8] الكتاب : 448/4.

[9] الميم أحد أصوات أربعة لا تدغم في المقاربة ، وتدغم المقاربة فيها، وهي الراء ، الفاء، الشين، الميم. (انظر الكتاب 447/4).

[10] سورة البقرة من الآية 284.

-إدغام الراء في اللام:

وذلك في مثل قوله تعالى :"يَنْشُر لكم"[1]. وذكر[2] ابن الجزري أن "الأكثرين -من القراء- على الإدغام . غير أنه نقل عن أبي عمرو الداني قوله: "وقد بلغني عن ابن مجاهد أنه رجع عن الإدغام إلى الإظهار اختيارًا واستحسانًا ومتابعة لمذهب الخليل وسيبويه قبل موته بست سنين، وقد رد ابن الجزري على هذا بأن ابن مجاهد كان على مذهب أبي عمرو في إدغام الراء المتحركة، فإدغامها ساكنة أولى[3].

فاتضح -إذن- أن مذهب القراء هو الإدغام بلا خلاف.

بيد أن مذهب النحاة البصريين[4] على النقيض من ذلك، يقول[5] سيبويه: "والراء لا تدغم في اللام... لأنها مكررة ، وهي تفشى إذا كان معها غيرها فكرهوا أن يجحفوا بها، فتدغم مع ليس يتفشى في الفم مثلها ولا يكرر".

وقد جاءت الدراسات الحديثة مؤيدة للقراء ومذهبهم في هذا الإدغام، وكأني بهم قد أحسوا قرب اللام من الراء، لما فيهما من التوسط بين الشدة والرخاوة. ولعله السبب -إضافة إلى ما ذكرناه سابقا- في هذا الإدغام؛ لأن النطق بهذين الصوتين يتم بين مرحلتين مرحلة الوقفة (STOP)، ومرحلة الانفجار(PLSIVE)[6]، وهذا -فيما يبدو- هو العامل في اختفاء التكرير من الراء حين النطق بالصوتين مدغمين، لأن كل ما يتطلبه هذا الإدغام -كما ذكرنا-، هو اختفاء صفة التكرير من الراء.

-إدغام اللام في الذال:

مثاله من القرآن الكريم :"وَمَن يَفْعَل ذلك ابتغاء مرضات الله"[7]، وقد أدغم ذلك أبو الحارث عن الكسائي وأظهر الباقون[8].

ويقول سيبويه: "وهي (أي اللام) مع ... الذال جائزة..."[9].

فجواز إدغام اللام في غيرها ثابت أداءً ولغة، لشيوعه - كما ذكرنا- ، سواء ما كان في "هل" و"بل"، أو لام التعريف، أو غيرها كما في المثال الذي نحن بصدده.

-إدغام الدال في الثاء والثاء في الذال:

أما في الأولى فمثالها في القرآن الكريم "ومن يرد ثواب الدنيا"[10]. وأدغم الدال في الثاء هنا أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف، وأظهر الباقون[11].

---

[1] سورة الكهف من الآية 16.

[2] النشر :11/2.

[3] ينظر النشر :229/1 ، و ينظر سبط الخياط، الاختبار ص 184 .

[4] أجاز كبار الكوفيين إدغام الراء في اللام ، بل إن السيرافي -وهو شارح الكتاب- نُقل عنه إدغام الراء في اللام. (ينظر ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص 35) .

[5] الكتاب : 448/4 .

[6] مصطلحا (STOPS) أي الوقفات و(PLSIVE) أي الانفجاري يطلقان على الأصوات الشديدة؛ فالأول منها يطلقه اللغويون الأمريكيون، والثاني يطلقه اللغويون الإنجليز. (ينظر علم اللغة العام (الأصوات). د. كمال بشر ص 127.

[7] سورة النساء من الآية 114.

[8] النشر: 11/2.

[9] الكتاب : 458/4.

[10] سورة البقرة من الآية 145. آل عمران

[11] النشر : 11/2.

و أما الثاء في الذال ففي قوله تعالى "يلهث ذلك"[1]. وقال[2] ابن الحزري :"حكى الأستاذ أبو بكر بن مهران الإجماع على إدغامه فقال ما نصه: "وقد أجمعوا على إدغام الثاء في الذال" . فدّل ذلك على إجماع القراء عليه؛ لأن "الذي يقتضيه النظر ويصحّ في الاعتبار هو الإدغام، ولولا صحة الإظهار عنهم عندي -والكلام لابن الجزري- لم آخذ لهم ولا لغيرهم بغير الإدغام ، وذلك أن الحرفين إذا كانا من مخرج واحد وسكن الأول منهما يجب الإدغام ما لم يمنع مانع ولا مانع هنا."[3]

وذكر[4] سيبويه أن "الظاء والثاء والذال أخوات الطاء والدال والتاء، لا يمتنع بعضهن من بعض في الإدغام لأنهن من حيز واحد" فدل- إذن - على أن الدال تدغم في الثاء، والثاء في الدال، لأنه "ليس بينهما إلا ما بين طرف الثنايا وأصولها"[5].

وإذا كان هذا في مستوى الأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية، فأحرى أن يكون أكثر وضوحًا بين الأصوات الأسنانية. أعني بين الثاء والذال. وقد وصف سيبويه الإدغام بين هذه الأصوات بأنه "أكثر وأجود"[6].

وعلى هذا فقد أجمع القراء والنحاة على جواز هذا الإدغام ، لأن الانتقال بالمخارج بين أصوات الحيز الواحد، والمخرج الواحد أسهل على اللسان، وأدعى للتأثر بين الأصوات تأثرًا كاملاً.

-إدغام النون في الواو:

أدغم القراء النون في الواو من قوله تعالى "ن والقلم"[7]. وقد أدغم النون هنا الكسائي ويعقوب وخلف وهشام[8].

وقال[9] سيبويه: "تدغم النون مع الواو بغنّة وبلا غنّة لأنها من مخرج ما أدغمت فيه النون" ويقصد بذلك الميم كما سنرى.

ولا خلاف في هذا الإدغام لأنه في أصوات متقاربة المخارج.

-إدغام النون في الميم :

أدغم جمهور القراء النون في الميم من قوله تعالى "طسم" أول "الشعراء" و"القصص" إلا حمزة وأبا جعفر[10]. وقد ذكر سيبويه- في النص السابق- أن النون من مخرج الميم أي الخيشوم، فيكون -إذن- إدغامهما بمثابة إدغام المتجانسين مع فارق بينهما. ولا خلاف في هذا الإدغام أيضًا.

---

[1] سورة الأعراف من الآية 176.

[2] النشر : 13/2.

[3] نفسه: 13/2.

[4] الكتاب: 464/4.

[5] نفسه: 464/4

[6] نفسه: 464/4.

[7] سورة القلم الآية 1 و 2.

[8] النشر: 2 /15.

[9] الكتاب :453/4.

[10] السابق: 15/2.

-إدغام التاء في الجيم:

ذكر القراء أن التاء تدغم في عشرة أصوات منها التاء في مثل قوله تعالى: "الصَّالحات جنَاح"[1]. ولم يرد عن النحاة - وخصوصا سيبويه – هذا الإدغام ، ولعل ذلك يعود إلى بعد المخرجين بين التاء والجيم. وقد وصفه أبو عمرو الداني بالقبيح[2].

غير أن جمهور القراء أجازوا ذلك لكون أن الجيم من مخرج الشين، والشين كما قالوا لتفشيها اتصلت بمخرج التاء فأجرى لها حكمها[3]. وقد ذكرنا كيف تم هذا الإدغام وذلك بانقلاب التاء إلى نظيرها المجهور وهو الدال، ثم انتقل مخرج التاء إلى وسط الحنك حيث مخرج الجيم.

ولعل ما ورد عن القراء من إدغام الجيم في التاء، أو التاء في الجيم إنما يكون في الكلام المنفصل لا المتصل، وإلا فإن الانتقال من أصول الثنايا إلى وسط الحنك أو العكس، يعتبر من أصعب الحالات على اللسان في حالة تجاور التاء والجيم في الكلمة الواحدة.

هذا ويسود الاعتقاد الآن بين الباحثين المحدثين بأن الجيم التي نسمعها من مجيدي القراءة القرآنية هي الجيم الفصيحة، وهذه الجيم كما وصفها المحدثون[4] فيها شيء من شدّة الدال وشيء من التعطيش. ولعل هذه المرحلة الوسطى-بين الشدة والرخاوة – تجعل الانتقال من مخرج التاء إلى مخرج الجيم أو العكس، عملية يسيرة على اللسان، خاصة و أن في الجيم شيئ من شدة الدال، و التاء أخت الدال كما نعلم.

-إدغام التاء في الذال :

رأينا أن إدغام التاء في الذال -إدغاماً كبيراً – إدغام جائز في مثل قوله تعالى "السيئاتِ ذلك"[5]، وهو كذلك عند النحاة، لأن الأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية لا يمتنع بعضهن من بعض في الإدغام، كما قال سيبويه.

غير أن بعض القراء[6] علل لهذا الإدغام -إضافة إلى التقارب- بقوة الكسرة التي في التاء من كلمة "السيئاتِ". ونحن نعلم أنه لا بد ههنا من سقوط صوت الليّن القصير، وكذلك الشأن في كل حالات الإدغام الكبير. فلا اعتبار- إذن لقوة الكسرة كما قالوا – بل هي ساقطة أصلاً، وبسقوطها يتم الإدغام لا بقوتها كما توهموا.

-إدغام التاء في أصوات الصفير :

ذكرنا قبل أن التاء تدغم في السين والصاد والزاي بإجماع القراء. وأشار سيبويه إلى الطاء والدال والتاء يدغمن كلهن في الصاد والزاي والسين لقرب المخرجين، لأنهن من الثنايا وطرق اللسان، وليس بينهن في الموضع إلا أن الطاء وأختيها من أصل الثنايا وهن من أسفله قليلاً مما بين الثنايا"[7].

فلا خلاف إذن في هذا الإدغام.

---

[1] سورة المائدة من الآية 93.

[2] النشر : 227/1.

[3] نفسه : 228/1

[4] ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص 78 وما بعدها.

[5] سورة هود من الآية 114.

[6] هو ابن شنبوذ ومن تبعه، ينظر النشر : 226/1.

[7] الكتاب : 462/4-463.

-إدغام التاء في الشين :

روت كتب القراءات إدغام التاء في الشين في ثلاثة مواضع من القرآن ذكرناها قبل. وذكر سيبويه أن أصوات الطاء والدال والتاء تدغم في الشين "لاستطالتها حين اتصلت بمخرجها"[1]. وهي العلة نفسها التي من أجلها أدغمت التاء في الشين عند القراء.[2]

والشين -إضافة إلى هذا وبما فيها من التفشي - يكسبها قوة اسماع تفوق نظيراتها المدغمة فيها، وهذا تماشياً وقانون الجهد الأقوى الذي تحدثنا عنه، وقلنا بأن ما يختص به من الأصوات هو تلك الأصوات المفردة الصفة كالضاد والشين والراء.

هذاوما حدث في إدغام التاء في الشين ينسحب أيضًا على الدال والطاء أختيّ التاء الجنسين.

-إدغام التاء في الضاد:

ورد إدغام التاء في الضاد في الأمثلة القرآنية – كما قلنا- في موضع واحد هو قوله تعالى: "والعَاديات ضَبحًا"[3]، وهو إدغام له ما يبرره من الناحية الصوتية؛ فإذا اعتبرنا أن صوت الضاد هنا هو الصوت القديم ، وقد رجحنا أن يكون هذا النطق القديم يشبه إلى حد كبير النطق باللام اللثوية المطبقة الشديدة ، يضاف إلى ذلك أن الضاد "قد خالطت باستطالتها الثنية وهي مع ذا مطبقة"[4].

فلأجل ذلك كله ساغ وجاز إدغام التاء في الضاد عند القراء والنحاة على السواء.

-إدغام الثاء في السين:

جوَّز القراء إدغام الثاء في السين - وفي سائر أصوات الصفير– في مثل قوله تعالى: "الحديث سنستدرجهم"[5]، وقال سيبويه – متحدثا عن أصوات الظاء والذال والثاء - "يدغمن أيضًا جميعاً في الصاد والسين والزاي، وهن من حيز واحد"[6]

فهذا الإدغام لا يتطلب سوى رجوع أصوات الثاء والذال والظاء إلى الوراء قليلاً، فتصادف مخرج أصوات الصفير فيحصل التأثر بالإدغام.

-إدغام الثاء في الشين :

إدغام الثاء - وأخواتها– في الشين جائز عند القراء لقوة الشين، وذلك في مثل قوله تعالى "حَيثُ شِئتُما"[7]. وقال[8] سيبويه: "تدغم الظاء والدّال فيها" (أي في الشين)، وعلة ذلك "أنهم انزلوها منزلة الضادّ"[9].

وما قيل عن الضاد في المثال السابق يقال عن الشين هنا.

---

[1] الكتاب: 466/4.

[2] النشر: 228/1.

[3] سورة العاديات : 1.

[4] الكتاب : 466/4.

[5] سورة القلم: 44 .

[6] السابق: 465/4.

[7] سورة البقرة من الآية 35.

[8] الكتاب : 466/4.

[9] نفسه : 466/4.

-إدغام الجيم في الشين:

جوز القراء والنحاة إدغام الجيم في الشين لما في الشين - كما ذكرنا - من قوة نتجت عن استطالة مخرجها الذي وصل حتى مخرج التاء وأخواتها.

فقد أدغموا في مثل قوله تعالى "أخْرج شَطْأَه"[1]. ومثل لها سيبويه بقولهم (أخر شَبَّثا)[2] في (اخرج شبثا). على حين لا يجيزون إدغام الشين في الجيم ، ولعل ما يفسر ذلك هو خلو كتب القراء من ذكر هذا الإدغام.

وإذا عدنا إلى كتاب من كتب القراء ككتاب النشر، نجده يحذر جمهور المتعلمين من عدم إخراج الجيم من مخرجها، حتى لا ينتشر بها اللسان فتصير ممزوجة بالشين[3]. وهو تخوف مشروع ؛ إذ أن الشين أقوى الأصوات من مخرجها، وعدم إخراج أخواتها إخراجا سليما يؤدي إلى ذوبانها فيها، فكيف -إذن- تدغم الشين وهي الأقوى في صوت أضعف منها وهو الجيم؟ الأمر الذي جعل سيبويه يقول[4] "والشين لا تدغم في الجيم، لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء". بل إن من القراء من جعله متصلاً بمخرج الظاء[5].

-إدغام الجيم في التاء:

لم يرد عن النحاة إدغام الجيم في التاء، كما لم يرد نظيره إدغام التاء في الجيم، ولعل السبب في ذلك هو أن النحاة أدركوا ما بين الجيم والتاء من البعد في المخرجين، وهو الأمر نفسه الذي جعل قارئا كأبي عمرو الداني يصف هذا الإدغام بالقبيح كما قلنا.

غير أن ما ذكره ابن الجزري -مما سقناه قبل- عن جواز هذا الإدغام لكون أن الجيم من مخرج الشين ، والشين لتفشيها اتصلت بمخرج التاء، يجعلنا نشعر بملاحظة القراء لانتقال مخارج بعض الأصوات.

-إدغام الجيم في الصاد:

لم يجوّز القراء[6] إدغام الجيم في الصاد في قوله تعالى "ومخرج صدق"[7]، وما ورد عنهم في ذلك هو الإظهار ، بل وقرنوا هذا الإظهار هنا بالاظهار في قوله تعالى : "أخرج ضحاها"[8]. ويدل على أن الجيم لا تدغم مع أصوات الإطباق، لأن هذه الأخيرة مستعلية مفخمة، والجيم مستفلة مرققة، هذا زيادة على بعد المخارج خاصة مع الطاء والظاء والصاد.

هذا ولم تشر كتب النحو -بما فيها كتاب سيبويه - إلى هذا النوع من الإدغام.

---

[1] سورة الفتح من الآية 29.

[2] الكتاب : 449/4 و 452/4.

[3] النشر : 172/1.

[4] الكتاب : 448/4.

[5] الواسطي ، الكنز ص 40.

[6] النشر : 227/1.

[7] سورة الإسراء من الآية 80.

[8] سورة النازعات من الآية 29.

-إدغام الدال في الضاد:

تدغم الدال وأخواتها في الضاد لأنها - كما يقول[1] سيبويه: "اتصلت بمخرج اللام وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوقه من الأسنان" . وتدغم عند القراء في عشرة أصوات[2] من بينها الضاد، شريطة أن لا تنفتح ويسبقها سكون، فإذا كان ذلك فإنها لا تدغم إلا في التاء[3] فقط.

وفي محاولة لتفسير ذلك : - من الناحية الصوتية - نقول: إن الدال صوت أمامي ينطق أو - على الأصح - يحدث بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكمًا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمع صوت انفجاري هو الدال[4]. ولما كانت الدال هو الحرف المدغم في غيره -أي في الأصوات المشار إليها- احتاج إلى حركة تتناسب وموضعه من الفم، وتلك الحركة هي الكسرة والكسرة حركة أمامية كما نعلم .

ومن ثم فلعل ما أراده ابن الجزري بـ "قوة الكسرة" في هذا الإدغام هو هذا الذي أثبناه. وما يدعمه أن الفتحة -وخاصة إذا كان ما قبلها ساكن- حركة خلفية أو هي- بالتحديد - وسطية قريبة من الضمة، فهي - إذن- في الأخير لا تناسب الدال الصوت الأمامي المخرج[5].

-إدغام الدال في الجيم :

تدغم الدال في الجيم في الأمثلة القرآنية إدغاماً كبيراً في موضعين هما قوله تعالى "داوود جالوت"[6] وقوله أيضاً "دار الخلد جزاء"[7]. ويحدث هذا الإدغام كنظيره الصغير - كما مرّ بنا- بسقوط صوت اللين القصير الذي هو الكسرة والفتحة.

هذا ولم تشر كتب النحاة -ومنها كتاب سيبويه- لهذا الإدغام. غير أن الدال وأخواتها - كما رأينا- تدغمن في الشين، والجيم من مخرج الشين، وذكر سيبويه في باب "المضارعة"[8] أن الجيم قد يُجعل بمنزلة الشين في مثل قولهم في الأجدر : أشدر وذلك لاتحاد مخرجيهما.

والذي نراه هنا أنه لما كان بينهما هذا البدل جاز أن يُدغم في إحداهما ما يدغم في الأخرى من الأصوات. وعلى هذا فكل ما يدغم في الشين يدغم في الجيم من أصوات الأسنان واللثة. ولا ينبغي أن يفهم هذا على أنّه تمحّل وتقوّل، بل هو قياس لعلة موجودة، فالشين أخت الجيم في المخرج، وإن كان الفرق بينهما في الجهر والشدة والتفشي من حيث الصفة.

---

[1] الكتاب : 465/4.

[2] هي التاء ، الثاء، الجيم، الذال، الزاي، السين، الشين، الصاد، الضاد والطاء.

[3] النشر :228/1.

[4] ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص 48.

[5] هذا إلى أن الفتحة توصف بالمنفتحة – في درجة الإنفتاح –، بينما توصف الضمة والكسرة بالمنغلقتان . (ينظر د.الطيب البكوش ، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ص50).

[6] سورة البقرة من الآية 251.

[7] سورة فصلت من الآية 28.

[8] أعني به الباب الذي سماه سيبويه "هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه ..." الكتاب : 477/4.

وثمة شيء آخر -يخص إدغام الدال في الجيم- وهو أن الجيم الفصيحة مزيج - كما قلنا- من شدة الدال - أو الدال الشديدة - والتعطيش، وهو ما يجعل إدغام الدال في الجيم أمراً يسيراً، لأن الدال المدغمة ستفنى في الدال التي هي جزء من الجيم لا مخالة، فينبو اللسان عنهما نبوة واحدة.

-إدغام الشين في السين :

ورد إدغام الشين في السين في الأمثلة القرآنية في موضع واحد وهو قوله تعالى "إلى ذي العرش سبيلا"[1]. وقد اختلف القراء في هذا الإدغام، فمنهم من جعله ممتنعاً كأبي عمرو وسائر أصحاب الإدغام، بسبب التفشي الذي في الشين، ومنهم من أجازه كابن الجزري الذي قال ما نصه "ولا يمنع الإدغام من أجل صفير السين فحصل التكافؤ"[2]، لكنه أضاف يقول "والوجهان صحيحان قرأت بهما وبهما آخذ"[3].

وقد جاء موقف النحاة مطابقاً لما ذهب إليه أبي عمرو بن العلاء وغيره من أصحاب الإدغام، فقد ذكر[4] سيبويه أن الشين امتنعت أن تدغم في السين - وغيرها من أصوات الصفير- لاستطالتها.

-إدغام الضاد في الشين :

تدغم الضاد في الشين من الأمثلة القرآنية في موضع واحد هو قوله تعالى "لبعض شأنهم"[5]، ولم تذكر كتب النحاة - و منها كتاب سيبويه- هذا الإدغام، غير أن ما ذكره[6] سيبوية عن عدم جواز إدغام أصوات الصفير في الضاد يجعلنا نلاحظ مايلي:

إن الضاد أخت الصاد في الإطباق، وفيها من قوة التفشي ما في الصاد من الصفير، وقد سمى سيبويه الصفير الذي في الصاد حاجزاً، كما سمى الاستطالة التي في الضاد حاجزاً أيضاً، وقال[7] في موضع آخر : "والضاد... لما ذكرت لك من استطالتهما كالشين". فدّل على أنه في الشين -أيضا- حاجزا هو التفشي والاستطالة.

ومن ثمّ، فإن إدغام الضاد في الشين يعد من أصعب الحالات على اللسان، كما أن من الصعب تبريره صوتياً، لعدم تأكدنا من النطق الأصلي للضاد. وما يدل على صعوبة النطق بالضاد والشين صوتاً واحداً، أن ابن مجاهد[8] كان لا يمكّن من هذا الإدغام إلا حاذقاً.

-إدغام القاف في الكاف والكاف في القاف :

ذكرنا - في السابق- أن القاف والكاف تدغم إحداهما في الأخرى، ولم يرد إدغامهما في غيرهما ولا إدغام غيرهما فيهما. وقد اشترط القراء[9] -كما ذكرنا-

---

[1] سورة الإسراء من الآية 42.

[2] أي تكافأت كل من السين والشين في صفتي القوة فيهما؛ فللسين الصفير وللشين التفشي.

[3] النشر: 229/1.

[4] ينظر الكتاب: 466/4 .

[5] سورة النور من الآية 62.

[6] ينظر الكتاب: 466/4.

[7] نفسه : 470/4.

[8] النشر : 230/1.

[9] نفسه : 230/1 .

لإدغام الكاف في القاف، أن يكون ما قبل الكاف متحركاً، فإذا سكن لم تدغم نحو قوله تعالى "إليك قال"[1].

هذا وسوى سيبوية [2] بين الإدغام والبيان في مثل هذا الإدغام، فالإدغام حسن والبيان حسن؛ وإنما حسن الإدغام لما بين الصوتين من الاتفاق في المخرج والهمس والشدة، زيادة على أنهما من أصوات اللسان. وأما "حسن البيان"، فلأن مخرج القاف والكاف أقرب مخارج اللسان إلى الحلق، فشبهت هنا بأصوات الحلق، وأحسن ما يكون البيان في أصوات الحلق.

-إدغام اللام (في غير "هل" و "بل" ولام التعريف) في الراء.

تدغم اللام في الراء في غير "هل" و "بل" ولام التعريف إذا تحرك ما قبلها في مثل قوله تعالى "رسل ربك"[3]، فإن سكن ما قبلها أدغمها، مضمومة كانت أو مكسورة نحو "يقول ربنا"[4]، فإن انفتحت بعد الساكن لم تدغم نحو "فَعَصَوا رَسُولَ ربّهم"[5] إلا لام (قال)، فإنها تدغم حيث وقعت لكثرة دورها[6] نحو "قال رب"[7].

وقد علل سيبويه لهذا الإدغام بـ "قرب المخرجين، ولأن فيهما انحرافاً نحو اللام قليلاً، وقاربتها في طرف اللسان، وهما في الشدة وجري الصوت سواء وليس بين مخرجهما مخرج، والإدغام أحسن"[8].

-إدغام النون في الراء :

تدغم النون في الراء - في الأمثلة القرآنية – إذا تحرك ما قبلها في مثل قوله تعالى : "وإذ تأذن ربكم"[9]. فإن سكن ما قبلها فالإظهار بلا خلاف في مثل قوله تعالى "بإذن ربهم"[10]، وعلة ذلك -فيما يظهر– أن الانتقال من سكون فإدغام متعذر، لأن الانتقال بمخرج النون من الخيشوم والفم -باعتبار مرور الهواء فيهما معا– إلى مخرج الراء، يحتاج إلى حركة يتكأ عليها، ولا يمكن أن يكون السكون موفياً بهذا الغرض لضعفه.

هذا وإدغام النون في الراء يبرره - عند سيبويه– "قرب المخرجين على طرف اللسان وهي مثلها في الشدة"[11]. وليس من فرق بينهما إلا في أن النون مع ما فوق طرف اللسان من الحنك، بينما الراء مع ما فوق طرف اللسان من الحنك الأعلى مما يلي ظهره[12].

---

[1] سورة البقرة من الآية : 29 .

[2] الكتاب : 452/4.

[3] سورة هود من الآية 81.

[4] سورة البقرة من الآية 200.

[5] سورة الحاقة من الآية 10.

[6] ينظر النشر : 231/1.

[7] سورة آل عمران من الآية 38.

[8] الكتاب : 452/4.

[9] سورة إبراهيم الآية 7 .

[10] سورة القدر من الآية 4.

[11] الكتاب: 452/4.

[12] ينظر د. عبد الفتاح شلبي، المدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد ص 101.

-إدغام النون في اللام /:

تدغم النون في اللام في الأمثلة القرآنية إذا تحرك ما قبلها نحو قوله تعالى "لن نؤمن لك"[1]، فإذا سكن ما قبلها لم تدغم إلا في كلمة (نحن)، في مثل قوله تعالى "ونحن له مسلمون"[2].

وقد اعتبر بعض القراء -كما حكى ابن الجزري- أن علة ذلك هو ثقل الضمة في (نحن)، وذهب آخرون -ومنهم ابن الجزري- إلى أن علة ذلك، هو تكرار النون في (نحن)، ولم يكن ذلك في غيرها[3].

وقرب النون من اللام كقربها من الراء "على طرف اللسان"[4]. أما الميم وما يتعلق بإسكانها أو إخفائها عند الباء من أحكام، فقد اختلف فيها القراء أهو إدغام، أم إخفاء، وأرى أن الخوض في هذا ليس هذا موضعه[5].

وأما إدغام النون في الميم فجائز عند النحاة "لأن صوتهما واحد وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت"[6].

المطلب الثالث /: القراء والتعليل الصوتي

نريد بهذا العنوان وما يندرج تحته معرفة ما إذا كان القراء عُنوا بتبرير وتفسير ما عرضوا له من ألوان التأثر بين الأصوات بعضها وبعض، ونخص الإدغام بالحديث؛ لأن ما يتجلى فيه من أنواع التأثر ما يجعل المرء -إذا استعرضها- يخرج بنتيجة تطمئن إليها النفس. وقد عرضنا في المطلب السابق لكل ما ورد في الأمثلة القرآنية من إدغام؛ كبيره وصغيره، ولعل من ذلك العرض، اتضح تناول النحاة والقراء على السواء لمظاهر التأثر، وتعليل كل من الفريقين لوقوعه بين الأصوات المتجانسة والمتقاربة.

ولئن كان التعليل الصوتي لمظاهر التأثر واضحاً عند النحاة، لأنه يتعلق بجوهر دراستهم، وبه حاولوا تفسير ما ورد في كلام العرب من أمثلة تشهد على أن العربي -وبحكم ظروف شتى- كان يميل إلى مزج الأصوات بعضها بعضاً، وتقريب بعضها من بعض بالإدغام، سعياً إلى الخفة واختصار الجهد العضلي، وهو في هذا لا يقصد إلى ذلك التقريب قصداً، بل إن ذلك يحدث دونما شعور منه. تفرضه قوانين لغوية مطردة، لا تتبدل ولا تتغير.

وفيما يلي ملاحظات تكشف لنا عما ورد في تناول القراء من تبرير صوتي في مختلف ألوان التأثر الكامل أو الإدغام.

---

[1] سورة البقرة من الآية 259.

[2] سورة البقرة من الآية 133.

[3] ينظر النشر : 233/1.

[4] الكتاب : 452/4، ويسمي المحدثون أصوات النون واللام والراء بالأصوات الذولقية Apicales. (ينظر د. إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن ص. 125).

[5] ينظر النشر : 231/1.

[6] الكتاب : 452/4.

1- اعتبر بعض القراء أن الكسرة في الصوت المُدغم تتدخل لتكون عامل قوة في إدغام الصوت الأول في الثاني، وهم بذلك يكونون قد عللوا لهذا الإدغام؛ فنجدهم مثلا يعللون لإدغام التاء في الذال من قوله تعالى "السيئات ذلك"، بالتقارب وقوة الكسرة كما عللوا لإدغام التاء في الشين بقوة الكسرة كذلك. ونجد ابن الجزري يبرر إدغام التاء في الطاء من قوله تعالى "ولتأت طائفة" بقوله " من أجل التجانس وقوة الكسرة والطاء"[1].

وقد يكون القول بالتجانس والتقارب صحيحاً، كما أن قوة الطاء تظهر في إطباقها،بيد أن القول بقوة الكسرة، التي يتوهم القراء أنها تساهم في عملية التأثر، أمر لا يجب التسليم به؛ لأن الكسرة -أو أية حركة كانت في الصوت المُدغم-، لا بد أن تسقط منه عند الإدغام، حتى لا تكون حاجزا بين الصوت المُدغم والمُدغم فيه، لأن شرط الإدغام أن يكون الأول ساكناً.

وإن كان ذلك ضرورياً في الكلمة الواحدة المشتملة على الإدغام، فهو في حال الكلام المنفصل يعد أكثر ضرورة،لأن هذا يتطلب انتقال المخرج. وفي عملية الانتقال ينبغي على الصوت المُدغم أن يكون في أكثر حالات الخفة.

2- جوّز القراء إدغام التاء في الجيم وإدغام الجيم في التاء إجراءاً لحكم الشين على الجيم؛ فلتفشي الشين واتصالها بمخرج التاء -وقد أدغمت التاء في الشين- أُجري حكم الشين في الجيم.

والذي أراه أن الجيم لما كان مزيجاً -في نطقه الفصيح- من الدال المغورة والشين المجهورة، ولوجود هذه الشين المجهورة أشبه الشين في تفشيها، فأدغمت التاء فيه وأدغم فيها، وما ساهم في هذا الإدغام كون الجيم من مخرج الشين.

3- علل القراء للإظهار في قوله تعالى "الصلاة طرفي النهار"[2] وقوله أيضا "يظلم الناس شيئا"[3]. والمراد إظهار التاء عند الطاء والسين عند الشين، قلت عللوا لذلك بخفة الفتحة بعد السكون.

والذي يظهر أن هذا التعليل له ما يبرره؛ إذ إن كلا من الفتحتين في "الصلاةَ" و"الناسَ" مسبوقة بفتحة طويلة وهي الألف، يضاف إلى ذلك انفتاح ما قبل الألف، وفي هذه الحال سيستمر الهواء خارجاً دون عارض أو مقطع، ويأخذ اللسان وضعاً في قاع الفم، بحيث يتسع ما بينه وبين الحنك، وإذا أريد النطق بالصوت المشدّد بعد ذلك كان من أصعب الحالات على اللسان لأنه سوف لن يجد متكأ يرتكز عليه للنطق بالحرف المشدّد.

4- كما يمكن أن يؤخذ من تعليل بعض القراء لأمثلة من الإدغام، يمكن أن يؤخذ منه إيمانهم بضرورة حذف توالي الأمثال، وقد أسموه تكراراً. من ذلك ما أورده ابن الجزري في جواز إدغام نون كلمة (نحن) في اللام، مع أن ما قبلها ساكن وذلك لتكرار النون فيها، وهذا ما أسميناه -إن صحت هذه التسمية- "المخالفة بالإدغام".

ومن ذلك أيضا إدغام الحاء في العين من قوله تعالى "زحزح عن النار"[4] قال[1] ابن الجزري معللا هذا الإدغام : "لطول الكلمة وتكرار الحاء" -وإن لم يتحقق في هذه

---

[1] النشر : 226/1.

[2] سورة هود من الآية 114.

[3] سورة يونس من الآية 44.

[4] سورة آل عمران من الآية 185.

المخالفة تجاور الصوتين المتماثلين غير أن النطق بهما -من غير إدغام- مبعث ثقل وصعوبة في النطق[2].

[1] النشر : 228/1.

[2] يراجع د. عبد الواحد حسن الشيخ، التنافر الصوتي والظواهر السياقية ص 61.

الفصل الثالث

المماثلة في الحركات بين الكسائي و سيبويه (الإمالة نموذجا)

المطلب الأول: في الفتح الإمالة.

- الفتح الإمالة.
- الأصلية والفرعية في الفتح والإمالة عند العلماء.
- أسباب الإمالة عند العلماء.
- أنواع الإمالة.

المطلب الثاني: الإمالة بين الكسائي سيبويه.

1- الإمالة لأجل كسرة أو ياء.

2- إمالة ألف التفخيم عند الكسائي.

3- إمالة الكسرة إلى الضمة عند الكسائي.

المطلب الثالث: الإمالة ومقاييس أصوات اللين في العربية.

1- المقاييس المغيارية للصوائت في العربية.

2- صفات الصوائت في العربية.

3- صائت الإمالة في العربية، أنواعه وتلوناته.

عرفنا أن الإمالة ضرب من ضروب ظاهرة الانسجام الأصواتي، لأنها تهدف إلى تقريب حركة من حركة سعياً إلى تخفيف عناء الانتقال من فتحٍ إلى كسر، أو ضمّ إلى الكسر أو من ألف إلى ياء، وفي ذلك تخفيف لعملية الجهد العضلي وبذل أقل مجهود من أقصر الطرق.

كما عرفنا أيضا أن الإمالة تظهر في مستوى النطق وليس لها رسم في واقع الكتابة، وكان ذلك -ربما- مبعث صعوبة في سبيل دراسة الإمالة، لأن دراستها تستوجب وجود واقع منطوق يبين كيفية النطق الأصلي بصور الإمالة في الواقع اللغوي العربي، وذلك ما ليس إليه سبيل لتقادم عهدنا بالنطق الفصيح، ثم لتطور كثير من أصوات العربية وحركاتها بالخصوص . وكل ذلك يقف حائلا بيننا وبين هذه الغاية التي إن تحققت، فلا محالة ستكون فتحاً مبينا على طريق دراسة أصوات العربية دراسة حديثة تستفيد من مستجدّ المناهج،ثم العودة بالعربية إلى سابق عهدها دراية وتعليماً.

ولو أن النحاة واللغويين اهتموا بدراسة لهجاتنا القديمة وتسجيل صور النطق فيها ووضع صور كتابية لذلك النطق – وخاصة الإمالة منه–، لكان في ذلك تمام ما يسدونه للعربية من خدمة بعد خدمة كتابها الخالد (القرآن الكريم).

غير أن تواتر القراءات القرآنية مشافهة على ألسنة علماء ثقات عدول، مع وصف لكل أصوات العربية وحركاتها، وتشدّد في تحقيقها وإخراجها من مخارجها وأداء صفاتها أداءً محكمًا. كل ذلك يكون قد حفظ للعربية الفصحى ماء وجهها، بل إن نطق بعض الأصوات في القراءات القرآنية مما أصابه تطور وصار النطق به الآن على غير ما وصفه القدماء في كتبهم، قلت عُدَّ هذا النطق هو النّطق الراجح في أن يكون الفصيح أو الأقرب إليه.

وقد يخطر ببال قارئ عنوان هذا الفصل أن البحث سيأخذ مجرى دراسة مذهب كل من الكسائي وسيبويه في الإمالة – بوصف الأول قارئًا والثاني نحويًا–، وسيتناول ما اختلفا فيه من الإمالة وما اتفقا عليه. ونسارع إلى القول بأن هذا العنوان وما يندرج تحته سيتناول – ما وسعت المادة المستقرأة– منطلقات الرجلين ومن خلالهما جمهور القراء والنحاة– في تفسير ظواهر الإمالة تفسيرًا صوتيًا يترجم رغبة العربي في الخفة واليسر وتحقيق الجهد الأدنى في سبيل التعبير عن أغراضه المختلفة، هذا الهدف الذي يجب اعتباره دائمًا في دراسة نظام اللغة في مستوياته المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، بل وجعل

المستوى الصوتي أساسًا لغيره من المستويات رجوعًا إلى طبيعة اللغة في أول عهدها.

المطلب الأول : في الفتح والإمالة :

الفتح – في تعريف القراء– هو "عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف"[1]، ويقال له أيضًا : التفخيم[2] والنَّصب[3].

وينقسم عند القراء إلى شديد ومتوسط :

فالشديد "هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف.."[4] وهو غير مستعمل لا لغة ولا أداءً. وأما المتوسط فهو "ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة"[5].

وهذا الأخير هو الجاري والمستعمل عند أصحاب الفتح من القراء.

ومن القراء الذين عرفوا بالفتح : قالون وابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب"[6].

أما **الإمالة** فهي "أن يُنحى جوازًا بالألف نحو الياء"[7]، وقد قيدها ابن يعيش بقوله "عدول عن الألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء"[8].

وبالتعبير الصوتي فالإمالة تقريب بين الصوائت، أي الاتجاه بالصائت قصيرًا كان أم طويلاً إلى حالة ارتكازية وسطى بين اثنين من قريناته.

وتنقسم الإمالة –اصطلاحا– إلى قسمين[9] : كبرى وصغرى.

فالكبرى أن تقرب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه، وهي الإمالة المحضة، ويقال لها الإضجاع والبطح[10].

والصغرى : هي ما بين الفتح والإمالة الكبرى، ويقال لها التقليل والتلطيف وبين بين؛ أي بين الفتح والإمالة الكبرى.

---

[1] النشر : 32/2.

[2] نفسه : 32/2.

[3] نفسه : 32/2.

[4] نفسه: 33/2.

[5] نفسه: 33/2.

[6] د. محمد سالم محيسن ، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية: ص 94.

[7] السيوطي، الاتقان: 91/1.

[8] شرح المفصل : 53/9.

[9] ينظر النشر : 24/2.

[10] ينظر د. محمد سمير نجيب اللبدي ، معجم المصطلحات النحوية والصرفية ص 130 و 22.

و من القراء الذين عرفوا بالإمالة : ورش، و أبو عمرو بن العـــلاء، و حمزة بن حبيب الزيات و الكسائي [1].

وقد اختلف العلماء في الفتح والإمالة أيهما الأصل وأيهما الفرع؟ ؛ فذهب فريق إلى أن كلا منهما أصل قائم بذاته ، وذهب فريق آخر إلى أن الفتح أصل والإمالة فرع عنه[2].

و أما ما يتعلق بعزو الفتح والإمالة، فقد ذكرنا في موضع سابق أن قدامى القوم نسبوا الفتح إلى أهل الحجاز، في حين نسبوا الإمالـــــــة- وباطلاق- لعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس، وقد تبين بعـد البحـث والتحري أن هذا الحكم تعوزه الدقة والموضوعية ، وحسبنا في ذلك مـــا قاله بعض المحدثين في هذه القضية:

يقول "إن الإمالة لم تكن مقصورة على تلك القبائل التي أشار إليـها الأقدمون في كتبهم، وإنما كانت ظاهرة أكثر شيوعا مما ذكـــروه، فقـد كانت تنتظم معظم القبائل العربية، وإن تفاوتت قلة وكثرة، فهي إذا صفـة كثيرة الشيوع جدا عن العرب في نطقهم[3].

وقد ساق د. أحمد علم الدين الجندي أدلة تؤيد ذلك المذهب وتؤكـد أن الإمالة لم تكن مقصورة على تميم ومن لف لفها مـــن أسـد وقيـس وغيرهم، وإن من أهل الحجاز من كان يميل أيضا، و خلـــص - بعـد الاستقراء من مطولات اللغة والنحو والتفسير- إلى أن من القبائل مـــن كان يتردد بين الفتح والإمالة ، ويضيق المقام هنا لذكر كل ما ورد فـــي الموضوع ، وحسبنا أن نذكر أمثلة عنه[4]:

-قال صاحب أسرار العربية "الإمالة تختص بلغة أهـل الحجـاز ومـن جاورهم من بني تميم وغيرهم"[5].

-وفي شرح السيرافي على سيبويه "وما يميلون ألفه – كل شيء من بنات الياء والواو مما فيه عين، إذا كان أول فعلت منه مكسورا نحـــوا نحـو الكسرة – كما نحوا نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء، – وهـــي لغة لبعض الحجاز، ومثل السيرافي لذلك بالفعل "خاف"، إنما أمالته لأنـه على وزن "فعل". وأصله خوف فلأجل الكسرة المقدرة في الألف جـازت إمالته"[6].

---

[1] المقتبس من اللهجات العربية ص 94 ، و ينظر د . أنيس ، في اللهجات العربية ص 61.

[2] ينظر النشر : 25/2، الاتقان : 93/1.

[3] د. عبد الفتاح شلبي ، الإمالة في القراءات واللهجات العربية ص 95.

[4] ينظر أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث (القسم الأول) ص 279 وما بعدها.

[5] ابن الأنباري ، ص406.

[6] شرح السيرافي على سيبويه : 334/5.

-عن زر بن حبيش قال : قرأ رجل على عبد الله بن مسعود (طه) ولم يكسر، فقال عبد الله (طه) وكسر الطاء والهاء، فقال الرجل (طه) ولم يكسر ، فقال عبد الله : (طه) وكسر الطاء والهاء فقال الرجل (طه) ولم يكسر، فقال عبد الله (طه) وكسر - ثم قال : والله لهكذا علمني رسول الله[1] (صلى الله عليه وسلم)، فكأن النبي (ص) - وهو القرشي الحجازي علم ابن مسعود القراءة بالإمالة.

والإمالة - في قصدها العام- تهدف إلى نوع من المماثلة بين الحركات وتقريب بعضها من بعض وقد صرح ابن يعيش أن الهدف منها هو "تقريب الأصوات بعضها من بعض، لضرب من التشاكل"[2]، وهذا الذي ذكره ابن يعيش نبه عليه ابن الجزري حين الإشارة إلى الغرض من الإمالة قال ".. الغرض من الإمالة حاصل بها هو الإعلام بأن أصل الألف الياء أو التنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء"[3]. فدل على أن الغرض من الإمالة يرجع إلى عاملين ، الأول : منهما هو الإعلام بأن أصل الألف الياء أو التنبيه على الأصل اليائي والثاني هو مشاكلة الألف للكسر أو الياء المجاورتان لها، وهما العاملان اللذان عزيت لهما إمالة الفتح إلى الكسر عند المحدثين[4].

ولعل بهذا يكون ابن الجزري قد سبق المحدثين إلى الإعلان عن هذين العاملين اللذين في ضوئهما يمكن تفسير صور الإمالة المشتملة على إمالة الفتح إلى الكسر، هذا مع الإشارة إلى أن العامل الثاني هو ما يعرف عند المحدثين بالانسجام بين أصوات اللين، ولا يخفى أن الانسجام الأصواتي هذا -كما صرحنا في غير ما مناسبة -، هو ضرب من المماثلة أو المشاكلة - بتعبير ابن يعيش وابن الجزري - أو التقريب في مستوى الحركات.

ومن ثم يمكننا أن نستنتج بأن القراء -كما اللغويين والنحاة- كانوا على دراية تامة بهذا التأثر الحاصل بين الصوائت -كما الصوامت-. ولا غرو، فقد عرف عن القراء - وخاصة المشهورين بالقراءة منهم - أنهم كانوا علماء بالعربية وأسرارها[5]، إلى جانب علمهم بالقراءات، وهم بهذا يجمعون بين اللغة والأداء أو بتعبير حديث - بين النظري

---

[1] النشر : 25/2.

[2] شرح المفصل 54/9.

[3] السابق : 24/2.

[4] ينظر د. أنيس ، في اللهجات العربية ص 68.

[5] عبده الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص 102 وما بعدها.

والإجرائي، وبذلك تكون أحكامهم وملاحظاتهم أكثر دقة وأقرب إلى روح اللغة وأسرار نظامها.

ومبدأ السهولة واليسر الذي تهدف إليه المماثلة والمشاكلة من خلال تخير أسهل الألفاظ على اللسان هو ما تهدف إليه – أيضا الإمالة عند القراء؛ فقد ذكروا أن فائدة الإمالة "هي سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة ، والإنحدار أخف على اللسان من الارتفاع"[1].

وفي محاولة لحل ما أشكل – أو بالأحرى – ما تضاربت فيه أراء القدماء في موضوع الأصلية والفرعية بين الفتح والامالة ذكر د. أنيس رأيا عالج فيه الموضوع بطريقة علمية، بحيث توصل إلى نتيجة مفادها أن الإمالة أقدم في حالات، والفتح أقدم في حالات؛ فالإمالة في الألف ذات الأصل اليائي قد تطورت أولا إلى الإمالة ثم تطورت الامالة إلى الفتح كما في الفعل (باع) وبيانه كالآتي:

(بيع) ← ثم (إمالة) ← ثم (فتح).

أما ما كان من الإمالة بغير أصل يائي أو إمالة الفتحة فقد أرجعه إلى ظاهرة الانسجام الأصواتي كما ذكرنا[2].

وأسباب[3] الإمالة عند القدماء يعود إلى شيئين– في الأصل– هما الكسرة والياء وإليك تفصيلها[4] :

1–كسرة متقدمة، ولا بد أن يحصل بين الكسرة المتقدمة والألف فاصل وأقله حرف واحد مفتوح نحو كتاب وحساب. وأما الفتحة الممالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة.

2–ياء متقدمة نحو (أياما)، (الحياة) ، (شيبان).

3–كسرة متأخرة نحو (عابد)، (من الناس)، (في النار).

4–ياء متأخرة نحو (مبايع).

5–كسرة مقدرة في المحل الممال نحو خاف أصله (خوف).

6–ياء مقدرة في المحل الممال نحو : يخشى ، أتى.

---

[1] النشر : 28/2.

[2] ينظر د. أنيس، في اللهجات ص 66 وما بعدها.

[3] يرى ابن جني أن يستعمل فيما كان جائزا مصطلح (أسباب) وما كان واجبا مصطلح (علل)، وذكر أن "من ذلك أن الأسباب الداعية إلى الإمالة هي علة الجواز" ينظر الخصائص : 164/1، وعلى هذا فالأصح عنده أن نستعمل في هذا الموضع كلمة (أسباب) بدلا من (علل). ويظهر أن هذا أثر من آثار المنطق في الدرس اللغوي.

[4] النشر : 25/2 وما بعدها، والكتاب : 117/4 وما بعدها.

7-كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة نحو (طلب-جاء-زاد) لأن الفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من التكلم والمخاطب ونون جماعة النسوة.
8-إمالة لأجل إمالة نحو (رأيت عمادا) فأمالوا الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة.
9-إمالة لأجل الشبه نحو (الحسنى) قالوا إنهم أمالوا ألفها لشبهها بالألف في (الهدى).
10-إمالة لأجل كثرة الاستعمال نحو (الناس) و (الحجاج).

ونظرة سريعة لهذه الأسباب يتضح منها انتظام الإمالة التأثر الرجعي والتأثر التقدمي أو هما معا، فالإمالة لأجل الكسرة والياء المتقدمتين تأثر تقدمي، يتأثر فيه الصوت الثاني بالأول، والإمالة للكسرة والياء المتأخرتين تأثر رجعي.

ولما كانت الإمالة من الفتح إلى الكسر ترجع إلى ذينك العاملين المذكورين، وهما الأصل اليائي وما يمكن اعتباره انسجاما بين الأصوات (الحركات)، فإن تفصيلنا لمظاهر الإمالة سيكون بهذا الاعتبار.

1.الأصل اليائي :

إن ما ترجع في الإمالة إلى الأصل اليائي يمكن حصره في الأمثلة الآتية :

1-ياء متقدمة نحو (أياما) و(الحياة) وهنا تكون الياء ملاصقة للألف الممالة، ومنه قولهم السيال (بفتح السين)، وذكر سيبويه أن من العرب من يقول كيال وبياع[1] بالإمالة، لأن الياء هنا كما قال "بمنزلة الكسرة التي تكون قبلها في نحو (سراج) و(جمال)[2].

وقد يفصل بين الألف الممالة والياء بحرف في نحو شيبان وحيوان و "الإمالة في شيبان أقوى منها في (حيوان) لأن الياء في الأولى ساكنة"[3]. كما قد يفصل بين الألف الممالة والياء بحرفين نحو (بيتها)، (يدها)، وقد فعلوا ذلك لأنهم يعتبرون الهاء صوتا خفيا أو فاصلا ضعيفا[4].

2-ياء متأخرة نحو -كما ذكرنا (مبايع). وهنا تمال الألف لأن الانتقال سيكون من صوت لين طويل ويكون معه الفم في أقصى درجات الانفتاح

---

[1] الكتاب : 121/4.
[2] نفسه : 121/4.
[3] عبده الراجحي، التطبيق الصرفي ص 191.
[4] الكتاب : 126/4، وعبد الراجحي ، التطبيق الصرفي ص 191.

إلى ياء مكسورة، ولا يخفى ما في هذا الانتقال من **صعوبة تستوجب** تقريب الألف من الياء.

3-ياء مقدّرة في المحل الممال : نحو : يخشى الهدى، مثل لها سيبويه بـ (مِعزَى وحبلى)[1]، ويدخل تحت هذا الباب كل اسم أو فعل "لا يكون من بنات الواو"[2] أي لا يكون أصل الألف فيها واوًا.

فـ(مِعزَى) من (مَعْزَيْتُ) و(حُبلى) من (حَبلَيتُ)، ونقول في التثنية (مِعزيان) و(حُبليان)، وما حدث في هذه الصيغ يعلله ابن الجزري بقوله: "تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا"[3].

4-إمالة لأجل الشبه في مثل (الحسنى)، وألف الإلحاق في نحو: (أرطى) لشبه ألفيهما بألف الهدى، و قال ابن الجزري "و يمكن أن يقال بأن الألف تنقلب ياءً في بعض الأحوال و ذلك إذا ثنيت قلت : الحسنيان و الأرطيان"[4].

هذا ما ترجع فيه الإمالة إلى الأصل اليائي، و هو -كما يظهر – لا يخدم ما نحن بصدده، لأن الأصل اليائي لا يجعل التقريب واضحا وله ما يبرره من جانب الميل الطبيعي إلى السهولة و الخفة في العملية التمفصلية، إنما الذي يتضح فيه ذلك، و تكون فيه المماثلة بين الحركات هدفا مقصودا يتوخاه الناطق و إن لم يسع لذلك بالإرادة المحضة، هو إمالة الفتح إلى الكسر، الذي يعتبر – في حقيقته – انسجاماً بين الحركات، و فيما يلي تفصيل مظاهره :

1-إمالة لأجل كسرة متقدمة في نحو كتاب و حِساب، و شبه سيبويه[5] التقريب هنا بالتقريب في صبقت، لأن تقريب الصاد في القاف يمليه كون الصوتين من أصوات الإستعلاء، فشبه به تقريب الألف من الكسرة المتقدمة بالإمالة، لتكون من جنسها.

2-الإمالة من أجل الكسرة بعد الألف الممالة نحو (عابد) قال[6] سيبويه "وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصّاد من الزاي حين قالوا : (صَدَرَ) فجعلوها بين الصّاد والزاي". والشبه يكمن في أن يرفع الناطق لسانه من موضع واحد، ولا ينتقل من فتح ثم كسر أو من استعلاء ثم استفال.

---

[1] نفسه : 120/4.

[2] نفسه : 120/4.

[3] النشر : 26/2.

[4] نفسه : 27/2

[5] الكتاب : 117/4.

[6] نفسه : 117/4.

3-الإمالة من أجل الكسرة المقدرة في المحل الممال نحو : خاف، وأصله (خَوِفَ) بكسر عين الكلمة وهي الواو، وقد "قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها"[1]. وقد أنكر د. ابراهيم أنيس هذا النوع من الإمالة؛ ذلك أن عين الفعل واو، ومن ثم كان حق الإمالة أن تكون من الفتح إلى الضم لا من الفتح إلى الكسر[2]، ويبدو أن د. أنيس قد قاس الإمالة من أجل الياء المقدرة، على الإمالة من أجل كسرة مقدرة، فقاده ذلك إلى الاعتقاد بأن الإمالة كان يجب أن تكون إلى الضم لا إلى الكسر، بناء على أصل الألف الممالة ، ولأن الألف في (يخشى) و(الهدى) أصلها الياء وأصل الألف في (خاف) هو الواو كما ذكرنا.

ولكن الذي يظهر أن إمالة (خاف) للكسر له ما يبرره إذا اعتبرنا الأسس التي اعتمدها النحاة والقراء في هذا النوع من الإمالة.

فأول هذه الأسس أنهم أعلنوا عن أن هذه إمالة لأجل الكسرة التي تعرض في بعض تصاريف الفعل، وليس لأجل الأصل ياء كان أو واوًا.

وأما الأساس الثاني فهو أن النحاة وضعوا في الاعتبار حركة عين الفعل، ولما كانت مكسورة جعلوا الإمالة لأجل الكسرة، يقول السيرافي[3] "أما إمالة خاف فلأنه على (فَعِلَ)، والأصل خَوِفَ ، فللكسرة المقدرة في الألف جازت إمالته". هذا إلى أن وزن الفعل عند إسناده إلى تاء الضمير يصير (خِفت) بالكسر، ولا فرق -عند النحاة- بين ما كان من ذوات الواو أو الياء من الأفعال الجوفاء مما كُسر أوله عند الإسناد في جواز إمالته.

هذا إلى أن اعتبار القدماء بحركة العين في الفعل، وجعل الإمالة حدثًا كلاميًا -في مستوى الأداء يُؤَسَّسُ على قاعدة منها- يعزز لدينا القناعة بأن العين -كما قال المحدثون- لأهميتها في الصيغة الفعلية العربية، تمثل عنصر الاستقرار في الصيغة، وهي تمثل في الصيغة الثلاثية قمة هرمية تكون عامل انسجام واستقرار، كما أن حركة العين تمثل عنصُر التمييز في الصيغة[4].

وفي ضوء هذا الفهم يمكن أن نبرر الإمالة إلى الكسر صوتيا، في كل ما كان على هذه الشاكلة من الأفعال.

---

[1] النشر : 26/2.

[2] في اللهجات العربية ص 69.

[3] شرح السيرافي على الكتاب: ٣٣٧/٥ .

[4] يراجع الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص192-193.

4-الإمالة لأجل كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة نحو طاب وشاء لأن "الفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث فتقول طِبت وجِئتُ وشئت.."[1].

5-إمالة الفتحة الطويلة (وليس الألف) لأجل الكسرة، وذلك في مثل قولهم "يضربها" ، "لأن الهاء خفية والحرف الذي قبل الحرف الذي يليه مكسور فكأنه قال: يَضْرِبا"[2] وهنا أثرت الكسرة المتقدمة في الفتحة الطويلة فأمالتها.

ولأن القدماء لم يدركوا حقيقة صوت اللين الطويل (الألف)، فقد أسموه ألفًا كما أسموا الفتحة فتحة، في حين أن الألف في حقيقته فتحة طويلة ليس إلا، ولا فرق بين الألف والفتحة إلا في الكمية (Duration) أو الزمن الانتاجي.

6-إمالة لأجل إمالة في نحو قولهم : "رأيت عمادًا" فـ "أمالوا الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة"[3].

والمهم في هذا العرض لأسباب الإمالة العائدة إلى الانسجام الحركي، المهم أن نعرف أن العربي حين أمال في تلك الأمثلة إنما أمال لأجل التخلص من انتقال اللسان بين فتح وكسر أو العكس، وتلك عملية عضوية تحدث بفعل غير إرادي تمليه ظروف اجتماعية وخصائص معيشية وعوامل أخرى. ولعل شيوع ذلك في البوادي دون الحضر دليل على ميل العربي البدوي إلى السهولة والخفة حتى في تحقيق أصوات اللغة وحركاتها أملاه طبعه المتحول الذي لا يستقر على حال.

ولهذا فإن هذا النوع من الإمالة، يعد تطورًا في مستوى الأداء يشهد على تطور اللغة وإبائها على الجمود.

على أن الإمالة لا تقتصر على إمالة الفتحة إلى الكسرة أو الألف إلى الياء، فقد ذكر د. أنيس أن هناك نوعًا آخر هو إمالة الفتحة إلى الضمة والألف إلى الواو[4]، وذكرنا في موضع سابق أن ابن جني نبه على إمالة ألف التفخيم في كلمات مثل الصلاة الزكاة والحياة وهذا ما يفسر كتابتها في الرسم القرآني بالواو (الصلوة، الزكوة، الحيوة)[5].

كما أن هناك نوعين آخرين ذكرهما ابن جني وهما : الكسرة المشوبة بالضمة في الفعل الثلاثي الذي قلبت عينه ألفًا في الماضي إذ بني

---

[1] النشر : 2/26-27.

[2] الكتاب : 4/123.

[3] النشر : 2/27.

[4] في اللهجات العربية ص 65.

[5] سر صناعة الإعراب 1/55-56.

للمجهول مثل قيل، وبيع، وغيض وسيق. وكذا الضمة المشوبة بالكسرة كأن يمال (بوع) نحو الكسرة[1]. وهذا النوع الأخير يعتبره د. أنيس الأقل شهرة وشيوعًا وإن رويت به لهجات العرب[2].

ومما سبق نخلص إلى أن الإمالة في العربية أربعة أنواع، أشهرها وأكثرها شيوعا إمالة الفتح إلى الكسر أو الألف إلى الياء.

ونحن في تناولنا لظاهرة الإمالة في القراءات ننطلق من أساس هو أن القراء أبناء بيئاتهم، وطبيعي أن تشيع الإمالة في قراءاتهم إذا كانت بيئاتهم تشتمل عليها، وليس كل القراء عرفوا بالإمالة أو اشتهروا بها، قبائل وسط الجزيرة وشرقيها.لأن ذلك يتوقف على اتساع رقعة الإمالة أو ضيقها. ومن ثم فإن القراء الذين عُرفوا بالامالة، هم ممن استوطنوا البيئة العراقية التي استوطنتها .

فمن القراء المعروفين بالإمالة في كتب القراءات، حمزة (ت 156هـ)، خلف (ت 220هـ)، ثم الكسائي (ت 189هـ)، وهؤلاء جميعا كوفيون، ولا بد أن يكونوا تأثروا بقبائل بيئتهم العراقية فظهرت الإمالة في قراءاتهم[3].

ولعل أشهر من عرف بالإمالة وكان فيها مكثرا علي بن حمزة الكسائي، فقد اختص فيها بأشياء خالف فيها نظراءه من القراء. ولهذا السبب وقع اختيارنا على قراءته بوصفها نموذجاً ندرس من خلاله ونتلمس ظاهرة الإمالة ومذهبه فيها، ونكشف –إن كان بالإمكان– ما يعلل لهذه الظاهرة عنده صوتيًا، خاصة إذا اعتبرنا ما يقال[4] بغلبة الدرس اللغوي عليه، حتى في مسائل القرآن والقراءات.

---

[1] نفسه 1/55-56.

[2] في اللهجات العربية ص 66.

[3] نفسه ص 71.

[4] معاني القرآن للكسائي، بناء وتقديم د. عيسى شحاته عيسى ص 42-43.

المطلب الثاني: الإمالة بين الكسائي وسيبويه :

قد يكون هذا العنوان مألوفًا في الدرس اللغوي، خاصة عند أولئك الذين عُنُوا بمقارنة جهود الكسائي الكوفي بجهود معاصره سيبويه إمام مدرسة البصرة في موازنة بين المدرستين. كما قد يوحي بموازنة بين الكسائي القارئ وسيبويه النحوي، في موازنة بين القراء والنحاة. ونسارع إلى القول بأن المراد من هذا العنوان وما سيندرج تحته لا يقصد إلى شيء من ذلك، بل يبتغي الوقوف على تناول الرجلين لظاهرة الإمالة، من حيث هي لون من ألوان المماثلة بين الحركات، ومحاولاً أيضًا الوقوف على ما يبرر لهذه الظاهرة صوتيًا عند الفريقين. ومن ثم يمكننا الموازنة بين من سُمّوا بأهل اللغة ومن سُمّوا بأهل الأداء من قدماء القوم.

-مظاهر الإمالة بين الكسائي وسيبويه.

1-الإمالة لأجل الياء المقدرة في المحل الممال:

أمال الكسائي كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن، سواء كانت في فعل أو اسم نحو (الهدى، الزنا، مأواكم، مثواكم، الأعلى، الأشقى، أتى، سعي، يخشى، اجتبى، استعلى). كما أمال كل ألف تأنيث جاءت من (فعلى) مفتوح الفاء أو مضمومها أو مكسورها نحو (موتى، مرضى، السلوى) وألحق بذلك (يحيى وموسى وعيسى)[1].

وأمال أيضًا ما كان على مثال (فعالى) مضموم الفاء أو مفتوحها مثل (أسارى، كسالى، سكارى...)، كما أمال من الواوي ما كان مكسور الأول أو مضمومه، وهو (الربا) و(الضحى)، و(القوى) و(العلى). والسبب في إمالة هذه الأمثلة الأخيرة -عند الكسائي- "فرارًا من الواو إلى الياء لأنها أخف حيث ثقلت الحركات، بخلاف المفتوح الأول"[2]. ويُستفاد من ذلك أن من العرب من كان يثنّي ما كان من ذوات الواو بالياء، وهذا أيضا مذهب أهل الكوفة في تثنية ما كان من ذوات الواو[3].

وقد ذكر ابن الجزري علة صوتية أخرى تبرر إمالة ألف (الربا)، وهي إرادة التناسب بين الراء (المكسورة) والألف، ويعني به تقريب الألف من الكسرة المتقدمة.

هذا وأشار سيبويه إلى هذا النوع من الإمالة بقوله : "وكذلك باب غزا، لأن الألف هنا كأنها مبدلة من ياء"[4].

---

[1] ينظر د. أحمد مختار عمر ، عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية صفحات :
140/107/105/104/91/85/84/79/67/62/61/58/56/49/40/30/20/17 وغيرها، وينظر سبط الخياط، الاختيار في القراءات العشر ص228 و ص240-250، وأبو منصور الأزهري، كتاب معاني القراءات ص 43.

[2] النشر، ابن الجزري : 29/2.

[3] ابن الأنباري ، الأنصاف في مسائل الخلاف.

[4] الكتاب : 132/4.

2-الإمالة لأجل إمالة :

أمال الكسائي الراء في (رأى) تبعًا للهمزة سواء إذا كان ما بعده متحركًا أو كان ما بعده ساكنًا. فأما ما كان متحركًا فينقسم قسمين، ظاهر ومضمر :

أما الظاهر ففي سبعة مواضع من القرآن الكريم وهي "رأى كوكبًا"[1]، "رأى أيديهم"[2]، "رأى قميصه"[3]، "رأى برهان ربه"[4]، "رأى نارًا"[5]، "ما رأى"[6] و"لقد رأى"[7]. فالهمزة ممالة للياء المقدرة بعدها في المحل المُمَال، ثم أميلت الراء لإمالة الهمزة إتباعًا لها. وإمالة لأجل إمالة ذكرها سيبويه ومثل لها بقول من قال رأيت عمادا[8]. فالألف الأولى ممالة لأجل الكسرة قبلها، والألف المبدلة من التنوين ممالة لأجل الإمالة قبلها. ولعل ذلك له ما يبرره من الناحية الصوتية؛ إذ إن الانتقال من إمالة ففتح، يصعب تحقيقه على اللسان فماثلوا بين الموقعين في الإمالة ليتحقق الانسجام الحركي.

وأما المضمر فمثل قوله تعالى "رآك الذين كفروا"[9] وقوله"رآها تهتز"[10]، ولافرق بين الإمالة هنا والإمالة هناك، لأن الضمير لا يؤثر في تحقيق الإمالتين معًا كما لم يؤثر الظاهر -كما رأينا-.

وأما ما كان ساكنًا ففي ستة مواضع من كتاب الله تعالى وهي: "رأى القمر"[11]، "رأى الشمس"[12]، "رأى الذين ظلموا"[13]، "وإذ رأى الذين أشركوا"[14]، "رأى المجرمون"[15]، "ولما رأى المؤمنون الأحزاب"[16]. وهنا فتح الكوفيان الآخران -وأعني بهما حمزة وخلفًا- الهمزة ولم يميلوها خلافًا للكسائي[17].

---

[1] سورة الأنعام: 76.
[2] سورة هود : 70.
[3] سورة يوسف : 28.
[4] سورة يوسف : 24.
[5] سورة طه : 10.
[6] سورة النجم : 11.
[7] سورة النجم : 18.
[8] ينظر الكتاب : 127/4.
[9] الأنبياء : 36.
[10] النمل، القصص (10-31)
[11] الأنعام : 77.
[12] الأنعام : 78.
[13] النحل : 85.
[14] النحل : 86.
[15] الكهف : 53.
[16] الأحزاب : 22.
[17] النشر : 26/2.

ويلاحظ هنا أن الانتقال من الإمالة إلى السكون (في اللام القمرية)، ومن الإمالة إلى التضعيف بالإدغام (في اللام الشمسية). ولعل الانتقال من الإمالة إلى السكون والتشديد، أصعب منه تحقيقًا لو كان إلى المتحرك كما رأينا في أمثلة المتحرك. ويغلب على الظن أنه لهذا السبب فتح كل من حمزة وخلف الهمزة بدلاً من إمالتها، وما فعله الكسائي ربما يكون طردًا للباب على وتيرة واحدة.

3- الإمالة لأجل كسرة متأخرة :

أمال الكسائي كل ألف بعدها راء متطرفة مجرورة سواء أكانت الألف أصلية أم زائدة نحو (النهار، الديار ، الكفار، أنصار، أبصارهم، ديارهم)[1] وغيرها. فكسرة الراء المتأخرة أثرت في الألف (الفتحة الطويلة) تأثيرًا رجعياً فأمالته للكسر. هذا وذهب سيبويه مذهبًا آخر غير مذهب القراء، وذلك حين علل لهذه الإمالة بقوله "وأما في الجر [أي جر الراء المتطرفة] فتميل الألف.. لأنها كأنها حرفان مكسوران، فتميل هنا، كما غلبت حيث كانت مفتوحة ونصبت الألف"[2]، والذي يعنيه سيبويه من ذلك أن الراء قويت على نصب الألف في مثل هذا راشد، لأن الراء – عنده – "إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة"[3]، وهذه إشارة إلى صفة التكرير فيها. وقد مرّ بنا أن التكرير صفة قوة في الراء مما يكسبها قوة إسماع، –أو بتعبير صوتي آخر– وضوحًا سمعيًا يفوق نظيراتها من الأصوات.

هذا ووقوع الراء مكسورة بعد ألف (أي بعد فتحة طويلة) يزيدها قوة في إسماعها خاصة إذا وُقف عليها كما أشار إلى ذلك سيبويه.

فإذن، لما قويت الراء على نصب أو فتح الألف في مثل هذا راشد، قويت أيضًا –في نظر سيبويه – على إمالته للعلة نفسها، وهي أن النطق بالراء كالنطق بحرفين مكسورين. ولا شك أن في ذلك من القوة ما يجعله قادرًا على إمالة الألف.

وجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أن سيبويه شبه قوة الراء المفتوحة على فتح الألف بقوة الأصوات المستعلية على فتح الألف أيضًا، وذلك إذا وقعت هذه الأخيرة بعد صوت من تلك الأصوات، وذلك يعني أن حروف

---

[1] النشر : 42/2، ويراجع معجم القراءات القرآنية صفحات 32-50-81-130-210-216 وغيرها والاختيار في القراءات العشر ص 235 وما بعدها، وتحبير التيسير لابن الجزري ص 69.

[2] الكتاب : 136/4.

[3] الكتاب : 136/4.

أو أصوات الاستعلاء تمنع الإمالة لإستعلائها[1]، وإن وقعت بعد الألف ما يجيز الإمالة مثل الكسرة المتأخرة التي نحن بصددها.

وأما ما وقعت فيه الراء مكسورة من هذا الباب مثل (الأبرار، الأشرار، قرار) ، فقد أماله الكسائي أيضًا، وهو أيضًا مما أماله أبو عمرو بن العلاء القارئ[2].

4-الإمالة من أجل كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة :

وذلك في عشرة أفعال ذكرها القراء وهي (زاد، شاء، جاء، خلب، خاف، زاغ، طاب، ضاق، حاق)[3]. فأمال الكسائي منها (جاء ، شاء، زاد)[4] وفتح في الباقي.

ونسب سيبويه لبعض أهل الحجاز إمالة كل شيء مما كان "من بنات الياء والواو مما هما فيه عين، إذ كان أول فعلت مكسورًا نحوا نحو الكسر"[5]، وقد مرّ بنا الحديث عن هذا النوع من الإمالة واعتبار القدماء بحركة الفاء فيها، في حال اتصال ضمير الرفع في المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث.

5-الإمالة من أجل ياء متأخّرة:

وذلك في مثل قوله تعالى "التوراة"[6]. لأن الألف الممالة هنا جاءت بعدها ياء – حسب الرسم القرآني –، فأميلت الألف للياء بعدها، تحقيقًا للانسجام والخفة في تحقيق الكلمة.

وقد أمال ذلك الكسائي وأبو عمرو وخلف وغيرهم[7].

6- إمالة "الكافرين":

أمالها الكسائي[8] من رواية الدوري في مثل قوله تعالى "مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ"[9]. ويبدو أن السبب في هذه الإمالة هي الكسرة المتأخرة التي في الفاء، وقد تقرر لدى النحاة أن الراء المتأخرة إذا كانت مكسورة أمالت الألف قبلها إذ لم يكن بينهما فاصل ، غير أن الأمر مختلف هنا ، إذ فصل بين الراء والألف حرف وهو عين الفعل المجرد.

---

[1] نفسه : 128/4 وما بعدها.

[2] ينظر النشر : 42/2.

[3] النشر : 45/2، والاختيار في القراءات العشر ص 237 و 238.

[4] الاختيار في القراءات العشر ص 238.

[5] الكتاب : 120/4.

[6] سورة الصف من الآية :06

[7] النشر : 46/2.

[8] النشر : 47/2.

[9] سورة النمل من الآية 43.

هذا وقد رأينا في "الإمالة من أجل كسرة متأخرة" كيف أن الراء إذا كانت في موضع رفع أو نصب قويت على الألف فتمنع إمالته، كما نص على ذلك سيبويه[1]، بخلاف ما إذا كانت مكسورة ومتأخرة فإنها تميله لقوتها كما ذكرنا، ومن ثم كان حق الراء أن تمنع الإمالة في مثل (الكافرون) بالرفع، و(رأيت الكافرين) بالنصب، غير أنه لوقوع حرف بينها وبين الألف وهو عين الفعل -كما ذكرنا وكان مكسورا-، فأميلت الألف لكسرته، وهو إن دلّ فإنما يدل مرة أخرى على أن عين الفعل وحركتها لهما اعتبار في عملية الامالة، لما تمثله من استقرار وتمييز في الصيغة الفعلية في العربية.

7-إمالة أحرف الهجاء في أوائل السور:

وهي (الراء) من "الر" من أول يونس وهود، ويوسف وابراهيم والحجر، ومن (المر) أول الرعد ، أمال الكسائي[2] الراء في جميعها.

وإمالة الهاء من (كهيعص) و (طه) أمالها الكسائي[3]، في جميع ذلك.

وإمالة الياء من (كهيعص) و (يس) أمالها الكسائي[4] فيهما أيضاً.

وإمالة الطاء من (طه) ومن (طسم) في الشعراء والقصص، ومن (طس) في النمل، أمالها الكسائي[5] في جميع ذلك.

وإمالة الحاء من (حم) في السور السبع، أمالها الكسائي[6].

وقد أمال الكسائي وغيره هذه الفواتح لأنها أسماء، والأسماء تجوز إمالتها، قال الخليل "لو سميت رجلاً بها أو امرأة جازت فيها الإمالة"[7]، وقال سيبوية "وقالوا باء وتاء في حروف المعجم لأنها أسماء ما يلفظ به، وليس فيها ما في "قد"، و "لا"، وإنما جاءت كسائر الأسماء لا لمعنى أخر"[8]. و ما يمنع "قد" و "لا" من الإمالة هو بناؤهما على السكون [9] .

أما ما يبرر هذه الإمالة من الناحية الصوتية فإن النطق بهذه الفواتح بالفتح يجعل اللسان في حالة انبساط في قاع الفم، مما يجعل الهواء حرا دون مقطع يعترضه، و الفتحة – كما عرفنا – حركة منفتحة، و لا يخفي ما في الانفتاح من جهد يبذله جهاز التصويت. فإمالة هذا الفتح

---

[1] يراجع الكتاب : 4/ 136 وما بعدها.

[2] النشر : 50/2 وما بعدها ، والاختيار في القراءات العشر ص241 وما بعدها.

[3] النشر : 351/2.

[4] نفسه : 53/2.

[5] نفسه : 53/2.

[6] نفسه : 53/2-54.

[7] كتاب العين : ١٢٤/٨ وينظر سيبوية : 135/4.

[8] الكتاب : 135/4.

[9] النشر : 27/2

إلى الكسر ينقص من الجهد المبذول لجهاز التصويت، لأن اللسان سيأخذ معه وضعا متجها فيه إلى الحنك الأعلى معترضا بذلك حركة مرور الهواء الخارج من الرئتين.

8-إمالة هاء التأنيث و ما قبلها في الوقف:

أما الكسائي الهاء التي تكون في الأصل تاءً و ما قبلها آخر الاسم، في نحو (رحمة)و (نعمة)، و ذلك إذا كان الحرف أحد خمسة عشر حرفاً من حروف المعجم، و قد جمعها القراء في أربع كلمات هي (فجثت رينب لذود شمس)، أو كان الحرف "كافاً" قبلها كسرة، أو "ياء" ساكنة، أو "راء" قبلها كسرة ، أو ساكن غير مطبق قبلها كسرة، أو "هاء" قبلها كسرة، أو ساكن قبله كسرة، أو همزة قبلها ياء ساكنة أو كسرة [1].

و هذا النوع من الإمالة – كما تروي كتب القراءات- اختص به الكسائي، و حينما سُئِل في ذلك قال : هذا طباع العربية، قال أبو عمرو الداني معلقاً على هذا : يعني بذلك أن الإمالة هنا لغة أهل الكوفة، و هي باقية فيهم إلى الآن و هم بقية أبناء العرب" [2].

و الذي يبرر هذه الإمالة من الناحية الصوتية – إذا إعتبرنا ما قاله سيبويه عن تشبيه العرب الهاء بالألف- تبرره إرادة المناسبة بين الألف و ما قبلها في قولهم : أراد أن يضربها راشد [3] ، فأمالوا الهاء للألف بعدها يقول سيبويه : "سمعت العرب يقولون: "ضربته ضربة"، و "أخذت أخذه"، شبه الهاء بالألف، فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف" [4]. فلما أمالوا الهاء للألف بعدها في (يضربها)، أمالوا أيضا ما قبل هاء التأنيث تشبيها لها بالألف.

و يبدوا أن إمالة ما قبل هاء التأنيث إنما تمال لأجل كثرة استعمالها ككلمة الناس، ذلك أنه يكثر في كلام الناس تردّد مثل تلك الكلمات المنتهية بهاء التأنيث. وإذا كان ذلك شائعا على عهد الكسائي و سيبويه عند أهل الكوفة، فإن انتشاره زاد طولا و عرضا؛ طولا بحيث امتد قرونا بعد ذلك، وعرضا بحيث صار سمة شائعة في مختلف جهات الجزيرة العربية، قال ابن الجزري – و قد توفي في النصف الأول من القرن التاسع الهجري : "و الإمالة في هاء التأنيث و ما شابهها نحو (همزة، لمزة، خليفة، و بصيرة) هي لغة الناس اليوم – أي على عهده – و الجارية على ألسنتهم في أكثر البلاد شرقا و غربا و شاما و مصرا لا

---

[1] النشر : 62/2 و الاختيار 241 و ما بعدها، و تحبير التيسير لابن الجزري ص 72 .

[2] ينظر النشر : 62/2.

[3] الكتاب : 136/4.

[4] الكتاب : 140/4-150.

يحسنون غيرها و لا ينطقون بسواها ، يرون ذلك أخف على لسانهم و أسهل في طباعهم"[1].

و الحق أن إمالة ما قبل هاء التأنيث في الوقف لا تزال جارية على ألسنة الناس إلى يوم الناس هذا خاصة في الشام، حيث نسمعهم ينطقون كل ذلك بإمالة ما قبل الهاء.

بقيت الإشارة الآن إلى أن قدامى القوم من علماء العربية و القراءات اختلفوا في هاء التأنيث؛ هل هي ممالة مع ما قبلها، أو أن الممال هو ما قبلها فقط، و قد حاول ابن الجزري أن يقرب بين الرأيين و يخلص إلى أن الخلاف كان لفظا و أن الرأيين ينطلقان من أساس واحد.

وقبل أن نعرض للرأين ننبه إلى مسألة و هي أن ابن الجزري نقل عن سيبويه قوله "إنما أميلت الهاء تشبيها لها بالألف". و يبدوا أن هذا النص ليس هو نص سيبويه الذي بين أيدينا. فالنص الذي بين أيدينا هو "شبه الهاء بالألف فأمال ما قبلها، كما يميل ما قبل الألف" [2]. و الذي يظهر أن تصحيفا ما كان في نسخة ابن الجزري لكتاب سيبويه أو لعله سوء حفظ.

و هذا الذي ذكرناه جعل ابن الجزري ينسب إمالة هاء التأنيث مع ماقبلها لسيبويه، مع أن ظاهر النص الذي بين أيدينا مخالف لذلك، فقد نص سيبويه على أن من أمال الهاء "أمال ما قبلها، كما يميل ما قبل الألف"، والألف هنا هي كل ألف ممالة نحو:"المنابر، كافر، مناشيط و غيرها، فيمال ما قبل الألف فيها تقريبا للفتح من الكسر. وعلى هذا فإن مذهب سيبويه هو إمالة ما قبل هاء التأنيث لا غير.

فالرأي الأول إذن، وهو أن هاء التأنيث ممالة مع ما قبلها ذهب إليه أبوعمرو الداني و من تبعه. و أما الرأي الثاني، و هو مذهب مكي بن أبي طالب و غيره، و هو ظاهر ما اختاره سيبويه. و قد احتج ابن الجزري [3] للمذهب الثاني بأن الداني و من ذهب مذهبه، لن يدّعوا تقريب الهاء من الياء، و لا تقريب الفتحة فيها من الكسرة، إذ لا فتحة فيها.

واحتج للمذهب الأول بأن الهاء إن أميلت لا بد أن يصحبها في صوتها حال من الضعف خفي، يخالف حالها حين لم يكن قبلها ممال، وهو أمر لن يمانع فيه مكي و من ذهب مذهبه.

و يبدوا أن مذهب سيبويه هنا أقرب إلى الواقع اللغوي؛ إذ إنه لا يمكن القول بأن هاء التأنيث عند من أمالها يصيبها حال من الضعف

---

[1] النشر : 136/2.

[2] الكتاب : 140/4-141.

[3] النشر : 66/2-67

لأنها أصلا ضعيفه بالسكون، والإمالة كما رأينا هي تقريب حركة من حركة، و قد نص على ذلك ابن الجزري نفسه.

أما الإمالة في مثل (الصلاة)، (الزكاة)، و هو ما نبه ابن جني على إمالته إلى الضم، فإن الكسائي – و غيره من القراء- لا يجيزون إمالة الألف فيها لأنها- في نظرهم – لو أميلت لزم إمالة ما قبلها[1]، و قد نقل ابن الجزري عن أبي عمرو الداني أدلة تدعم مذهبهم، فيها من الغموض ما جعل ابن الجزري نفسه يعترف به.

وأما ما ذكره ابن جني من إمالة الكسرة إلى الضمة أو الكسرة المشوبة بالضمة في الفعل الثلاثي الذي قلبت عينه ألفا في الماضي إذا بني للمجهول مثل (قيل) فقد قرأ بها الكسائي و غيره.

وجاء في كتاب معاني القراءات ما نصه : قوله تعالى "**وَ إِذَا قِيلَ لَهُم**"[2]، قرأ الكسائي و يعقوب (قِيل) و (غِيض)[3] ، و (سِيء) [4] ، (سِيئت) يضم أوائل هذه الحروف حيث وقعت، و علتهما [أي الكسائي و يعقوب] أن الأصل فيهن الضم، نحو (قول) و (حول)[5]، و (غيض) ،و (سُيئت)"[6].

وهذا إن دلّ فإنما يدل على إعتراف الكسائي بهذا النوع من التقريب؛ أي تقريب الكسرة من الضمة، و الامالة –في حقيقتها – تقريب حركة من حركة. الأمر الذي يبعث على الظن بأن الكسائي اعترف بوقوع هذا النوع من الإمالة و إن لم يخرج فيه عن اصطلاح النحاة الذي هو الإشمام، قال أبو منصور الأزهري معلقا على ذلك: "و من كسر فلاستثقال الضمة مع كسرة الواو، و ضم فإنه يشم و لا يشبع الضم، والعربي الناشئ في البادية يطوع لسانه لضمة خفية يجفوا عنها لسان الحضري المتكلف" [7].

و بعد ... فتلك بعض أمثلة ما تناول فيه الكسائي ظاهرة الإمالة سواء بإعتبار الأصل اليائي أو بإعتبار الإنسجام بين الحركات. و قد لاحظنا كيف أن الكسائي–و غيره من القراء- لم يخرجوا عما قرره النحاة في هذا الشأن، و كان تعليلهم لهذه الظاهرة منطلقا من أساس أنهم علماء باللغة أولا، قبل أن يكونوا قراءَ، و قد وجدنا ابن الجزري يعوف

---

[1] ينظر النشر : 67/2.

[2] سورة البقرة ، من الآية 88.

[3] سورة هود من الأية 44.

[4] سورة هود من الآية 77 و العنكبوت 33.

[5] سورة سبأ من الآية 54 .

[6] أبو منصور الأزهري، كتاب معاني القراءات ص 42.

[7] نفسه الصفحة نفسها.

الإمالة بأنها تقريب الفتحة من الكسرة و الألف من الياء، و هذا ما تقرره كتب اللغة و النحو عن حقيقة هذه الظاهرة.

المطلب الثالث : الإمالة ومقاييس أصوات اللين في العربية.

تحتوي العربية على ثلاثة صوائت أساسية؛ هي الضمة بنوعيها قصيرة وطويلة، والفتحة بنوعيها قصيرة وطويلة، والكسرة بنوعيها قصيرة وطويلة. وقد عرفنا حين حديثنا عن الألف أن الهواء مع هذه الصوائت يخرج مندفعاً من الرئتين دون أن يعترضه حاجز يسد مجراه أو يضيقه. كما عرفنا أيضاً أن الألف (الفتحة الطويلة) -وكذلك سائر الصوائت- يتصف بصفة الجهر، لأنه حين النطق به وبسائر الصوائت يهتز الوتران الصوتيان فيتولد الجهر، ومن ثم نعرف أن الصوائت كلها مجهورة.

وقد لاحظ المحدثون أن هذه الصوائت تمتاز -بالإضافة إلى الجهر- بخصائص أخرى، منها أنها تمتاز بوضوحها السمعي قياساً إلى الصوامت، وكذا كثرة دورانها في الكلام، واعتمادها على طرق تشكيلية متعددة تعوض افتقارها إلى مخارج دقيقة ثابتة كما هو الحال في الأصوات الصامتة.[1]

ولعل هذه الخصيصة الأخيرة كانت الدافع الرئيس لبعض المحدثين لوضع مقاييس معيارية، تصف مخارج هذه الصوائت بشكل جميع اللغات. وأول من اهتم بوضع هذه المقاييس هو الأستاذ دانيال جونر[2]، وقد كان موفقاً إلى حدّ بعيد-وبعد جهود مركزة ومتواصلة -في جعل هذه المقاييس قابلة للتطبيق على أغلب لغات العالم إن لم تكن جميعها.

هذا إلى أن العربية تضم صوائت أخرى -إضافة إلى الثلاثة السابقة المعترف بها-، منها الإمالة والروم والإشمام والتفخيم والترقيق وغيرها. بيد أن هذه الصوائت هي أصوات فرعية من تلك الثلاثة الأصلية، وما يهمنا من هذه الصوائت هي الإمالة، بوصفها لوناً من ألوان التقريب بين الصوائت الأصلية، وبتمثيل هذه الأخيرة على مدرج أصوات اللين، سيُمكّن -لا محالة- من الوقوف على نقطتين لهما بالغ الأهمية في تفسير هذه الظاهرة تفسيراً صوتياً يخدم الهدف العام من هذا البحث وهما:

1- معرفة وضع اللسان مع كل نوع من أنواع الإمالة، انطلاقاً من أن عملية النطق هي عملية عضوية بالأساس، ونحن نعلم أن كل ما كان خفيفاً على اللسان وسهلا في التحقيق، كان هدفاً مطلوباً عند العربي.

---

[1] د. أنيس، الأصوات اللغوية ص 29-30.

[2] في كتابه الشهير "An out line of English phonitics" تنظر الصفحات (من 31-39).

2-إن تمثيل الإمالة على مدرج أصوات اللين، سيمكننا من تبرير لمـــاذا اشتهرت إمالة الفتح إلى الكسر دون غيرها من أنواع الأمالة؟، ذلك النوع الذي اكتفى الباحثون بذكر اشتهاره دون محاولة تفسير ذلك، في ضـــوء معطيات علم الأصوات الحديث.

1)- المقاييس المعيارية للصوائت :

اهتم الدارسون من المحدثين بمقاييس الصوائت اهتماماً بالغاً، لكون هذه المقاييس تعتبر -بالقياس إلى الصوامت- مخارج حقيقية للصوائـت، يمكن من خلالها وصف مخرج كل صائت وصفاً دقيقاً، وبالتالي الوقـوف على ماهيته الانتاجية.

ويبدو أن التطور الحاصل في ميدان دراسة اللغات ومقارنة بعضها ببعض، إضافة إلى انفتاح الثقافات على بعضها، وظهور مناهج جديدة في مختلف ميادين الدراسة، كل هذه العوامل جعلت تعلُّم لغات الغير أكثر من ضرورة، بل جعلت منه مطلباً حضارياً واقتصادياً وغيرهما. بيد أن تعلُّـم اللغة الأجنبية يتطلب معرفة سواكنها وعللها، ومخارج كل صوت مـــن أصوات هاتين المجموعتين معرفة دقيقة تقرب الناطق مـــن روح اللغـــة المراد تعلمها.

ولئن كانت السواكن أو الصوامت موصوفة المخارج في كل اللغات وصفاً دقيقاً بشكل يَسهُل معه التمكن من النطـــق بـــها، فـــإن العلـــل أو الصوائت تعد أصعب تحقيقاً، وإخراجها من غير مخارجها يفـــرق بيـــن صاحب اللغة وبين الأجنبي عنها[1]. ولأجل ذلك وغيره من العوامل، قـــام الأستاذ دانيال جونر -كما أسلفنا- بوضع هذه المقاييس العامة، تقاس بـــها أصوات اللين في كل لغة وتنسب إليها. وقد قبس هذه المقاييس من عـــدد من اللغات المشهورة لتكون صادقة على أيّ لغة من اللغات المعروفة[2].

وقد حدد الدارسون ثلاثة صوائت رئيسية شائعة فـــي كـــل لغـــات العالم[3] هي : (i) التي تقابل الكسرة، و (u) التي تقابل الضمة، و(a) التـــي تقابل الفتحة، وهذا وصف موجز لهذه الصوائت بالنظر إلى وضع اللسان والشفتين.

1- عندما يرفع الإنسان لسانه إلى الأعلى قدر المستطاع، ويدفعـــه إلـــى الأمام قدر الإمكان دون أن يضيق المجرى الهوائي، بحيـــث لا يســـبب إحداث حفيف ما ويبسط شفتيه في الوقت نفسه، فإنه يصدر صوت (i) أو صوت (آ). وهما يقابلان : الكسرة أي الصائت القصير، وياء المدّ (اليـــاء

---

[1] ينظر د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات ص90.

[2] ينظر ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص 31.

[3] ينظر D- Jones, An outline of English phonetics P31-32.

الساكنة المكسورة ما قبلها). أما إذا ارتفع اللسان وضيق المجرى الهوائي، فإن الصوت يتجاوز منطقة الصوائت إلى الصوامت، فينطق بالياء، أي بالصوت الشبيه بالصائت في العربية أو نصف الصائت.

2-وعندما يحرك الانسان لسانه إلى الأسفل قدر المستطاع، ويسحبه إلى الخلف قدر الإمكان، ويبسط شفتيه من غير تدوير، فإنه يصدر صوت (a) أو صوت (à)، وهما يقابلان الفتحة وألف المدّ.

وقد وضع العلماء هذه المقاييس الثمانية الشاملة لأشهر اللغات، حتى يمكن وصف كل صائت من أية لغة كانت قياساً على هذه الصوائت المعيارية الثمانية. وقد سُجِلت هذه المقاييس على أسطوانات يرجع إليها المتعلم ويحاول تقليدها حتى يتقنها، ثم يقيس عليها أي صوت لين في أية لغة من اللغات، فإذا فعل ذلك لم يحتج بعده إلى جهد كبير في التعرف على هذا الصوت. وأشهر هذه الأسطوانات رقم B. 804 في أكسفورد لندن[1].

وعلى الرغم من أن العلماء حدّدوا مخارج هذه الصوائت بالنظر إلى موضع اللسان من الحنك الأعلى -كما ذكرنا-، إلا أنهم لاحظوا أن هناك عوامل أخرى تدخل في تحديد هذه المقاييس، بل يمكننا تصنيفها بالنظر إلى هذه العوامل؛ عنيت بها مواضع اللسان، وصورة الشفتين، ودرجة الانفتاح، وطريقة النطق[2].

فبالنظر إلى مواضع اللسان وصورة الشفتين، لاحظوا أن اللسان عندما يتجمع أو يتكتل في مقدم الفم عند الغار، يحدث أصواتاً أمامية، وهي الأصوات الأربعة الأولى المرقمة بـ (1، 2، 3،4)[3]. أما إذا تجمّع اللسان في مؤخر الفم عند الطبق، فإنه يحدث أصواتا خلفية، وهي الأصوات الأربعة؛ وهي الأصوات الأربعة الباقية المرقمة بـ(5،6،7،8). وحين يتجمع اللسان في موقع وسط بين ذينك المجموعتين، فإنه يحدث أصواتا وسطية، منها في العربية الفصحى صوت واحد ينطق بعد ما يدعى بحروف القلقلة (قطب جد)[4].

وتصور الشفتان حين النطق بالصوائت وضعين هما: الاستدارة والانفراج؛ فالاستدارة تكون حين النطق بالأصوات الخلفية، متدرجة من حيث الضم من صوت (â) أي الفتحة المفخمة إلى صوت (a) إي الإمالة

---

[1] ينظر د. أنيس الأصوات اللغوية ص 35.

[2] ينظر نفسه ص 35-36، وكانتينو، دروس في علم أصوات العربية ص 147.

[3] ينظر الشكل اللاحق.

[4] يذهب بعض المحدثين إلى أن صوت القلقة ليس بصوت، لأن شرط الصوت ليكون فونيماً -في نظره -أن يؤثر في معنى الكلمة سلباً أو إيجاباً، بوصفه مقابلاً استبدالياً، (ينظر . د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات ص91).

الضمية المنفرجة، إلى صوت (o) أي الإمالة الضمية الحادة، إلى صوت (U) أي الضمة، وهنا تبلغ الاستدارة أقصاها مع بروز إلى الأمام. أما الانفراج فيكون حين النطق بالأصوات الأمامية التي يتدرج الانفتاح والكسر فيها حتى يبلغ أقصاه في نطق كلمة "كيس" مثلاً.

هذا وتقابل الأصوات الأمامية المنفرجة، الصوائت والصور الصوتية العربية المعروفة؛ فصوت (I) يقابل الكسرة، وصوت (e) يقابل الإمالة الكسرية الحادّة، وصوت (a) يقابل الفتحة المرققة[1].

3- وعندما يرفع الإنسان لسانه ويسحبه إلى الخلف قدر الإمكان دون إحداث حفيف ما ويدور شفتيه، فإنه يصدر صوت (U) أو صوت (û)، وهما الضمة وواو المد (الواو الساكنة المضموم ما قبلها). أما إذا ارتفع اللسان وأحدث نوعا من الحفيف، فإن الصوت يتجاوز منطقة الأصوات الصائتة إلى الصوامت، فينطق عندئذ بالواو، أي بالصوت الشبيه بالصائت في العربية أو نصف الصائت[2].

هذا وأضاف العلماء المحدثون على هذه الصوائت الرئيسية – خمسة مقياس أخرى، وحددوها بالنظر إلى موضع اللسان من الحنك الأعلى ويمكن توضيح ذلك كله في الشكل الموالي[3] :

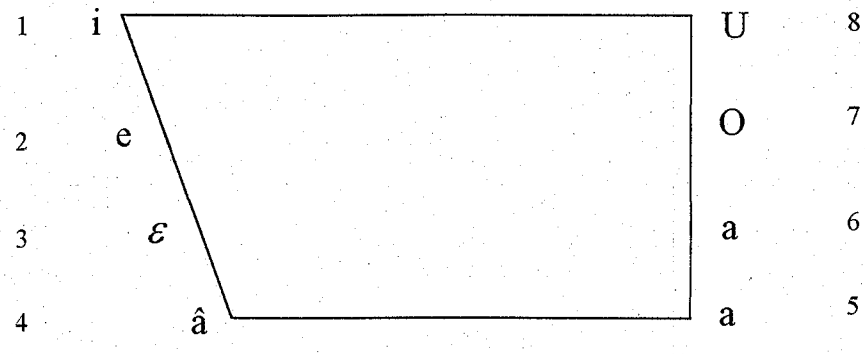

1- فالصوت الأول (i) تمثله الكلمة الفرنسية (si)[4].

2- والصوت الثاني (e) تمثله الكلمة الفرنسية (Thé)[5].

---

[1] د. عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية ص 112 وما بعدها.

[2] ينظر د أنيس الأصوات اللغوية ص 31-32 ، و مارتينه، مبادئ اللسانيات ص 46-47.

[3] ينظر، د. أنيس الأصوات اللغوية ص 33، و د. كمال بشر علم اللغة (الأصوات) ص 139-143.

[4] وتعني -إذا-.

[5] وتعني -شاي-.

3- والصوت الثالث (ε) تمثله الكلمة الفرنسية (Même)[1].
4- والصوت الرابع (â) تمثله الكلمة الفرنسية (La)[2].
5- والصوت الخامس (a) تمثله الكلمة الفرنسية (Pas)[3].
6- والصوت السادس (a) تمثله الكلمة الألمانية (Sonne)[4].
7- والصوت السابع (O) تمثله الكلمة الفرنسية (Rose)[5].
8- والصوت الثامن (U) تمثله الكلمة الألمانية (Gut)[6].

وأما بالنظر إلى الانفتاح الفموي حين النطق بالصوائت يُميز بين الصوائت المنغلقة أو الحادّة، والصوائت المنفتحة؛ فصوت الضمة (U) وصوت الكسرة (I) يمثلان أصغر درجة انفتاح، في حين أن صوت (â) يمثل أكبر درجة انفتاح، وليس ضرورياً أن يقتصر الانفتاح على هاتين الدرجتين : كما هي الحال في العربية فقد تعرف لغات أخرى درجات أخرى، مثل الفرنسية التي تضمّ أربع درجات انفتاح بالإضافة إلى ما سبق[7].

وأما من حيث طريقة النطق، فيجب التفريق بين طريقة وأخرى من طرق نطق الصوائت وأهمها[8]:

1- مدى الصائت أو إطالته وتقصيره: فتتفاوت الصوائت من حيث المدى أو الطول، إذ يمكن ملاحظة أربع درجات من الطول، فهناك صوائت قصيرة جداً. وصوائت قصيرة، وصوائت طويلة، وصوائت طويلة جداً. وتنقسم الصوائت العربية تبعاً للطول إلى قسمين هما : الضمة والفتحة والكسرة أي الصوائت القصيرة، والألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها، أي الصوائت الطويلة.
2- الخيشومية والفموية: هناك طريقتان لخروج الهواء حين النطق بالصوائت؛ فإما أن ينخفض الطبق فيسمح جزء من الهواء بالتسرب من الأنف، وإما أن يرتفع الطبق فيغلق مجرى الأنف فيخرج الهواء كله من الفمّ. ففي هذه الطريقة تخرج الصوائت مصحوبة بالغنّة، وتدعى بالخيشومية، على حين أن الطريقة الثانية

---

[1] وتعني -نفس الشيء- .
[2] أداة تعريف المثنى.
[3] جزء أداة النفي بمعنى : لا يوجد.
[4] وتعني -الشمس-.
[5] وتعني -ورد-.
[6] وتعني -طيب-.
[7] ينظر كانتينو. دروس في علم أصوات العربية ص145.
[8] ينظر الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة ص245.

تجعل الصوائت محصورة في الفم، ولذلك تدعى بالفموية، ومن الصوائت الفموية كل الصوائت العربية.

2)- صفات الصوائت:

و بناء على ما سبق يمكن وصف صوائت العربية الفصحى على النحو الآتي[1] :

1- الكسرة (i) : صائت قصير، خلفي، منغلق، ليس فيه استدارة. فموي، يفخم إذا سبق بأصوات (ص، ض، ط، ظ)، وهي أصوات الإطباق، ويفخم نسبياً إذا سبق بأصوات (ق، غ، خ)، وهي تشكل بمعية أصوات الإطباق مجموعة الأصوات المستعلية. ويرقق صوت الكسرة إذا سبق بسائر الأصوات.

2- الضمة (u) صائت قصير، خلفي، منغلق، مستدير، فموي، يعامل من حيث التفخيم والترقيق كسابقه.

3- الفتحة (a) : صائت أمامي، قصير، منفتح، غير مستدير، فموي، وينطق هذا الوصف على الفتحة المرققة في العربية الفصحى. أما الفتحة المفخمة – وهي هنا فرع من الفتحة الأساسية – فهي صائت خلفي، قصير، فيه استدارة، منفتح، فموي.

4- الكسرة الطويلة : أي الساكنة المكسورة ما قبلها : صائت طويل، لا يختلف عن الكسرة إلا في طوله، إذ يبلغ مداه ما يبلغه صائتان قصيران.

5- الضمة الطويلة أي الواو الساكنة المضموم ما قبلها : صائت طويل، لا يختلف عن الضمة إلا في الطول.

6- الفتحة الطويلة أي الألف، ولا تكون إلا ساكنة مسبوقة بالفتح : صائت طويل لا يختلف عن الفتحة إلا في الطول، ولها كالفتحة وصفان؛ أحدهما أساسي هو الفتحة الطويل المرققة التي توصف بأنها صوت أمامي، منفتح. غير مستدير، فموي. والآخر فرعي وهو الفتحة الطويلة المفخمة التي توصف بأنها صوت خلفي، فيه استدارة، منفتح، فموي، مسبق بأصوات الاستعلاء.

وعلى الرغم من أن تلك الصوائت واضحة الصفات، وقد أمكن تحديد مقاييسها تحديداً دقيقاً، بل وأمكن أيضاً تحديد مقاييس تلك الصوائت المتفرعة عنها. قلت على الرغم من ذلك كله، فقد لاحظ العلماء وجود "حركات غامضة الصفة نوعا ما، وغير واضحة الحدود نسبياً إذ قيست بالحركات الثماني المشار إليها سابقاً، وأهم هذه الحركات الغامضة

[1] د. أحمد محمد قدور. مبادئ اللسانيات ص94-95.

والمثال النموذجي لها ما يرمز إليه كتابةً الرمز (â) وبذلك تكون الحركات المعيارية التي ارتضاها جونز تسع حركات[1]".

فهذه الحركة التاسعة[2] -إن صحّ القول- لا يرتفع اللسان معهما من الخلف أو إلى الأمام ارتفاعاً ملحوظاً، كما أنه لا ينخفض معهما انخفاضاً كبيراً في قاع الفم، فهي إذن وسطية بين الجزء الأمامي والخلفي من اللسان، لأن وسط هذا الأخير يرتفع نسبيا في حال النطق بها[3].

ويمثل الدارسون لهذا الصوت بالحركة الأخيرة من كلمة تنتهي بالحرفين er أو or، وتدل على الفاعلية كما في نحو demonstrator ، maker ، singer ، والحركة الأولى من كلمة about [4].

3)- صائت الإمالة في العربية : أنواعه وتلوناته.

عرفنا أن صائت الإمالة هو أحد تلونات الصوائت الأصلية الثلاثة، أو أنه أللوفون لأحد الفونيمات الثلاثة المذكورة؛ ذلك أنه لا يتوفر على الشروط التي يكون فونيماً قائماً برأسه. ثم لأن هذا الصائت -إضافة ما ذكر- لا يملك صورة خطية أو رمزاً كتابياً يعرف به، بل إنه يظهر في مستوى الأداء الكلامي، فهو- إن صحّ القول -أللوفون فوق التركيبي، يظهر في مستوى أداء الكلمات الممالة، هذا في مقابل الفونيمات فوق التركيبة كالنبر والتنغيم وغيرهما.

وسنعرض في هذا المقام إلى أنواع صائت الإمالة في العربية وصفاً وتمثيلاً، مستعينين في ذلك بمدرج أصوات اللين، وذلك لغايتين أولهما معرفة آلية -وليس طريقة- النطق لكل نوع من أنواع هذا الصائت، أو بالأحرى معرفة وضع اللسان والشفتين في حال النطق به.

وأما الغاية الثانية -وهي مبنية على أساس من الأولى- فهي محاولة تفسير شيوع نوع من هذه الأنواع دون غيره، تفسيراً يستفيد من معطيات التمثيل على مدرج أصوات اللين، وهل أن ذلك يخضع لقانون السهولة واليسر في أداء أصوات اللغة وصوائتها.

أ-النوع الأول: إمالة الفتحة إلى الكسرة :

رأينا أن الفتحة في العربية، قصيرة كانت أم طويلة، تكون أشبه بالمقياس الذي يرمز إليه بالرمز (a)، وذكر بعضهم أنه شبيه بالفتحة المفخمة حين يكون قصيراً، ويشب ما يسمى بألف المد المفخمة حين

---

[1] ينظر D. Jones, An outline P 35-36 وقارن بكمال بشر، علم اللغة (الأصوات) ص 180-181.

[2] يظهر أن جونز (Jones) يسمي هذا النوع من الحركات بالحركات المعيارية الثانوية، في مقابل الأساسية وهي الثماني المذكورة. (ينظر An outline p35).

[3] ينظر، كمال بشر، علم اللغة (الأصوات) ص 182 و Jones. An outline p 36 .

[4] ينظر نفسه ص 185-186.

يكون طويلاً[1]. أما وضع اللسان في هذه الحال، فيهبط أقصى ما يمكن أن يصل إليه الفم، بحيث يستوي في قاعه مع انحراف قليل في أقصى اللسان نحو أقصى الحنك.

وأما الكسرة فيصعد أول اللسان معها إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه متجهاً إلى الحنك الأعلى بحيث يترك فراغاً بينه وبين الحنك الأعلى، يكون كافياً لمرور الهواء دون أن يحدث حفيفاً، وتكون حينئذ الكسرة أشبه بالمقياس المرموز له بالرمز (i).

وإذا استعرضنا إمالة الفتحة إلى الكسرة نلحظ أن أول اللسان يأخذ في الارتفاع من قاع الفم متجهاً إلى الحنك الأعلى، بينما تأخذ الشفتان في الانفراج أكثر كلما كانت الإمالة أكبر، ولاشك أن انفراجهما في حال الإمالة الشديدة، يكون أكبر منه في حال الخفيفة، أو ما يسميه القراء "بين بين"، وفي هذه الحال تكون الإمالة أشبه بالمقياسين (é) و (ɛ)؛ فإذا كانت شديدة تكون أشبه بالمقياس (é) مع مبالغة في الكسر قليلاً، أما إذا كانت خفيفة فتكون أشبه بالمقياس (ɛ)[2].

ب-النوع الثاني: إمالة ألف المدّ إلى الكسرة.

ألف المدّ ألف طويلة لا فرق بينها وبين الفتحة إلا في الزمن الإنتاجي أو الكمية، ومن ثم فإن هذه الإمالة كسابقتها، وليس من فرق بينهما إلا ما كان بين ألف المدّ والفتحة.

جـ- النوع الثالث : إمالة ألف التفخيم إلى الضمة.

الواقع أن هذه الألف هي ألف مدّ -بالأساس- وقد عدها سيبوية حرفاً من الحروف الفروع عن الحروف الأصول في العربية، وذكرأنها تُستحسن في قراءة القرآن والأشعار[3]. وقال ابن جني بشأنها "هي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم : (سلأم عليك)، و (قأم زيد)، وعلى هذا كتبوا (الصلوه) و(الحيوه) بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو"[4].

و يظهر أن هذه الألف الممالة إلى الضم كان يُقرأ بها في قراءة القرآن، لكنها تم تعرف عند من اشتهروا بالإمالة و نعني بهم قراء البيئة العراقية كالكسائي و خلف و حمزة. و الدليل على ذلك أن سيبويه ذكر – فيما سقناه قريبا – أن هذه الألف تستحسن القراءة بها في القرآن، وهذه إشارة منه إلى أنه كان هناك قراء يقرأون بها ، ثم بعد ذلك نسبها إلى

---

[1] ينظر ، إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص 32.

[2] السابق ص 41 . وذكر د. عبد الغفار حامد هلال، في ذلك العكس. (ينظر أصوات اللغة العربية ص 113).

[3] ينظر الكتاب : 432/4.

[4] سر الصناعة : 55/1-56.

أهل الحجاز[1] . ولعل في ذلك في ذلك على أن هذا النوع من الإمالة عرف عند أهل الحجاز دون غيرهم.

هذا إلى أن بعض[2] الباحثين في المحدثين في شؤون اللهجات ذكر بأن تغير الفتحة الطويلة.

- وهي ألف المد طبعا -إلى ضمة طويلة نصف ضيقة، يعد مطّردا في الكنعانية و الآرامية الغربية ولهجة الحجاز. ويؤخذ من ذلك أن إمالة الألف إلى الضمة وتغيرها -ربما في مرحلة تالية- إلى ضمة طويلة ميزة مطّردة في لهجة الحجاز. ولعل ذلك ما يحمل المرء على الاعتقاد بأن هذه الإمالة كانت موجودة، بل وقد قرئ[3] بها ، و لم تُعرف عند جمهور المميلين من القراء.

د- النوع الرابع: إمالة ياء المدّ إلى الضمّ .

إمالة ياء المد إلى الضم أو ما يُعبّر عنه أحيانا بالكسرة الممالة نحو الضمة، نوع من أنواع الإمالة ذكره ابن جني، و عبّر عنه بعض النحاة "بالإشمام" وذلك في مثل قوله تعالى : (وقيل يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، وغيض الماء وقُضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين)[4]. وذكرنا قبل أن هذه الإمالة اشتهرت عند بعض القراء من أمثال الكسائي ويعقوب، ولعلّ قلة أمثلتها يفسر عدم اشتهارها عند جمهور القراء؛ لأن صيغ الفعل الثلاثي المبني للمجهول الذي قلبت عينه ألفاً، قليل في الأمثلة القرآنية إذا قورنت بأمثلة باقي أنواع الإمالة.

---

[1] الكتاب: 432/4.

[2] هو Chaim Rabin في كتابه "اللهجات العربية الغربية القديمة" تنظر ص 66.

[3] ذكر ذلك د. إبراهيم أنيس ولكنه لم ينسبها القارئ معين، ينظر : الأصوات اللغوية ص 45.

[4] سورة هود الآية 44.

الخاتمة

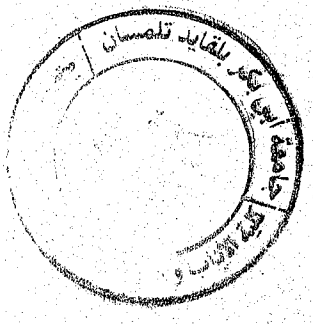

الخاتمة

أراد هذا البحث أن يقف عند جهود القدماء والمحدثين من النحويين في موضوع المماثلة والمخالفة، مستعرضا شواهده ومناقشا أمثلته في ضوء معطيات علم الأصوات الحديث. كما أراد هذا العمل أن يوازن بين جهود القراء والنحاة في الموضوع؛ فاستقرأ أمثلته من كتب القراءات ووزان بينها وبين ما تناوله النحويون في دراسة صوتية وظيفية، استهدفت الكشف عن علاقات التأثير والتأثر بين الأصوات، وقراءة ذلك في ضوء قوانين النظام اللغوي في العربية.

ولإلباس هذا الموضوع لباس الجدة في التناول، والعمل الإجرائي في المعالجة أخضع هذا البحث بعض صور المماثلة لمقاييس أصوات اللين العالمية، سعيا لمعرفة ما إذا كانت علاقات التأثير والتأثر بين الأصوات تخضع للجانب العضوي من العملية التمفصلية، وتصب في مصب عملية الاقتصاد في الجهد العضلي، والتيسير في عملية أداء الأصوات.

فلما استقام لهذا البحث المنهج المناسب، راح يجمع مادته التي تنوعت تنوع مواضيع المعالجة؛ فكانت منها اللغوية بفرعيها الصرفية والنحوية، ومنها القرآنية سواء كتب القراءات أو كتب التفسير والقرآن، ومنها كتب عامة أخرى.

وإن كان من نتائج أمكن الوصول إليها في هذه الرحلة فيمكن حصرها في الآتي:

1- لم يعتبر سيبويه من المماثلة إلا ما ذكره في باب "المضارعة والتقريب"، أما ما ذكره في الإدغام بأنواعه وإبدال وإمالة وإتباع، فلم ينص على ذلك بصريح العبارة بل يمكن أن يستفاد ذلك ضمنيا حين عالج أمثلة الإمالة والإتباع في العربية، حيث استعمل مصطلح "التقريب" و"المضارعة".

2- يعد ابن جني بحق أول القدماء إدراكا لحقيقة الإدغام؛ فقد نص على أنه "تقريب صوت من صوت"، وقد كان موفقا أيضا في اعتبار الإمالة والاتباع "إدغاما أصغرا"، طالما أن في الإمالة والاتباع تقريب حركة من حركة، أو صوت من صوت، ومن ثم يتضح أن حقيقة المماثلة في الأساس تقريب الأصوات بعضها من بعض، أو الحركات

بعضها من بعض، بإلباس بعضها صفات بعض، من أجل أن تتم عملية التفاعل في النسق الكلامي.

على أن ابن جني ذكر في باب الاتباع أمثلة هي أنسب في نظرنا أن تكون في باب التوكيد اللفظي منها في باب الاتباع، لأن حقيقة الاتباع تقريب صوت من صوت، وليس كلمة من كلمة كما هو الحال فيما ذكره ابن جني في مثل قولهم: حضر القوم أجمعون أبصعون أكتعون، وغيرها من الأمثلة.

3- إن ما ذكره القدماء من الحذف لتوالي الأمثال أو لاستثقال التضعيف يمكن عدّهُ من باب المخالفة الصوتية، نظرا إلى أن هذا الحذف يهدف إلى مخالفة الصوتين المتماثلين سواء بالحذف أو بقلب أحد المتماثلين إلى صوت لين طويل، أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين، وقد دعمنا ذلك بشواهد تدل على ذلك يمكن الاطلاع عليها في موضعها.

4- اعتبر القراء أن الحركة في الصوت المدغم تتدخل أحيانا لتكون سببا في الإدغام أو عاملا من عوامله، وهو أمر غير صحيح لاعتبار واحد، وهو أن من شروط الإدغام سقوط الحركة من الصوت المدغم، أو أن يكون الأول من الحرفين ساكنا، حتى لا تكون الحركة حاجزا أمام فناء الصوتين في بعضهما.

وإذا كان هذا في حال الكلام المتصل أكيدا، فهو في حال الكلام المنفصل أوكد، لأنه في هذه الحال، -أي حال الكلام المنفصل- ينبغي أن يكون الصوت المدغم في أكثر حالات الخفة، وذلك لأن الصوت المدغم في هذه الحال، يتطلب أن ينتقل بمخرجه إلى مخرج الصوت المدغم فيه.

5- إن ما يبرر ظواهر الإدغام في الأمثلة القرآنية هو انتقال مخارج الأصوات المدغمة في الأصوات المدغمة فيها؛ ذلك لأن أكثر ما ورد في الأمثلة القرآنية من إدغام هو من نوع المنفصل، إلا ما ورد من إدغام القاف في الكاف والكاف في القاف والكاف في الكاف.

6- إن مظاهر المماثلة والمخالفة في العربية بوجه عام، يبررها السعي إلى اقتصاد الجهد العضلي وتيسير عملية النطق، الذين كانا هدفا للعربي في أدائه للأصوات، وإن لم يقصد إلى ذلك قصدا بالإرادة المحضة، وإنما هو عمل عضوي يفرضه ما تستوجبه علمية أداء الأصوات من خفة ويسر.

7- إن شيوع إمالة الفتح إلى الكسر، أو الألف إلى الياء دون سواها من أنواع الإمالة في العربية، يفسره ما يعتري هذه الأخيرة من سهولة ويسر في عملية أدائها؛ لأن اللسان في حال تحقيق هذه الإمالة، ينتقل من حركة وسطية وهي الفتحة إلى حركة أمامية وهي الكسرة.

الفهارس العامة

1. فهرس الآيات الكريمة.
2. فهرس الأعلام.
3. فهرس القبائل.
4. ثبت المصادر والمراجع.
5. فهرس الموضوعات.

1. فهرس الآيات الكريمة

سورة آل عمران(*)

الآية	رقمها	الصفحة التي وردت فيها
﴿ومَن يَفعلْ ذَلِكَ﴾	28	133
﴿يَغفِرْ لَكُمْ﴾	31	8،131
﴿قَالَ رَبِّ﴾	38	150
﴿وأُنبئُكُم بِمَا تَأكُلُونَ وما تَدَّخرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾	49	12
﴿وأَخَذْتم علَى ذَلكُم إِصْرِي﴾	81	130
﴿ومَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنيَا﴾	145	129، 143
﴿فَمنْ زُحْزِح عن النَّارِ﴾	185	133 ،135، 152

سورة إبراهيم

﴿وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾	07	150

سورة الأحزاب

﴿ولمَّا رَأى المُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ﴾	22	166

سورة الأحقاف

﴿بَلْ ضَلُّوا﴾	28	133
﴿وإِذْ صَرَفْنَا إِليكَ نَفَرًا مِن الجِنِّ﴾	29	130

سورة الإسراء

﴿إِلى ذِي العَرشِ سَبِيلا﴾	42	149
﴿قَال اذْهَبْ فَمنْ﴾	63	123

(*) السور مرتبة ترتيبا أبجديا.

﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾	80	147
﴿ولَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾	89	129
﴿حَيْثُ زِدْنَاهُمْ﴾	97	124

سورة الأعراف

﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾	43	127
﴿أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾	57	124
﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾	161	128
﴿يَلْهَثْ ذَلِكَ﴾	176	127، 144
﴿ولَقَدْ ذَرَأْنَا﴾	179	128
﴿أَثْقَلَتْ دَعَوَا﴾	189	140

سورة الأعلى

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾	16	56

سورة الأنبياء

﴿رَآكَ الذينَ كَفَرُوا﴾	36	166
﴿وكَذَلِكَ نُنَجِّي المُؤْمِنِينَ﴾	88	113

سورة الإنسان

﴿ وإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ﴾	20	127

سورة الأنعام

﴿ رَأَى القَمَرَ﴾	77	166
﴿ رَأَى الشَّمْسَ﴾	78	166
﴿ أَتُحَاجُّونَنِي فِي اللهِ﴾	80	137
﴿ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾	138	124

﴿ حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾	146	124

سورة الأنفال

﴿ وما كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ البَيتِ إلاَّ مُكَاءً وتَصْدِيَةً﴾	35	138
﴿ وإذْ زَيَّنَ لَهُم الشَّيْطَانُ أعْمَالَهُمْ﴾	48	130

سورة البقرة

﴿ أُولَئِكَ عَلى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾	05	81
﴿ إلَيْكَ قَالَ﴾	29	132، 141، 150
﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾	35	145
﴿ اتَّخَذْتُمْ العِجْلَ﴾	92	130
﴿ دَاوود جَالُوتَ﴾	151	148
﴿ بَلْ نَتَّبِعُ﴾	170	133
﴿ فَقَدْ ظَلَمَ ﴾	231	128
﴿ مِنْ بَعْدِمَا جَاءَهُمْ البَيِّنَات﴾	251	11
﴿ قَدْ تَبَيَّنَ﴾	256	140
﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُو الألبَابِ﴾	269	07
﴿ أَنْبَتَتْ سَبْعَ﴾	260	124
﴿ ولْيُمْلِلْ الذي عَلَيهِ الحَقُّ ﴾	282	91
﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾	284	123، 142

سورة التكوير

﴿ وإذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾	07	131

سورة التوبة

﴿ إِيلاً وَلاَ ذِمَّةً﴾	08	137

﴿ إِثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾	38	07
﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾	128	129

سورة الحاقة

﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾	10	150

سورة الحج

﴿ السَّاعَةَ شَيْءٌ﴾	01	125
﴿ وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾	36	124
﴿ لَهُدِمَتْ صَوَامِعُ﴾	40	124

سورة الحجرات

﴿ ومَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ﴾	11	123، 124

سورة الدخان

﴿ عُذْتُ بِرَبِّي﴾	20	130

سورة الذاريات

﴿ حَدِيثُ ضَيفِ﴾	24	128

سورة الرعد

﴿ وإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ﴾	05	123
﴿ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى﴾	29	139
﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلذِّينَ﴾	33	133

سورة الزخرف

﴿ أُورِثْتُمُوهَا﴾	43	127

﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ﴾	57	138
﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾	89	134، 142

سورة الزمر

﴿ تَأْمُرُونِي﴾	64	137

سورة سبأ

﴿ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمْ﴾	24	128

سورة الشمس

﴿ دَسَّاهَا﴾	10	138
﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾	14	11

سورة الصافات

﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	84	130

سورة الطلاق

﴿ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾	06	127

سورة طه

﴿ رَأَى نَارًا ﴾	10	166
﴿ اذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ ﴾	97	123

سورة الطور

﴿ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾	48	131

سورة العاديات

﴿ والعَادِيات ضَبْحًا﴾	01	125، 145

سورة عبس

﴿ ومَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَو يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾	04	07

سورة غافر

﴿ ومَا يَذَّكَّرُ إلاَّ مَنْ يُنِيبُ﴾	13	07
﴿ عُذْتُ بِرَبِّي﴾	27	130

سورة الفاتحة

﴿ الحَمْدُ لله﴾	02	136
﴿ صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾	06	81

سورة الفتح

﴿ ومَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ الله﴾	10	06
﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ ﴾	12	133
﴿ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾	29	128، 147

سورة الفرقان

﴿ فَهِيَ تُمْلَى عَلَيهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾	05	91
﴿ ونُزِّلَ المَلاَئِكَةُ تَنْزِيلاً ﴾	21	138

سورة فصلت

﴿ دَارُ الخُلْدِ جزاءً﴾	28	148

سورة القدر

﴿ بِإِذنِ رَبِّهِمْ﴾	04	150

سورة القصص

﴿ رَآهَا تَهْتَزُّ﴾	31	166
﴿ فَذَانِكَ﴾	32	137

سورة القلم

﴿ نُ والقَلَمِ﴾	01، 02	144
﴿ الحَدِيث سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾	44	127، 145

سورة القمر

﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرْ﴾	15، 17، 22، 32، 40، 51	60

سورة الكهف

﴿ يَنْشُرْ لَكُمْ﴾	16	143
﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾	19	127
﴿ قُلِ الحَقُّ﴾	29	136
﴿ ولَوْلا إذْ دَخَلتَ جَنَّتَكَ﴾	39	130
﴿ ورَأى المُجْرِمُونَ﴾	53	166
﴿ ومَا أنْسَانِيه إلاَّ الشَّيطَانُ﴾	63	06
﴿ لاتَّخَذْتَ عَليهِ أجْرًا﴾	77	130

سورة المائدة

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾	20	31
﴿ بَسَطْتَ﴾	28	140
﴿ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾	59	56، 133
﴿يُنْفِقُ كَيْفَ﴾	64	132
﴿ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾	93	145
﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾	102	129

سورة المرسلات

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾	20	141
﴿ ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾	30	128

سورة مريم

﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾	05	131
﴿ جِئْتُ شَيْئًا فَرِيًّا﴾	27	125
﴿ اصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾	65	131

سورة المزمل

﴿ قُمْ اللَّيْلَ﴾	02	136

سورة المطففون

﴿ بَلْ رَانَ﴾	14	141
﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ﴾	36	133

سورة المعارج

﴿ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ﴾	03 ، 04	128

﴿ عَنْ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾	43	127

سورة الملك

﴿ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	13	11

سورة المؤمنون

﴿ قُلْ رَبِّ﴾	93	141

سورة النازعات

﴿ أَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾	29	147

سورة النجم

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾	08	18
﴿ مَا رَأَى﴾	11	166
﴿ لَقَدْ رَأَى﴾	18	166

سورة النحل

﴿ المَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾	32	152 ،126
﴿ رَأَى الذِينَ ظَلَمُوا ﴾	85	166
﴿ وإِذَا رَأَى الذِينَ أَشْرَكُوا﴾	86	166

سورة النساء

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾	56	124
﴿ أَنِ اقْتُلُوا أنفُسَكُم أَو أَخْرُجُوا ﴾	66	136
﴿ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوفَ﴾	74	123
﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾	90	124
﴿ ولْتَأْتِ طَائِفَةٌ﴾	102	139

﴿ ومَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾	114	143
﴿ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَّلِحَا صُلْحًا﴾	128	63
﴿ بَلْ طَبَعَ﴾	155	133
﴿ قَدْ ضَلُّوا﴾	167	129

سورة النمل

﴿ رَآهَا تَهتَزُّ﴾	10	166
﴿ أَحَطْتُ ﴾	22	140
﴿ الذِّي يُخْرِجُ الخَبْءَ﴾	25	137
﴿ بل ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾	68	07

سورة النور

﴿ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾	04	125
﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾	12	130
﴿ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾	62	135 ، 149

سورة هود

﴿ يَا بَنِيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الكَافِرِينَ﴾	42	123
﴿ وقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾	44	182
﴿ أَلاَ بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَت ثَمُود﴾	59	123
﴿ رَأى أَيْدِيَهُمْ﴾	70	166
﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾	81	133، 150
﴿ أَخَذْتُ الذِينَ﴾	94	130
﴿ وأَقِمْ الصَّلاَةَ طَرَفَي ...﴾	114	139، 145

سورة يس

﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرنَا بِكُمْ﴾	18	07

سورة يوسف

﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾	18	133
﴿ رَأَى بُرهَانَ رَبِّهِ ﴾	24	166
﴿ رَأَى قَمِيصَهُ﴾	28	166
﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً﴾	30	129
﴿ وَقَالَ الذِي نَجَا مِنْهُمَا وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾	45	12
﴿ وفَوقَ كُلِّ ذِي علمٍ عَلِيمٍ﴾	76	132

سورة يونس

﴿ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾	03	113
﴿ حتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾	24	07
﴿ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيئًا﴾	44	152
﴿ قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾	101	80

2. فهرس الأعلام

- إبراهيم أنيس: 2، 35 ، 114، 115، 116، 117، 118، 120، 123، 125، 131، 132، 158، 162، 163، 164.
- إبراهيم بن أبي عبلة: 102، 136.
- أبو بكر بن مهران: 144.
- أبو جعفر: 125، 127، 136، 137، 144، 156.
- أبو الحارث (القارئ): 143.
- أبو خيرة (الأعرابي): 18.
- الأزرق: 124.
- أبو السمال (القارئ): 136.
- الأصمعي: 22، 136.
- أبو الطيب اللغوي:4.
- أبو عبيدة: 138.
- أبو عثمان المازني: 94.
- ابن الأعرابي: 104.
- الأعشى: 25.
- أبو علي الفارسي: 19، 109.
- أبو عمرو الداني: 125، 143، 145، 147، 170، 171، 172.
- أبو عمرو بن العلاء: 9، 17، 86، 122، 123، 124، 125، 126، 129، 131، 133،136، 137، 143، 149، 157، 168.
- أبو منصور الأزهري: 172.
- برجستراسر: 16، 24، 25، 61، 126.
- البخاري: 26.
- ابن بري: 2.
- بسام بركة: 35.
- تمام حسان: 126، 127.
- ثعلب: (أحمد بن يحي): 109.

- جرامون (اللغوي الفرنسي): 08.
- ابن الجزري: 123، 126، 130، 131، 134، 135، 139، 143، 144، 147، 148، 151، 152، 158، 161، 165، 170، 171، 172.
- ابن جني:8،5،4، 13، 16، 35،30،26،19، 51،46، 65، 66، 93،90،68، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 104،103، 105، 108،106، 110،109، 111، 112، 113، 114، 136، 138، 163،172، 182
- الجوهري: 27.
- الحسن البصري: 136.
- حفص (الراوي): 6.
- حمزة (القارئ): 124، 125، 129، 130، 136، 144، 164، 166، 167، 168، 181
- ابن خالويه: 138.
- الخفاجي: 35.
- خلف (القارئ): 129، 130، 143، 144، 164، 166، 167، 168، 181.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي: 47، 85، 86، 110، 135، 169.
- دانيال جونز: 114، 119، 120، 174، 175.
- ابن دريد: 35.
- الدوري (الراوي): 168.
- الرازي: 27.
- الزجاج: 12.
- الزجاجي: 35.
- زر بن حبيش: 158.
- الزمخشري: 35، 126.
- زيد بن علي: 136.
- السكاكي: 35.
- سليمان بن مهران: 136.

- سيبويه: 4، 6، 19، 26، 28، 31، 35، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 47، 49، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 64، 65،66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 91، 100،101، 102، 106، 107، 108، 109، 110، 134، 139، 140،141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 155، 160، 161، 165، 167، 169، 170، 181.
- السيرافي: 157، 162.
- السيوطي: 65.
- ابن الشجري: 19، 102.
- ابن شنبوذ: 125، 127.
- الطبري: 32.
- طريف العنبري: 9، 58.
- عائشة (ض): 26.
- عاصم (القارئ): 6، 125، 127، 136، 137، 156.
- ابن عامر (القارئ): 6، 125، 127، 137، 138، 143، 156.
- عبد الرحمن أيوب: 35.
- عبد الله بن مسعود: 32، 158.
- عكرمة: 137.
- ابن عقيل: 28.
- علقمة بن عبد الله التميمي: 6.
- عمرو بن معد يكرب: 26.
- الفراء: 32، 59، 60، 63، 69.
- الفرزدق: 27.
- فندريس: 23، 24.
- قالون: 125، 156.
- ابن قتيبة: 138.

- قطرب: 68، 136.
- كانتينو: 132.
- ابن كثير : 125، 127، 135، 136، 137، 138، 156.
- الكسائي: 56، 75، 123، 124، 125، 127، 129، 130، 131، 133، 136، 137، 142، 143، 144، 156، 157، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 181، 182.
- المبرد: 28، 29، 83.
- المثقب العبدي: 30.
- ابن مجاهد: 131، 138، 143، 149.
- مزاحم العقيلي: 9، 56.
- مكي بن أبي طالب: 171.
- ابن منظور: 2، 27.
- نافع (القارئ) : 12، 127، 135، 136، 137، 138.
- هارون بن موسى (القارئ): 63، 85.
- هشام (القارئ): 127، 144.
- ابن هشام اللخمي: 10.
- ابن هشام النحوي: 26، 27.
- هورويتس (Hurwits) : 20.
- وايتني (Whiteny) : 112.
- ورش (القارئ): 124.
- وليام طومسون (Wilhem Thomsen) : 57.
- يحي بن عمارة (القارئ): 35.
- يزيد بن قطيب: 136.
- يعقوب (القارئ): 123، 125، 144، 156، 182.
- ابن يعيش: 25، 156، 158.
- يونس بن حبيب: 86.

3. فهرس القبائل

- أسد: 56، 59، 60، 69، 72، 81، 91.
- بكر بن وائل: 47، 50، 82، 83.
- بنو تميم: 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 69، 74، 76، 77، 81، 91، 134، 135.
- بنوعقيل: 56، 63، 64.
- بنو العنبر: 43، 101، 135.
- بنو كلب: 82، 83.
- ثقيف: 73.
- ربيعة: 82، 83.
- قريش: 72، 73.
- قيس: 69، 72، 81، 82.
- كنانة: 73.
- هوزان: 72، 73، 81.

4. ثبت المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

I – المراجع العربية:

1- **المطبوعات:**

* الإبراهيمي محمّد، المحجّة في تجويد القرآن، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، ط1، 1410هـ / 1990م.

* أبركرومي ديفيد، مبادئ في علم الأصوات العام، ترجمة وتعليق: د. محمّد فتيح، د.ت، د.ط.

* أحمد الصغير محمود (دكتور)، القراءات الشاذّة وتوجيهها النحوي، دار الفكر ط1، 1419هـ / 1999م.

* الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة)، معاني القرآن، تحقيق: عبد الأمير محمّد أمين الورد، عالم الكتب، ط1، 1405هـ /1995م.

* الأزهري (أبو منصور محمّد بن أحمد)، كتاب معاني القراءات، تحقيق وتعليق: محمّد الصالح قمحاوي، عبد الفتّاح القاضي، نشر دار الوعي بحلب – سوريا، ط1، 1392هـ/ 1972م.

تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة المؤسسة المصرية العامّة، 1384هـ / 1964م.

* أشار بيار، سوسيولوجية اللغة، تعريب: د.عبد الوهّاب تروّ، منشورات عويدات- بيروت – لبنان، ط1، 1996م.

* الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة البابي الحلبي وشركاه، ط2، 1358هـ / 1973م.

* ابن الأنباري (أبو البركات)، أسرار العربية، تحقيق: محمّد بهجت البيطار ، مكّة 1957هـ.

الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد مطبعة، حجازي القاهرة ط2 1963م .

* الأنطاكي محمّد، دراسات في فقه اللغة، دار الشروق العربي- بيروت- لبنان، ط4 د.ت.
* أنيس إبراهيم (دكتور)، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1971م.
دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1963م.
في اللهجات العربية، الأنجلو المصرية، ط9 ، 1995م.
* باي ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، طرابلس – ليبيا – 1973م د.ط.
* البخاري، الصحيح، دار الكتاب المصري – القاهرة –، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر–، ط1 1410هـ/1990م.
* برجستراسر، التطوّر النحوي للغة العربية، نشر د. رمضان عبد التوّاب، مكتبة الخانجي/ دار الرفاعي، الرياض، د.ط، 1402هـ / 1982م.
* بشر كمال (دكتور)، علم اللغة العام (الأصوات)، دار المعارف، د.ط، 1980م.
* البكوش الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله – تونس، ط2، 1987م.
* ابن الجزري (أبو الخير محمّد بن محمّد)، تحبير التيسير من قراءة الأئمّة العشرة، تحقيق وتعليق: محمّد الصالح قمحاوي/عبد الفتّاح القاضي، نشر دار الوعي بحلب – سوريا، ط1، 1392هـ / 1972م.
تحبير التيسير من قراءة الأئمة العشرة، دار الكتب العلمية، – بيروت– لبنان، ط1، 1404هـ / 1983م.
شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ضبط وتعليق: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ / 1997م.
النشر في القراءات العشر، تقديم الأستاذ: علي محمّد الضبّاع، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط1، 1417هـ / 1998م .
* ابن جنّي (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النجار، دار الهدى – بيروت – لبنان، ط2، د.ت.

سرّ صناعة الإعراب، تحقيق: جماعة من الأساتذة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر، ط1، 1384هـ / 1954م .

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، دراسة وتحقيق: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، ط1، 1419 هـ / 1998م.

المنصف، (شرح الإمام أبي الفتح عثمان) للإمام أبي عثمان المازني النحوي، تحقيق: إبراهيم مصطفى /عبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، ط1 1373هـ / 1954م.

* الجندي أحمد علم الدّين (دكتور)، اللهجات العربية في التراث (القسم الأوّل)، الدار العربية للكتاب، "ليبيا" / "تونس"، د. ط، 1391هـ / 1978م.

* حامد هلال عبد الغفّار(دكتور)، أصوات اللغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3 1416هـ / 1996م.

اللهجات العربية نشأة وتطورا، مكتبة وهبة ط2، 1414هـ / 1993م

* ابن الحاجب، شرح الشافية، تحقيق: جماعة من الأساتذة، مطبعة حجازي – القاهرة، ط1، 1358هـ / 1939م.

* حجازي محمد فهمي (دكتور)، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر-، د.ت، د.ط.

* حسّان تمام (دكتور)، اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، د.ت، د.ط.

مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، د.ط 1400هـ / 1979م.

* حسن الشيخ عبد الواحد (دكتور)، التنافر الصوتي والظواهر السياقية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، ط1، 1419هـ / 1999م.

* حسنين صلاح الدين (دكتور)، المدخل إلى علم الأصوات – دراسة مقارنة –، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط1، 1980م.

* حمّاد أحمد عبد الرحمان (دكتور)، عوامل التطوّر اللغوي – دراسة في نموّ وتطوّر الثروة اللغوية –، دار الأندلس ، ط1، 1403هـ / 1983م .

* ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق: محمّد إبراهيم سليم، دار الهدى، د.ت.

الحجّة في القراءات السبع، تحقيق وشرح: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط1 د.ت.

* الخليل(بن أحمد الفراهيدي)، العين، تحقيق: د. عبد الله درويش، ط. بغداد 1386هـ /1967م.

* الراجحي عبده (دكتور)، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، د.ط ، د.ت

فقه اللغة في الكتب العربية، د.ط ، د.ت.

اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1420هـ/ 1999م.

* الرازي (محمد بن أبي بكر)، مختار الصّحاح، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ط1، 1410هـ / 1990م.

* راشد غنيم آل غنيم صالحة، اللهجات في "الكتاب" أصواتا وبنية، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1405هـ/1985م.

* الرعيني الأندلسي (أبو عبد الله محمّد بن شريح)، الكافي في القراءات السبع، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط1، 1421هـ / 2000م.

* الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية – مصر، ط1، 1306هـ.

* الزجّاجي، الجمل في النحو، تحقيق الشيخ: ابن أبي شنب، الجزائر، 1926م.

* الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل – بيروت – لبنان، 1408هـ / 1988م.

* الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان. د.ط، د.ت.

الكشاف، دار الفكر، – بيروت – لبنان، د.ط ، د.ت.

5. فهرس الموضوعات

الإهداء

شكر واجب

I. **المقدمة** ..... أ

II. **المدخل: في تعريف المماثلة والمخالفة** 32-01

أ- المماثلة (لغة واصطلاحا) **16-01**

أنواع المماثلة 03

- المماثلة المقبلة الجزئية المتصلة 03
- المماثلة المقبلة الجزئية المنفصلة 05
- المماثلة المقبلة الكلية المتصلة 05
- المماثلة المقبلة الكلية المنفصلة 06
- المماثلة المدبرة الكلية المتصلة 07
- المماثلة المدبرة الكلية المنفصلة 10
- المماثلة المدبرة الجزئية المتصلة 10
- المماثلة المدبرة الجزئية المنفصلة 11
- التأثير المتبادل 12
- التأثر بين الحركات والصوامت 13

1- تأثير الحركة على الصامت 13

2- تأثير الصامت على الحركة 15

ب- المخالفة **32-16**

- صور المخالفة في العربية واللغات السامية 16
- ظاهرة توالي الأمثال في العربية 24

III. **الفصل الأول: المماثلة والمخالفة في كتب القدماء والمحدثين** 34

1- المماثلة والمخالفة في كتب القدماء:

المطلب الأول: المماثلة والمخالفة عند سيبويه ..... 37..92

أولا: المماثلة 37

أ- التقريب والمضارعة 37
ب- المماثلة الكاملة (الإدغام) 45
- أنواع الإدغام عند سيبويه 46
* إدغام المتماثلين 47
1- إذا كان المتماثلان صحيحين في كلمة واحدة ولم يكن أحدهما تاء "افتعل" 47
2- إذا كان المتماثلان صحيحين في كلمة واحدة أحدهما تاء "افتعل" 49
3- إذا كان المثلان معتلين 50
* إدغام المتجانسين 51
1- إدغام التاء في الدال 51
2- إدغام التاء في الطاء 53
3- إدغام التاء في التاء 53
* إدغام المتقاربين 54
1- إدغام الذال في الزاي أو السين 54
2- العين مع الهاء 54
3- إدغام لام "هل" و"بل" 56
* درجات التقريب في تاء "افتعل" 58
1- تاء "افتعل" مع الثاء 58
2- تاء "افتعل" مع الذال 59
3- تاء "افتعل" مع الظاء 61
4- تاء "افتعل" مع الضاد 61
5- تاء "افتعل" مع الصاد 62
6- تاء "افتعل" مع الواو والياء 64
جـ- الانسجام الأصواتي عند سيبويه 65
أولا: الإمالة 66
1- إمالة الفتحة نحو الكسرة 66
2- إمالة الفتحة نحو الضمة 67

3- نماذج من الإمالة عند سيبويه 68
ثانيا: الإتباع 76
1- ما تأثر فيه السابق باللاحق (التأثر الرجعي) 76
2- ما تأثر فيه اللاحق بالسابق (التأثر التقدمي) 80
ثانيا: المخالفة 88
1- إحلال التاء محل أحد المتماثلين 88
2- إحلال السين محل أحد المتماثلين 89
3- إحلال الياء محل أحد المتماثلين 89
المطلب الثاني: المماثلة والمخالفة عند ابن جني 93
أولا: المماثلة: 93
1- الإدغام الكبير 93
- نماذج من الإدغام الكبير عند ابن جني 94
- إشارة ابن جني إلى نظرية "الصوت في الكلام" 95
- ماهية التقريب وأنواعه عند ابن جني 95
2- الإدغام الصغير 96
أ- الإمالة 96
ب- درجات التقريب في تاء "افتعل" 98
جـ- ظاهرة قلب السين صَادا في بعض اللغات 101
د- الاتباع 102
ثانيا: المخالفة 109
- ما قلب فيه أحد المتماثلين صوت لين طويل 109
- ظاهرة كراهة توالي الأمثال 111
2 - المماثلة في كتب المحدثين
المطلب الأول: رأي د. إبراهيم أنيس 115
درجات التأثر بين الأصوات وموضوعاتها 116
1- الجهر والهمس 116

2- انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف والعكس 117
3- انتقال مخرج الصوت 117
4- تغير صفة الصوت من الشدة إلى الرخاوة والعكس 118
5- الإدغام 118
المطلب الثاني: رأي الأستاذ دانيال جونز 119
أنواع المماثلة عند دانيال جونز 119
- المشابهات Similitudes 119
- المماثلات التاريخي Historical Assimilation 119
- مماثلات المجاورة Juxtaposition Assimilations 119
IV. **الفصل الثاني: المماثلة والمخالفة بين القراء والنحاة** 121
المطلب الأول: المماثلة والمخالفة عند القراء 122
1- الإدغام **122**
- إدغام الباء 123
- إدغام التاء 123
- إدغام الثاء 127
- إدغام الجيم 128
- إدغام الدال 128
- إدغام الذال 130
- إدغام الراء 131
- إدغام السين 131
- إدغام الفاء 131
- إدغام القاف 132
- إدغام الكاف 132
- إدغام اللام 133
2- ظاهرة قلب الصاد "سينا" أو "زايا" **135**
3- الإتباع **136**

4- المخالفة **137**

المطلب الثاني: بين القراء والنحاة في وصف مظاهر التأثر

بين الأصوات 139

1- الإدغام المتجانس (إدغام المتجانسين)

- إدغام التاء في الطاء 139
- إدغام التاء في الدال 140
- إدغام الطاء في التاء 140
- إدغام اللام في الراء 141
- إدغام القاف في الكاف 141
- إدغام الكاف في القاف 141

2- الإدغام المتقارب (إدغام المتقاربين)

- إدغام الباء في الفاء 142
- إدغام الباء في الميم 142
- إدغام الراء في اللام 143
- إدغام الدال في الثاء والثاء في الدال 143
- إدغام اللام في الذال 143
- إدغام النون في الواو 144
- إدغام النون في الميم 144
- إدغام التاء في الجيم 145
- إدغام التاء في الذال 145
- إدغام التاء في أصوات الصفير 146
- إدغام التاء في الشين 146
- إدغام التاء في الضاد 146
- إدغام الثاء في السين 146
- إدغام الثاء في الشين 146
- إدغام الجيم في الشين 147

- إدغام الجيم في التاء 147
- إدغام الجيم في الصاد 147
- إدغام الدال في الضاد 148
- إدغام الدال في الميم 148
- إدغام الشين في السين 149
- إدغام الضاد في الشين 149
- إدغام القاف في الكاف والكاف في القاف 149
- إدغام اللام (في غير "هل"و"بل"، ولام التعريف) في الراء 150
- إدغام النون في الراء 150
- إدغام النون في اللام 151

المطلب الثالث: القراء والتعليل الصوتي لألوان التأثر 151

- بعض مظاهر التعليل الصوتي عند القراء ومناقشتها 152

V . الفصل الثالث: المماثلة في الحركات بين الكسائي و سيبويه (الإمالة نموذجا) 154

المطلب الأول: في الفتح والإمالة 156

- الفتح لغة واصطلاحا 156
- الإمالة لغة واصطلاحا 156
- الأصلية والفرعية في الفتح والإمالة عند العلماء 157
- أسباب الإمالة عند العلماء 159
- أنواع الإمالة باعتبار: 160

1- الأصل اليائي 160

2- الانسجام بين الحركات 161

المطلب الثاني: الإمالة بين الكسائي سيبويه 165

1- الإمالة لأجل الياء المقدرة في المحل الممال 165

2- الإمالة لأجل إمالة 166

3- الإمالة لأجل كسرة متأخرة 167

4- الإمالة من أجل كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة 168
5- الإمالة من أجل ياء متأخرة 168
6- إمالة "الكافرين" 168
7- إمالة أحرف الهجاء في أوائل السور 169
8- إمالة هاء التأنيث وما قبلها في الوقف 170
- إمالة ألف التفخيم عند الكسائي 172
- إمالة الكسرة إلى الضمة عند الكسائي. 172
المطلب الثالث: الإمالة ومقاييس أصوات اللين في العربية 174
1- المقاييس المعيارية للصوائت في العربية 175
2- صفات الصوائت في العربية 179
3- صائت الإمالة في العربية، أنواعه وتلوناته 180
أ - إمالة الفتحة إلى الكسرة 181
ب- إمالة ألف المد إلى الكسرة 181
جـ- إمالة ألف التفخيم إلى الضمة 181
د - إمالة ياء المد إلى الضمّ 182
IV. **الخاتمة** 183
IIV. **الفهارس العامة** 187
1. فهرس الآيات الكريمة 188
2. فهرس الأعلام 199
3. فهرس القبائل 203
4. ثبت المصادر والمراجع 204
5. فهرس الموضوعات 213